المرأة عند الأديبة سناء الشعلان
في ضوء منجزها القصصي

رسالة قدمت لنيل شهادة الدكتوراه

إعداد

عبد الرحمن

تحت إشراف

الدكتور محمد أكرم

قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة دلهي

دلهي، الهند

٢٠٢٢

مقدمة البحث

مقدمة البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على نبيه الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

بلاد الشام أرض خصبة للعلماء النابهين في علوم مختلفة، والأدباء الرائدين في فنون شتى في كل زمان. ومن أولئك الأدباء الشاميين الذين لهم جولة وصولة في العصر الراهن الأديبة الكاتبة سناء الشعلان التي تنتمي إلى أرض الأردن لكنها ترجع أصولها إلى فلسطين؛ الأرض التي أنجبت الأدباء النضاليين بكثرة كاثرة في كل من جنس الرجال والنساء. سناء الشعلان اسم غني عن التعريف والبيان في الأوساط الأدبية وفي مجالس الأكاديميين والجامعيين. أراد الباحث أن يكتب عن هذه الكاتبة وعن جهودها خاصة في مجال الأدب النسوي وعنايتها المكثفة بتثقيف المرأة العربية وإخراجها من ظلمات الجهل القاتم والعناء الغاشم. وهي من أبرز الشخصيات التي برعت في العصر الراهن في مجال القصة جنبا بجنب براعتها في الحقل العلمي. وغزارة إنتاجها الأدبية مع كثرة دراساتها العلمية أكسبتها شهرة في بلدان العالم عامة وفي أقطار العالم الشرقي على وجه الخصوص.

تحتل الكاتبة الأردنية سناء الشعلان مكانة خاصة من بين الأدباء والكاتبات العربيات بتكثيفها العناية بالمرأة وتثقيفها لئلا تتخلف عن المجتمع ولا تكابد العناء في ما لا يلزم. شهدت الكاتبة المرأة العربية قاعدة في البيت محظورة من الخروج للدراسة العليا كالفتيان أو للمشاركة في الأعمال سوية مع الرجال. كما رأت هي عن قريب اللاجئات في مخيمات الأردن وما فرض عليهن من أداء الواجبات جنبا بجنب الإكثار في الإنجاب قسرا وقهرا. والأطفال كذلك رأتهم في الشوارع والدروب بين الجهل والحرمان من نعم القراءة والدراسة فاعتنت بهم وتناولت قضاياهم لئلا يفسدهم الجهل ويخربهم الحرمان.

أهمية الموضوع

أسهمت سناء الشعلان ولا تزال تسهم في مجال القصة القصيرة بإصدار عدة قصص قصيرة كل سنة فلا تكاد تخلو أية سنة من صدور كتاب لها سواء كان في مجال الأدب أو في مجال العلم. وكذلك تكثر سناء الشعلان تجوالها في بلدان العالم كل سنة للمشاركة في الندوات واللجان أو لتقديم الأوراق وإلقاء المحاضرات في جامعات العالم في مناسبات خاصة أعدت لها تكريما.

وأبرز ما في كتاباتها القصصية أن جميع أعمالها تقريبا تتعلق بقضية المرأة فهي دوما تسعى لإخراج المرأة من أودية الظلم الذي لا يوقع فيها الناس سوى الظلم في معظم الأحيان. ولذلك تكرست عنايتها بتعليم المرأة وتثقيفها لئلا تمكث في البيت محبوسة في طهي الطعام وتربية الأولاد بل تعلي شأنَها وتسهم في المجالات الأخرى لتعمل سويا مع الرجال. والأحداث في قصصها القصيرة كلها تركز على ظلم المرأة سواء كانت هي أما أو أختا أو زوجة أو أية مرأة من غير ذوي القربى.

أسباب اختيار الموضوع

وقد كثرت الدراسات والبحوث حول شخصيتها العبقرية ولكن قلت عناية الباحثين بجهودها المبذولة في تعليم المرأة العربية التي لا تختلف عن أخواتها في الدول الشرقية الأخرى. وهذا هو السبب الرئيس الذي دفعني إلى أن أجعل شخصية الكاتبة سناء الشعلان وعنايتها بالمرأة موضوع البحث لرسالتي هذه باختيار أعمالها القصصية الصادرة حتى عام ٢٠١٦م. وبالإضافة إلى ذلك هناك غرض آخر لاختيار هذا الموضوع وهو إبراز النضال للنساء الفلسطينيات في الجوانب المختلفة من الحياة عامة وفي تأييد القضية الفلسطينية على وجه الخصوص، وكتابات سناء الشعلان تزخر ببيان هذا النضال النسائي.

منهج البحث

اختار الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي للتوصل إلى ما في أعمال الكاتبة سناء الشعلان من الاهتمام بقضايا المرأة أو الأنثوية بكلمة أخرى. واتبع نظام دليل شيكاغو في التهميش وفي توثيق المصادر والمراجع.

خطة البحث

يحتوي هذا البحث على مقدمة، وأربعة أبواب، وخاتمة كما يلي بيانها بإيجاز.

مقدمة البحث

تحتوي المقدمة على تعريف وجيز لموضوع البحث، وأهميته، وخطة البحث مع بيان ما فيها من الأبواب والفصول والمباحث بتفصيل وجيز.

الباب الأول: سناء الشعلان حياتها وأعمالها الأدبية

يتناول هذا الباب سيرة موجزة للكاتبة الأردنية سناء الشعلان في أربعة فصول، ففي الفصل الأول بيان وجيز لتاريخ بلاد الأردن وموقعها الجغرافي والسياسي. والأردن، موطن الكاتبة سناء الشعلان، وهو جزء من بلاد الشام، انفصل عنها ليكون دولة مستقلة لها حكومتها ونظام حكمها بعد أن كان مرتبطا بالإمبراطوريات تابعا لحكومات مختلفة منذ عصور سالفة. وعلى الرغم من أن الأردن دولة صغيرة، إن موقعها الجغرافي يجعلها ذات قيمة ومكانة كبيرة من الناحية السياسية لدى الدول الكبرى منذ عصر ما قبل التاريخ. ولذلك اجتمعت في الأردن حضارات عديدة منذ العصر الحجري وما قبله مثل الحضارة الأشورية والآرامية والإسلامية والعربية وغيرها.

ويشتمل الفصل كذلك على الجانب السياسي من تاريخ الأردن الذي كان إمارة عثمانية حتى بداية القرن العشرين. واحتلت القوات البريطانية منطقة الأردن فتأسست فيها المملكة الأردنية الهاشمية لمكافحة الاحتلال وإنشاء دولة عربية مستقلة بسيادة الشريف الهاشمي الذي قاد ثورةَ العرب الكبرى عام ١٩١٦م. واستقل الأردن من الاحتلال البريطاني فكان عبد الله الأول ابن الحسين ملكا دستوريا. وأصبحت الحكومة فيها ملكية برلمانية.

والمبحث الثاني من هذا الفصل يتناول الجانب الأدبي من تاريخ الأردن، ويقسم الأدب العربي الأردني إلى ثلاثة فترات تاريخية؛ أدب زمن الإمارة، وأدب ما بين النكبة والنكسة ١٩٤٨-١٩٦٧م، وأدب ما بعد نكسة حزيران. أما زمن الإمارة فلم يكن فيه الأردن مهبط العلماء ولا مجمع الأدباء لتفشي الجهل وازدياد الفقر لكثرة الحروب الأهلية. ثم ظهر كثير من الأدباء والكتاب في زمن الوحدة بين الضفتين، وأسهموا في مجال الشعر والمسرحية والرواية والقصة. وبرع في مجال القصة القصيرة عدد كبير من الأدباء بعد نكسة حزيران عام ١٩٦٧م.

ويشتمل الفصل الثاني على مولد الكاتبة سناء الشعلان ونشأتها وحياتها العلمية ومسيرتها الإبداعية والأكاديمية، ونشاطاتها العلمية في اللجان والمنظمات المختلفة. ويتناول الفصل أعمالها النقدية والبحثية والإبداعية خاصة ما يتعلق بأدب الأطفال وأدب المرأة حتى عام ٢٠١٦م. كما يتناول الفصل الجوائز والأوسمة والتكريمات التي نالتها الكاتبة في مجال الأدب من منظمات مختلفة. ويتناول الفصل العوامل الرئيسة التي أسهمت في تكوين شخصيتها الأدبية والعلمية مثل حبها للرسم أو حبها للسفر لا للتجوال فحسب بل

لإلقاء المحاضرات وتقديم الأوراق العلمية في اللجان والمؤتمرات العلمية. وكذلك تأثرها بقضية القدس التي رأت فجائعها عبر التلفاز فطبعت على قلبها تلك الآلام والمشاهد القاسية من الدمار والتشرد واللجوء في الخيام وما إلى ذلك.

والفصل الثالث يبين حياتها العلمية والأدبية، ويشتمل على بيان الأعمال الإبداعية في المبحث الأول، كما يتناول في المبحث الثاني المقالات النقدية والأوراق العلمية التي كتبتها ونشرتها في المجلات الأدبية أو قدمتها في الندوات والمؤتمرات، كما يتناول الفصل الكتب التي تتعلق بمجال العلم لكنها طبعت فيما بعد.

وأما الفصل الرابع فهو مختص ببيان عناية النقاد والباحثين بأعمال الكاتبة سناء الشعلان في مبحثين؛ يبين المبحث الأول آراء نخبة من النقاد في شخصية الكاتبة سناء الشعلان في ضوء أعمالها الأدبية المختلفة بينما المبحث الثاني يتناول جهود الباحثين في الجامعات المختلفة ويذكر بعض الأطاريح الجامعية التي أجريت ونوقشت حول الأعمال الأدبية المختلفة للكاتبة سناء الشعلان. وببيان هذه الدراسات السابقة ينتهي الباب الأول.

الباب الثاني: مفهوم الأنثوية وصورة المرأة في الأدب العربي

يحتوي هذا الباب على ثلاثة فصول. الفصل الأول دراسة للأنثوية؛ مفهومها ونشأتها والعوامل التي تسببت لنشأة الحركة النسوية ومدارسها المختلفة التي نشأت حينا بعد حين على أساس معتقدات وأفكار عديدة حول النهضة النسوية. نشأت الأنثوية في فرنسا في أواخر ثمانينات القرن التاسع عشر بمفهوم إعطاء النساء الحقوق والفرص المساوية للرجال، وسلب السيطرة من الرجال لئلا تقع المرأة ضحية لسيطرة الرجل وتمكث في البيت في خدمة الزوج وتربية الأولاد. وبما أن الأنثوية مصطلح حديث لا يوجد له تعريف شامل منضبط، ولذلك كثرت في تعريفها وتحديدها أقوال الأدباء وآراء المفكرين والكتاب الأنثويين.

وإذا نظرنا إلى الدوافع التي تسببت لنشأة الأنثوية في الآداب الغربية فوجدنا سببين رئيسين أولهما ما ورد في الكتب الدينية لليهود والنصارى هو دليل واضح على أن المرأة ليست لها كرامة ولا مكانة في اليهودية والمسيحية، والسبب الثاني ما ورد من أقوال الفلاسفة والمفكرين الغربيين هو كذلك برهان أن الغربيين لا يقدرون المرأة حق قدرها بل يحسبونها شيئا وضيعا يستخدم ويطرح فليست هي إنسانا يعطى حقوق الإنسان.

أما المدارس التي نشأت لنهضة المرأة فكلها نشأت على تخطئة المدارس السابقة. وأشهرها أربعة مدارس؛ المدرسة الأنثوية الماركسية، والمدرسة الأنثوية الليبرالية، والمدرسة الأنثوية الاشتراكية، والمدرسة الأنثوية الراديكالية. فضلا عن هذه المدارس الشهيرة هناك تيارات أخرى مثل الأنثوية البيئية والأنثوية السوداء والأنثوية الثقافية وغيرها.

ويشتمل الفصل الثاني على بيان الموجات الأنثوية المختلفة مع ذكر أعلامها البارزين. الموجة الأنثوية الأولى عبارة عن الحركة الأنثوية في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين. ومن أعلامها البارزين الرائدة الأولى "أوليو سرينر"، وشتراشي صاحبة كتاب "The Cause"، و"فيرابريتين" صاحبة كتاب "Testament of Youth". والموجة الأنثوية الثانية بدأت في أوائل الستينات واستمرت حتى أواخر الثمانينات من القرن العشرين. ومن أشهر أعلامها "بيتي فريدان"، و"كيت ميليت" و"شولاميث فايرستون".

أما الفصل الثالث فهو مختص بدراسة صورة المرأة في الأدب العربي. ذكرنا في هذا الفصل وضع المرأة في الجزيرة العربية ودياناتها الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام، وبالتالي وضع المرأة في الأدب العربي. تكشف الكتب الدينية لليهود والنصارى عن وضع المرأة ومكانتها في اليهودية والمسيحية، وكلتا هاتين الديانتين تحسبان المرأة السبب الرئيسي لجميع الخطايا فالمرأة الأولى حواء هي التي تسببت لإخراج آدم من الجنة فلولاها لما ارتكب آدم أية خطيئة. أما الإسلام فهو الدين الوحيد الذي لم ير المرأة بمنظار اليهودية والنصرانية بل كرم المرأة تكريما وقدرها حق قدرها، وإذا جعلها نصف الرجال في بعض القضايا فذلك مبني على الحكمة ولم يقم بإهانة المرأة ولا بإساءتها ولم يجعلها سببا للرذائل والخطايا. والأدب العربي سواء كان قبل الإسلام أو بعده يوجد فيه ساحة كبيرة للمرأة فلها كرامة ومكانة في العلم والأدب فكانت هناك شواعر بارزات مثل الخنساء في العصر الجاهلي والإسلامي، وفي العصور التالية امتد هذا الركب في كل قرن وفي كل فن ومجال مثل الرواية والقصة القصيرة وغيرها.

الباب الثالث: صورة المرأة في قصص سناء الشعلان

يشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول. وكل فصل ينقسم إلى عدة مباحث. يتناول الفصل الأول قضايا المرأة بين التعلم والجهل في مبحثين. المرأة المتعلمة امرأة ذات كرامة ومكانة رفيعة في المجتمع فهي بطلة للنساء الأخريات، تقود بدور فعال في نهضة النساء وفي إنقاذهن من مآزق الجهل والظلم وسيطرة الرجل عليهن.

وأما المرأة الجاهلة فهي تعاني من أنواع من الظلم وتتخلف في البيت قاعدة ولا تنال حرية من قبل ولاتها فذلك لجهلها، ولذلك عليها أن تتعلم وتتثقف لئلا تعيش في حرمان واضطهاد مستمر. والمرأة العربية في جميع البلاد العربية تقريبا تواجه نفس المأساة، وعلاجها الوحيد في الثقافة والتعلم.

والفصل الثاني يعالج موضوع علاقة المرء بالرجل الآخر الذي يكون بينه وبينها صلة القرابة. وعلاقة المرأة بالرجل القريب تتنوع إلى ثلاثة أنواع؛ علاقتها بالأب، وعلاقتها بالأخ وعلاقتها بالزوج. بينما الفصل الثالث يتناول علاقة المرأة بالرجل البعيد فهو إما أن يكون جارا أو رفيقا في المكاتب والشركات، أو زميلا في الدراسة والعمل وغيره، أو حبيبا لها من أحد هؤلاء. وعلاقتها إما أن تكون بريئة عفيفة بالرجل البعيد وإما أن تكون دنسة مشوهة. وفي معظم الأحيان علاقة المرأة بالآخر قريبا كان أو بعيدا سيئة للغاية لأجل سيطرة الرجال على النساء. وقد قدمت الكاتبة سناء الشعلان صورا عديدة للمرأة في علاقتها بالآخر تعاني فيها المرأة من الأحزان والمآسي.

وتبين هذه الفصول الثلاثة أن الكاتبة سناء الشعلان قدمت صورا كثيرة للمرأة العربية في قصصها القصيرة كشفت من خلالها عن أوضاع المرأة المؤلمة التي تعيش أسيرة الجهل والحرمان فلو تثقفت هي بثقافة عالية أكثر من اللازم لكفت بها في تحسين أوضاعها حتى وإن حرمت من ظل الرجال فلا هي تخاف ولا تحزن على مآسيها بل تعمل وتكسب وتعيش آمنة مطمئنة في كل مكان.

الباب الرابع: القضايا الرئيسية للمرأة العربية

يختص هذا الباب ببيان القضايا الرئيسية للمرأة العربية مشتملا على فصلين. الفصل الأول يتناول القضايا الاجتماعية، وهي عبارة عن عمل المرأة وزواجها، والمرأة تريد الحرية في كليهما؛ أن تعمل بحرية حيثما تشاء، وأن تختار زوجا مناسبا لها متى ما تشاء، وهي لا تريد أن تعيش في ظل سيطرة الرجل عليها في هذين الأمرين لأن حريتها في العمل تكسبها مالا وتخرجها من سيطرة الرجل عليها وبالتالي إنها ستقدر على أن تتطلب حريتها في اختيار زوجها من يجدر بها لا من سيسلط عليها من قبل أبويها أو ولي أمرها.

ويتناول الفصل الثاني القضايا النضالية وهي عبارة عن مشاركة المرأة ومساهمتها في أعمال تتطلب جهودا جبارة مثل النضال ومكافحة الاحتلال فليست المرأة في مثل هذه الأعمال متخلفة عن الرجال بل هي تعمل سوية متكاتفة مع الرجال. وتقدم جهودها بصور عديدة أمام العالم حتى في بعض الأحيان تفوق الرجال

بأعمال لا تحدث منهم إلا نادرا. ومن صور نضال المرأة في سبيل استقلال البلاد وقمع الاحتلال تقدمها على حب فتى باسل لا لتتلهى به بل لتتزوج به فتنجب أطفالا ليشاركوا في المستقبل مثله في مكافحة الاحتلال. وتكثر الأمثلة على مثل هذه القضايا في قصص سناء الشعلان.

خاتمة البحث

ذكر الباحث بعد الأبواب الأربعة خاتمة البحث وهي النتائج التي توصل إليها من خلال دراسة الأعمال الأدبية والقصصية للكاتبة الأردنية سناء الشعلان. وذكر تلك النتائج في نقاط بإيجاز.

ويلي الخاتمةَ قائمة مصادر البحث ومراجعه، وفي النهاية قائمة المحتويات.

وفي النهاية أحمد الله وأشكره على ما وفقني لإنجاز هذا البحث حول الأعمال الأدبية للكاتبة سناء الشعلان التي تعد أيقونة الكتابة النسوية من بين الكاتبات العربيات في العصر الراهن. ولولا فضله سبحانه لما استطعت إتمام هذه الرسالة الجامعية، فله الحمد والشكر أولا وآخرا.

وأشكر ثانيا أستاذي الكريم الأستاذ الدكتور محمد أكرم الذي أشرف على هذا البحث، وزودني بأفكاره القيمة وآرائه العلمية في إنجاز هذا البحث. كما قدم إلي كل مساعدة علمية وفكرية كلما مست بي الحاجة، وكلما شعرت بالضعف والقصور علما وفكرا، فجزاه الله خير الجزاء وبارك فيه.

وأشكر ثالثا جميع أساتذتي عموما، وعلى وجه الخصوص أساتذتي في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة دلهي الذين قدموا إلي مساعداتهم العلمية والفكرية كلما مددت إليهم يد العون.

والشكر موصول إلى كل من ساندني وساعدني في إكمال هذا البحث وصبر على مسيرتي هذه الطويلة في سبيل العلم، وأخص بالذكر منهم والدي الكريمين، وعمي الكريم الشيخ غفران الندوي، وإخوتي، والأخ الكبير الدكتور سيد محمد طارق الندوي، وزوجتي الحبيبة، الذين سمحوا لي بمواصلة الدراسة إلى درجة الدكتوراه وصبروا على ما اختطفت من أوقاتهم الغالية في سبيل العلم والبحث فجزاهم الله خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

ويكون من نكران الجميل إن لم أشكر أصدقائي الذين ساعدوني في مسيرتي العلمية، خاصة الأخ الكريم توصيف الرحمن، والدكتور عبد الكريم، الذين ساعدوني طيلة فترة الدكتوراه بمساعدات مادية وفكرية. وأسأل الله العظيم أن يجزيهم خير الجزاء.

وأخيرا أشكر الله الذي من علي بنعم لا تحصى، ووفقني لإكمال هذا البحث المتواضع بمنه وفضله، فما كان فيه من الصواب فهو من الله، وما كان فيه من الأخطاء والزلات فمن نفسي. وأسأله سبحانه أن يمن علي بقبول هذا العمل كما وفقني لإكماله، ويجعله نافعا لكل من أراد الاستفادة به.. آمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبد الرحمن

باحث قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة دلهي

١٢-١٢-٢٠٢٢م

الباب الأول

سناء الشعلان حياتها وأعمالها الأدبية

الفصل الأول : تاريخ الأردن وأدبه

الفصل الثاني : نشأة سناء الشعلان وحياتها

الفصل الثالث : حياتها العلمية والأدبية

الفصل الرابع : عناية النقاد والباحثين بأعمالها

مدخل

سناء الشعلان كاتبة أردنية من أصول فلسطينية، وقاصة غزيرة الإنتاج، وناشطة حقوق الإنسان، تأتي بالجديد في مجال الكتابة الإبداعية كل عام بدون غياب، وتلعب دورا حيويا على منصة الأدب الحديث بشكل عام، وفي أدب الأطفال والأدب النسوي على وجه الخصوص. تجوب الكاتبة العالم كرحالة مكوكية، وتعجب بالترحال إعجابا كاملا فتكتب أكثر وأكثر حول جولاتها عبر العالم بصورة "في لاك" وتقوم بالنشر على صفحة حسابها في فيسبوك، وتحظى بإعجابات متتالية من قبل معجبيها. وتضع بصمات إبداعية على أفق الأدب العربي المعاصر، وتختار أسلوبا ارتجاليا كما تقوم بخلط أسلوبها أحيانا من الأسلوب العربي القديم الفصيح.

تتمتع الكاتبة بقبولية واسعة بين الأدباء والكتاب والباحثين وحصلت على ألقاب متنوعة منها "شمس الأدب العربي"، و"أميرة القصة العربية". ونجحت في الحصول على لقب "واحدة من أنجح ٦٠ امرأة عربية" للعام ٢٠٠٨ في استفتاء عربي أجرته مجلة "سيدتي" الصادرة باللغة العربية والإنجليزية. حصلت الكاتبة على لقب "نجمة السلام" للعام ٢٠١٤ من قبل منظمة السلام والصداقة الدولية في مملكة دانمارك. كما نالت درع الأستاذ الجامعي المتميز أكاديميا وإبداعيا في سنة ٢٠٠٥، ويتجاوز عدد جوائزها ٦٢ جائزة دولية ومحلية.

يشتمل هذا الباب على أربعة فصول؛ أولها يختص ببيان الخلفية التاريخية والأدبية لبلاد الأردن موطن الكاتبة سناء الشعلان، وثانيها يتناول مولد الكاتبة سناء الشعلان ونشأتها، وكذلك العوامل التي جعلتها كاتبة وأديبة ذات صيت بارز في الأوساط العلمية والأدبية. والفصل الثالث عبارة عن الإنتاجات الإبداعية والعلمية التي نشرتها الكاتبة سناء الشعلان في حقول متنوعة مثل القصة القصيرة والمسرحية والأعمال النقدية والمقالات البحثية أو مشاركتها في كتب مختلفة بفصل أو فصلين من الناحية النقدية أو الأدبية بينما الفصل الرابع يوضح أولا مكانتها الأدبية والعلمية في آراء النقاد العرب والباحثين والأكاديميين الذين أشادوا بأسلوب الكاتبة وجهودها في حقوق المرأة لتعلمها وحريتها في المجتمع. ثانيا يحتوي هذا الفصل على بيان عناية الباحثين في الجامعات المختلفة من العالم بالإنتاجات الأدبية التي أصدرتها الكاتبة في مجال القصة القصيرة والمسرحية.

الفصل الأول

تاريخ الأردن وأدبه

المبحث الأول

الخلفية التاريخية للأردن

يعتبر الأردن من إحدى أهمّ الدول في منطقة الشرق الأوسط من أسباب عديدة منها موقعها المتوسّط بينَ بلاد الشام والجزيرة العربيّة والعِراق ومصر، وعلاقتها في التاريخ بالأمم القديمة والحضارات السابقة على الرغم من صِغر مساحتها وقلّة مواردها. واللغة العربية هي لغة رسمية للأردن، وله تاريخ عريق وتُراث ثري.

الأردن عبر السنين والأعوام

كان الأردن منطقة تشهد حضارات وثقافات من أدومية ومؤابية وعمونية وآرامية وأشورية ويونانية وفارسية ورومانية وبيزنطية وعربية إسلامية. ومن أبرز السمات التي تميزها من بلدان أخرى هو موقعها المتوسط الذي جعله أحد مراكز الحركة الحضارية التي شهدتها المنطقة عبر عصور السلم والحرب.

يرجع تاريخ حجر ميشع أو مسلة ميشع إلى القرن التاسع قبل الميلاد عام ١٨٦٨م. وتاريخ اكتشافه يعتبر من أقدم وأطول المسلات في بلاد الشام وهو يتحدث عن انتصارات الملك ميشع الذبياني على بني إسرائيل في عام ٨٥٠ ق م.

وقد قامت مملكة الأنباط على أرض الأردن في بداية القرن الرابع قبل الميلاد، وبقيت تسود المنطقة لثلاثة قرون. واتخذت البتراء عاصمة لها وسادت على منطقة تحيط بصرى الشام شمالا إلى مدائن صالح جنوبا. وسيطرت على الأنباط وأسست نظام الري المتقدم، والمباني، والفنون. ولا تزال آثار المملكة تشير إلى تقدم المملكة في مختلف المجالات. وقد عاصر ازدهار مملكة الأنباط قيام تحالف المدن العشر التي انبثقت عن الفترة اليونانية. وكانت هذه المدن تعتبر حجرا أساسيا في طريق تراجان الجديد (الطريق الملوكي) الذي يربط شمال الأردن بجنوبه. وكانت المنطقة الأردنية مهبط السلم والأمان في فترة الحكم الروماني، تمهد الطريق للتوسع العمراني والازدهار الاقتصادي.

وكانت منطقة أردن أولى مناطق الشام التي فتحها المسلمون في القرن السابع للميلاد، وشهدت معارك مصيرية مع الروم البيزينطيين كمعركة مؤتة ومعركة اليرموك والتي أدت في نهاية المطاف لفتح بلاد الشام جميعها في عهد عمر بن الخطاب في عام ١٧ الهجري الموافق عام ٦٣٨ بالتقويم المسيحي بعد إنهاء حكم الرومان

الممتد إلى سبعة قرون كاملة. وبدأت المنطقة تستقبل صبحا أنيقا تحت رأية الحكم الإسلامي حيث شيدت القصور والقلاع الصحراوية في البادية الأردنية؛ المشتى، وعمرة، والخرانة، والقسطل.

وجرى التحكيم في عصر الخليفة علي بن أبي طالب بين الطرفين المتنازعين على الخلافة الإسلامية على أرض الأردن بمكان يعرف باسم "أذرح" فعلى جبل الأشعري وقف أبو موسى الأشعري مندوبا عن علي بن أبي طالب، وعمرو بن العاص مندوبا عن معاوية بن أبي سفيان ليفصلا في الخلاف بين الطرفين.

وشهدت الأرض الأردنية صراعا بين المسلمين والفرنجة الصليبيين بلغ ذروته بإنشاء مملكة بيت المقدس عام ١٠٩٩. لقد أدرك الفرنجة أهمية الأردن لأجل موقعه بين الشام ومصر والحجاز، وأن احتلاله يقطع الطريق عن قيام اتحاد سياسي بين دمشق والقاهرة عدا قطع الطريق التجاري الجسري بين شبه الجزيرة العربية وساحل بلاد الشام.

وكان للأردن دور مهم في إعداد القوات الإسلامية وتجهيزها في أثناء تصديها للفرنجة مما مكن القوات الإسلامية من الانتصار على الفرنجة في معركة حطين يقودها صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٧. وعلى أثر هذه المعركة تمت استعادة بيت المقدس، وطرد الفرنجة من الكرك، وتحول شرق الأردن إلى خط قلاع. كما كان للأردن دور في أثناء هذه الفترة في مقاومة بقايا الوجود الفرنجي في فلسطين. وكان له شرف استعادة بيت المقدس من الفرنجة مرة ثانية عام ٦٣٦هـ / ١٢٣٨م على يد أمير الكرك الأيوبي الناصر داوود[١].

واستمرت أهمية الأردن في الفترة العثمانية كذلك لأنه يشكل ممرا لقوافل الحج الشامية المنطلقة من دمشق الذي كان يخترق الأراضي الأردنية من الشمال إلى الجنوب. وفي بداية القرن العشرين مدَّ الأتراك خطا حديديا من دمشق يربط الحجاز ببلاد الشام يمر عبر الأراضي الأردنية. وكانت الغاية من هذا الخط ربط الأجزاء الجنوبية بالعاصمة العثمانية "إستانبول"، وتكثيف وجودها السياسي والعسكري.

وأعلن الشريف الملك الحسين بن علي في العاشر من حزيران من عام ١٩١٦م ثورة العرب الكبرى من أجل تحرير الأرض والإنسان، وإنشاء دولة عربية مستقلة، ولتحقيق مكانة العرب التي يجب أن تأخذ وضعها الصحيح في هذا العالم الذي يضطرب ويخوض الحروب من أجل المصالح الاقتصادية والسياسية، ومن أجل القومية والاستقلال. وانطلقت رصاصة الثورة من أرض الحجاز من مكة المكرمة، ولتبدأ معها انطلاقة النهضة

[١] ماري ولسن، **تاريخ الأردن**.

الشاملة للعرب جميعا إذ هي ثورة صاغها المفكرون والمتنورون العرب برعاية الشريف الهاشمي لتحقيق الأهداف التي تدارسها أعضاء الجمعيات والمنتديات الأدبية والسياسية على مدى نصف قرن من الزمان يريدون إعلاء الكلمة، ولوضع العرب على طريق التقدم والإعمار والبناء بعد أربعة قرون من الغياب، والتنفس في فضاء الجهل بعيدا عن العلم والرقي في البقاع المختلفة من هذا الكون.

ولعبت الأرض الأردنية دور خشب المسرح الرئيسي للثورة العربية الكبرى وميدان العمل السياسي أيضا فتركزت سيادات الثورة العربية في معان وحولها وفي الأزرق لتستعد للأعمال القادمة فقاتل العرب في الأردن لمدة تحيط على ثلاثمائة يوم. واكتسبت أرض الأردن أهمية خاصة بسبب موقعها الإستراتيجي، وتوسطها ومحاذاتها لمنطقة عمليات الحلفاء في فلسطين. وكان المسرح الأردني هو الأكبر، والعمليات فيه هي الأطول، وتركيز القوات فيه هو الأكثر إضافة إلى توفر عوامل عديدة أسهمت في نجاح العمل العسكري العربي، وأهمها هو إخلاص أهل الأردن ووفاؤهم وإيمانهم برسالة الثورة العربية.

خاضت الثورة العربية الكبرى حروبا بمستوى عمليات الحرب العالمية الأولى. وحققت انتصارات كبيرة، فقدمت للعرب نموذجا في النصر والإنجاز. واعترف الحلفاء بفضل الثورة العربية الكبرى في تحقيق النصر في مسرح الحرب العام، وتوج انتصار الثورة بدخول الجيش العربي إلى دمشق في الثاني من تشرين الأول عام ١٩١٨، ولتبدأ مرحلة الدولة العربية الدستورية بقيادة الأمير فيصل بن الحسين الذي أعلن الدستور، ونظم مؤسسات الدولة، ورفع رأية الثورة العربية وعلم الدولة العربية السورية بألوانه الأربعة مضيفا إليه النجمة السباعية. وتُجْرى الانتخابات البرلمانية التي قدمت للأمة مجلسا برلمانيا باسم المؤتمر السوري العام الذي أرسى قواعد السلطة التشريعية، وأكمل صورة الدولة العربية الحقيقية.

لم تكن رغبات العرب بالاستقلال والوحدة تلتقي مع الأطماع الأخرى التي تقدمت بصورة الجيش الزاحف على دمشق فتقابل الجيشان العربي والفرنسي في منطقة ميسلون، وكانت الغلبة للأقوى بالعدة والسلاح لكن لم تكن روح الثورة العربية لتتراجع ولا رغبة الاستقلال ولا إرادة الحق فما كاد الملك فيصل بن الحسين يغادر أرض بلاد الشام حتى تقدمت قوات الثورة العربية من جديد بقيادة سمو الأمير عبدالله بن الحسين لتصل إلى معان في يوم ١٩٢٠/١١/٢١م ليكون في هذا الوصول الاستمرارُ للقيادة الهاشمية والتصميم على تحقيق الأهداف التي قاتل وضحى من أجلها القادة الهاشميون والعرب.

والأردن جزءا من سوريا يشكل المحافظة الجنوبية التي رأسها "رضا الركابي" الذي أصبح فيما بعد أحد رؤساء الحكومات الأردنية. ولما تم احتلال سوريا الشمالية بشقيها؛ سوريا ولبنان، وخضعت فلسطين للانتداب البريطاني الذي ابتدأ بصورة احتلال، بادر أهل شرق الأردن في محاولة منهم لتنظيم أنفسهم بتشكيل حكومات محلية لإدارة المناطق[٢].

استقلال الأردن

استمر النضال الوطني في الأردن على المستويين الرسمي والشعبي من أجل الحصول على الاستقلال، وبقيت بريطانيا تماطل في تحقيق المطالب الوطنية إلى أن توجت هذه الجهود بإعلان استقلال الأردن. وعقد المجلس التشريعي الأردني جلسة خاصة قدم خلالها قرار مجلس الوزراء، وقرارات المجالس البلدية المتضمنة رغبة البلاد في الاستقلال. كما أعلن قرارا بالإجماع يقضي بما يلي:

- إعلان استقلال البلاد الأردنية باسم "المملكة الأردنية الهاشمية".
- البيعة لسيد البلاد ومؤسسها عبد الله الأول ابن الحسين ملكا دستوريا.
- تعديل القانون الأساسي.

ما بعد الاستقلال

حصل الأردن على الاستقلال من الاحتلال البريطاني بعد جهود مستمرة وأسس حكومة ملكية بقيادة الملك عبد الله الأول بن الحسين. وشاركت المملكة الأردنية الهاشمية في المهام وحصلت على إنجازات عظيمة في سبيل الرقي والإنسانية والسياسة المثلثة الجارية في أرض فلسطين بنهاية القرن التاسع عشر. وفيما يلي نذكر بعض إنجازات المملكة سياسيا في نقاط.

- شارك الأردن في تأسيس جامعة الدول العربية، وانضم إليها عام ١٩٤٥.
- استقل الأردن عن بريطانيا في ٢٥ أيار ١٩٤٦.
- شارك الجيش العربي الأردني في حرب فلسطين ١٩٤٨، وقاتل ببسالة.
- أصبح الأردن عضوا في هيئة الأمم المتحدة في مطلع الخمسينيات من القرن الفائت.
- إعلان الوحدة بين الضفتين في ٢٤نيسان١٩٥٠.

[٢] المصدر السابق، ص ١٢١.

- إعلان الدستور الأردني عام ١٩٥٢ في عهد الملك طلال بن عبد الله بن الحسين بن علي.
- تولي الملك الحسين بن طلال سلطاته الدستورية في ١٩٥٣/٥/٢.
- تعريب قيادة الجيش بتاريخ ١٩٥٦/٣/١.
- إنهاء المعاهدة الأردنية البريطانية عام ١٩٥٧.
- دخل الأردن في وحدة اندماجية مع العراق عام ١٩٥٨ وسمي الاتحاد الهاشمي العربي، لكنه لم يدم إلا لأشهر.
- شارك الأردن في حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧.
- معركة الكرامة في ١٩٦٨/٣/٢١.
- نجا الملك الحسين بن طلال في ٩ يونيو ١٩٧٠ من محاولة فاشلة لاغتياله أثناء مرور موكبه في منطقة صويلح من قبل المنظمات الفلسطينية، وبلغ السيل الزبى لدى القيادة الأردنية حيث تقرر في مقر القيادة العامة للقوات المسلحة الأردنية في عمّان بتوجيه ضربة استئصالية ضخمة وبقوات متفوقة إلى كل المنظمات الفلسطينية داخل المدن الأردنية.
- شارك الأردن في حرب تشرين التحريرية عام ١٩٧٣ في إسناد القوات السورية بالجولان.
- وقف الأردن إلى جانب العراق في حربه ضد إيران ابتداءً من عام ١٩٨٠ حتى عام ١٩٨٨ في "حرب الخليج الأولى".
- فك ارتباط الأردن إدرايا وقانونيا بالضفة الغربية عام ١٩٨٨ بطلب من منظمة التحرير.
- مشاركة الأردن بوفد مشترك مع منظمة التحرير في محادثات السلام في مدريد بعيد حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١.
- التوقيع على معاهدة السلام مع إسرائيل في وادي عربة عام ١٩٩٤، وإنهاء حالة الحرب رسميا بين الطرفين.
- تولي الملك عبد الله الثاني بن الحسين سلطاته الدستورية عام ١٩٩٩.
- إعلان عمّان – عاصمة الأردن، عاصمة للثقافة العربية عام ٢٠٠٢.
- تفجيرات الأربعاء الأسود في ثلاث فنادق بالعاصمة عمّان عام ٢٠٠٦.

هذه بعض الجوانب من التاريخ السياسي للأراضي الأردنية التي عرضناها في هذا الفصل تمهيدا واطلاعا على البيئة الجغرافية والأوضاع السياسية التي تؤثر كبيرا في الآداب والفنون. ونتقدم إلى الفصل الثاني للاطلاع على تاريخ الأدب الأردني وتطوره في العصر الحديث، وإسهامه في الفنون الأدبية الحديثة.

المبحث الثاني

الأدب العربي الأردني

إن من يهتم بالحركة الأدبية في العصر الحديث في الأردن يمكن أن يرصد مسارها من خلال ثلاث مراحل كما يلي:

- أدب زمن الإمارة ١٩٢١-١٩٤٦.
- وأدب ما بين النكبة والنكسة ١٩٤٧-١٩٦٧ أو زمن وحدة الضفتين.
- وأدب ما بعد نكسة حزيران ١٩٦٧.

الأدب العربي الأردني في زمن الإمارة الأردنية

لا بد من الإشارة إلى طبيعة ارتباط الأردن ببلاد الشام حتى أواخر الحكم العثماني، وإلى هيمنة الغزوات القبلية على العلاقات بين القبائل وسكان الأرياف، وندرة التعليم وغياب الصحف والمجلات والمدارس التي تعلم اللغة العربية. كان التعليم ينحصر في الكتاتيب ومدارس الشيوخ التي لا تعدو ثقافتها ومناهجها القليل من مبادئ الحساب، والتركيز على حفظ القرآن، وكتابة الخط العربي. وقد أنشئت أول مدرسة ثانوية أردنية عام ١٩٢٣ بعد مجيء الأمير عبد الله بسنتين، وتخرّج الفوج الأول فيها عام ١٩٢٨.

كان للإمارة دور كبير في تأسيس القومية والوطنية وفي تعزيز الثقافة وتطوير الأدب. واعتمد الأمير عبد الله بن الحسين على المثقفين والأدباء من أبناء سوريا ولبنان والحجاز والعراق والمستنيرين من العرب ممن وفدوا إليه بعد سقوط الحكومة العربية إثر معركة ميسلون عام ١٩٢٠. وأدى ذلك إلى تجاوب الإمارة مع المجتمع العربي الجديد المركب من حملة الأفكار القومية والوطنية.

استقطب الأمير عبد الله بن الحسين الكتّاب والمربين المعبئين بالشعور الوطني المقاوم للاستعمار والتخلف والتجزئة فأقام بعضهم في الأردن بضع سنين، ومنهم خير الدين الزركلي من سوريا، وفؤاد الخطيب من لبنان. وأقام بعضهم الآخر في الأردن فاستقروا فيه وحصلوا على الجنسية الأردنية مثل نديم الملاح الشاعر اللبناني، وحمد الشريقي الشاعر الصحفي الذي أنشأ جريدة "الشرق العربي" أول جريدة أردنية تصدر في عمان بعد إنشاء الإمارة.

"تيسير ظبيان" من أولئك الأدباء الأردنيين الذين استوطنوا الأردن. وهو صحفي سوري نقل جريدته "الجزيرة" من دمشق إلى عمان عام ١٩٣٩، وفتح صفحاتها لحركة أدبية مزدهرة تلاقى فيها الكتّاب العرب والشعراء على اختلاف مذاهبهم ومناهج حياتهم. وكانت صوتا داعيا للوحدة العربية تناوئ الاستعمار الفرنسي والبريطاني، وتعرّضت للإغلاق مرّات عديدة، وأسهمت في رعاية الأدباء الأردنيين الشباب، وشجعت الحركة النقدية. وأسهم الأمير عبد الله بنفسه في الكتابة فيها وكان أديبا فصيحا يجمع في بلاطه الأدباء والشعراء ويحاورهم ويساجلهم في الشعر وتاريخ الأدب، ويقصدُه الشعراء العرب، وله ديوان شعر وأعمال أدبية كاملة منشورة.

وصدرت عشرات المجلات والجرائد زمن الإمارة، وعلى صفحاتها نشرت المئات من القصائد والمقالات الأدبية والقصص الصغيرة، وهذا مهد لإنشاء حركة أدبية بالاستقرار ورعاية الدولة له، ولا ينسى أثر المثقفين العرب الذين تجمعوا في الأردن بعد سقوط حكم الملك فيصل في دمشق وإسهامهم في إرساء قواعد الحركة الأدبية الأردنية.

وبالجملة ازدهر الشعر والنثر في زمن الإمارة، ونهض الأدب على أيدي رواد من أبناء الأردن الأصليين. وكان من أبرز الشعراء مصطفى وهبي التل الملقب بـ"عرار" الذي أصبح شاعر الأردن الأول. يمثل مصطفى هذه الفترة خير تمثيل فإنه قال شعرا فصيحا منظوما أقرب إلى روح الشعب، وكان صوتا جريئا ناطقا باسم فقراء الأمة ومظلوميها في تلك الفترة. وتناول في شعره الخمرة وعني بحياة الغجر الفئة المسحوقة التي تنتمي إلى أصول غير عربية، وتعيش في الأردن متنقلة من قرية إلى أخرى، وتمتهن التسول بالعزف على الآلات الموسيقية. وظل حب الوطن هاجس الشاعر الأول.

وفي حقل النثر كان محمد صبحي أبو غنيمة أول من كتب "أغاني الليل"؛ مجموعة قصص اجتماعية وأخلاقية وأدبية، وخواطر متقدمة في فن الأدب في هذه المرحلة من عمر الإمارة الأردنية، وكان أبو غنيمة شاعرا مقلا.

ومهد هذان الأديبان الأردنيان الدرب لجيل أنتج أدبا ذا مضمون قومي وحدويّ مقاوم للاستعمار والتخلف، وذا مضمون فلسفي وإنساني وسياسي يسعى إلى إحداث تغيير ونقلة حضارية في أداء تعبيري راق وفصاحة لغة أهلاهما ليكونا رائدين في الأردن. وكان هناك شعراء أدنى قامة منهما، وبعضهم نضجت تجربته بعد عهد

الإمارة. وظهر في هذه المرحلة ديوانان شعريان هما "هياكل الحب" لحسني فريز، و"أطياف وأغاريد" لحسني زيد. أما شعر عرار فلم يطبع إلا بعد وفاته سنة ١٩٤٩م.

وإذا تطرقنا إلى مجال القصة الطويلة في الأردن فوجدنا أنه ظهر في الإمارة كتاب "ذكريات" لشكري شعشاعة عام ١٩٤٥، وكتاب "أين حماة الفضيلة؟" لتيسير ظبيان، وقد نشره في حلقات في جريدة "الجزيرة". أما القصة القصيرة فكانت لونا أدبيا كتبه بعض الأدباء ولم يتخصص فيه أديب محدد في مرحلة الإمارة الأردنية، لكنهم نشروا عشرات القصص في المجلات والصحف، ولم تصدر فيها أية مجموعة قصصية.

الأدب العربي الأردني بعد وحدة الضفتين ١٩٥٠-١٩٦٧:

نزح إلى الأردن بعد نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ نحو نصف مليون لاجئ فلسطيني إلى الضفة الشرقية. واجتمع أهل الضفة في أريحا، وقرروا الانضمام إلى الأردن في دولة واحدة عام ١٩٥٠، وتشتتت بقية الشعب الفلسطيني في ربوع الأرض. وأصبح المجتمع الأردني مركبا من فلسطينيين وأردنيين بنسبة متقاربة تجمعهم هويّة أردنيّة فلسطينية موحّدة وظهر أدب جديد يمثل هذا الاتجاه الجديد. وقد تضاعف عدد السكان، واتسعت مساحة الوطن، وكثر عدد المدارس والمتعلمين وخريجي الجامعات ونشطت حركة الثقافة والأدب، ونشأ حوار دائم حول الهم الفلسطيني.

وكان عقد الخمسينات والستينات مرحلة التأسيس للأدب الأردني الحقيقي ففيها نشأت المجلات الأدبية المتخصصة التي ترعى الأدب وتشجع الأدباء. وفي هذه المرحلة تعددت المنابر الأدبية وكثر التأليف[٣]. وظهر بعد وحدة الضفتين أدب جديد من تمازج الهوية الأردنية والفلسطينية أنتج أدباء فلسطينيين أردنيين كتبوا الرواية والقصة مثل جُمعة حماد، ومفيد نحلة، وشعراء أردنيين فلسطينيين مثل خليل زقطان وفدوى طوقان.

ظهرت في هذه المرحلة اتجاهات أدبية متنوعة تحمل سماتها، وصدرت أجناس أدبية منشورة إضافة إلى كثرة المنتديات الأدبية وازدياد عدد الصحف. وأنتج ذلك أدبا ذا مضمون متنوع الاتجاهات فهناك أدباء فلسطينيون أردنيون كتبوا الرواية والقصة مثل جُمعة حماد ومفيد نحلة وأمين شنار، وأدباء أردنيون كتبوا هذا اللون الأدبي مثل عيسى الناعوري وحسني فريز وسليمان المشيني.

---

[٣] حمدي السكوت، **قاموس الأدب العربي الحديث** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥م).

وهناك شعراء أردنيون فلسطينيون مثل خليل زقطان وفدوى طوقان، وجمعة حماد، وأسد محمد القاسم، وأمين شنار، وأيوب طه، ورجا سمرين، وكمال ناصر، ويوسف الخطيب، وهم الذين نظموا شعرا تقليديا وشعرا حرا. أما أشهر شعراء الضفة الشرقية من الأردنيين فهم حسني فريز وعبد المنعم الرفاعي. وأشهر شعراء الشعر الحر في هذه المرحلة عبد الرحيم عمر، وتيسير سبول، وحيدر محمود، وأسد محمد القاسم.

وفي هذه المرحلة صدر نحو ثمانين ديوان شعر وعشر روايات. وفي مجال القصة القصيرة ظهر سيف الدين الإيراني وله خمس مجموعات قصصية، وأمين فارس ملحس، ومحمد أديب العامري.

ومن الأدباء الواعدين الذين يكتبون بكثرة، ويهيمنون على وسائل الإعلام الأردنية الشعراء محمد القيسي وإبراهيم نصر الله، وفي مجال القصة والرواية جمال ناجي ومؤنس الرزاز وسالم النحاس، وفي مجال المقالة الأدبية والخاطرة إبراهيم العجلوني وطارق مصاروة وخالد محادين وخالد الساكت، وفي مجال الدراسات التراثية للأدب يبرز ركس العزيزي ويعقوب العودات "البدوي الملثم"، وعبد الحليم عباس، وفي مجال القصة القصيرة تحديدا يظهر فخري قعوار ومحمود الريحاوي وبدر عبد الحق.

مرحلة ما بعد نكسة حزيران ١٩٦٧ حتى اليوم:

كان عقد الخمسينات والستينات مرحلة التأسيس للأدب الأردني الحقيقي ففيها نشأت المجلات الأدبية المتخصصة التي ترعى الأدب وتشجع الأدباء. أصدر عيسى الناعوري مجلة "القلم الجديد" في عام ١٩٦١، وهي كانت لسان حال المثقفين الأردنيين، جمعت الشباب والشعراء والقصاصين على صفحاتها، وتنشر إنتاجاتهم أسبوعيا طوال خمس سنوات (١٩٦١- ١٩٦٥). ثم أصدرت دائرة الثقافة والفنون في الأردن مجلة "أفكار" عام ١٩٦٦، وهي لا تزال حتى اليوم تتبنى الأدب الأردني أولا، والعربي ثانيا. وفي هذه المرحلة تعددت المنابر الأدبية وكثر التأليف، ونشأت رابطة الكتّاب الأردنيين عام ١٩٧٦ التي ضمّت مئات الشعراء والكتّاب في أنشطتها. وغذّى الإعلام الأردني الصحف والمجلات الأردنية برامجه وطاقاته بألوان أدبية كثيرة، وكثرت الدراسات النقدية في هذا الأدب. ويمكن القول إن دواوين الشعر الأردني قد نيفت على أربعمئة ديوان شعر، وثمانين رواية، ومئة مجموعة قصصية قصيرة إضافة إلى مئات الكتب التي تناولت الخواطر الأدبية[٤].

[٤] المرجع السابق.

أما موضوع الدراسات الأدبية الأردنية فإن أوائل هذه المراجع التي تخصصت في الأدب ولها فائدتها ودورها هي دراستا ناصر الدين الأسد "الاتجاهات الأدبية في فلسطين والأردن"، و"الشعر الحديث في فلسطين والأردن". وقد ربطتا الأدب الفلسطيني والأردني معا من دون تحديد، وركزتا على أدب الإمارة لكنهما عبدتا الدرب للسالكين والباحثين. وكانت دراستا سمير قطامي "الحركة الأدبية في شرقيّ الأردن"، و"الحركة الأدبية في الأردن" قد عالجتا الأجناس الأدبيّة المختلفة من دون تركيز على جنس أدبي بعينه. أما الشعر فنشأت فيه دراستان؛ "الحركة الشعرية في الضفة الشرقية لعيسى الناعوري"، ودراسة محمود محسن مهيدات "اتجاهات شعراء شمال الأردن"، وقد اهتمتا بالشعر في إطار ضيق. وركّزت دراسة فواز طوقان "الحركة الشعرية في الأردن" على الجانب الإحصائي الوصفي في صفحات قليلة. واتسمت دراسة إبراهيم خليل "الشعر المعاصر في الأردن" بأنها مجموعة مقالات نقدية لعدد محدود من دواوين الشعر الأردني.

وجملة القول إن الأدب الأردني في الصف الثاني من الأدب العربي من حيث جودة الإنتاج وسلامة البناء الفني وسعة الانتشار، فلم يُتح لشاعر أن يتجاوز الحدود الأردنية وأن يدرّس شعره في مناهج الدول العربية المجاورة. ولا يزال القصاصون الأردنيون في دائرة الشهرة المحلية لأن تجربتهم لم تنضج بعد. وهذا يعود إلى أن الحركة الأدبية ولدت متأخرة، وأن النبوغ الأدبي والأعمال الأدبية المتقدمة لم تظهر بعدُ بصورتها الجلية.

ومن الأدباء والشعراء الجدد الذين يأتون بأعمال غزيرة ويشرفون وسائل الإعلام الأردنية محمد القيسي وإبراهيم نصر الله، وفي مجال القصة والرواية جمال ناجي ومؤنس الرزاز وسالم النحاس، وفي مجال المقالة الأدبية والخاطرة إبراهيم العجلوني وطارق مصاروة وخالد محادين وخالد الساكت، وفي مجال الدراسات التراثية للأدب يبرز ركس العزيزي ويعقوب العودات (البدوي الملثم)، وعبد الحليم عباس، وفي مجال القصة القصيرة تحديدا يظهر فخري قعوار ومحمود الريحاوي وبدر عبد الحق[٥].

[٥] المرجع السابق، ص ٧٨.

الفصل الثاني

نشأة سناء الشعلان وحياتها

المبحث الأول

مولد سناء الشعلان ونشأتها

مولدها ونشأتها:

ولدت سناء الشعلان في ليلة صيفية بتاريخ ٢٠ مايو ١٩٧٧ في مدينة صويلح، وهي ضاحية من ضواحي العاصمة الأردنية عمان، لتكون بذلك الابنة البكر لوالديها، والأولى من بين ١٢ أخا وأختا أشقاء. وقد وُلدت سناء الشعلان في حي من أحياء الشيشان المهاجرين إلى الأردن. أما أسرة سناء الشعلان فهي أسرة محبة للعلم والثقافة؛ برز فيها كثير من الكتاب، والتربويين، والصحفيين، والإعلاميين المشهورين على الرغم من أن والديها لم يكملا تعليمهما الجامعي بيد أنهما كانا مولعين بالعلم والعلماء.

تأثرت سناء الشعلان بأسرتها تأثرا كبيرا، وكانت أمها أشد ما تأثرت بها إذ كانت هي التي تحبها كثيرا، وتعدها عرابتها وصديقتها المقربة منها فكانت تقول دائما: "أنا من أسرة تحفل بالأفكار، والخلافات، والتناقضات، والتناحرات، والعتاب، ولكنها كذلك تملك ذاكرة تضج بالحب، والذكريات المشتركة، وبمواقف المؤازرة والتفاني والتضحية. أسرتي عالم صغير، وأجمل ما فيه أن تعيش جزئياته ولحظاته، وتستقي من تجاربه وخبراته العملية والشعورية".

مسيرتها التعليمية:

أبدت سناء الشعلان تفوقا واضحا ونبوغا بارزا في دراستها منذ نعومة أظفارها. وهي درست الابتدائية، والإعدادية، والثانوية في مدينة صويلح وتخرجت فيها. وانتقلت إلى جامعة اليرموك لتحصل على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها سنة ١٩٩٨، ثم انتقلت إلى الجامعة الأردنية حيث نالت شهادة الماجستير في الأدب الحديث سنة ٢٠٠٣، ثم شهادة الدكتوراه في اللغة العربية سنة ٢٠٠٦ بتقدير امتياز. وعينت مباشرة عضو هيئة التدريس في الجامعة الأردنية لتكون أصغر أستاذة جامعية في الجامعة في حينها.

مسيرتها الإبداعية والأكاديمية:

طار نجم سناء الشعلان منذ التسعينات من القرن الماضي في سماء الإبداع العربي بطائفة من الإبداعات الروائية والقصصية حين دشنتها بمجموعة قصصية باسم "الجدار الزجاجي" ورواية "السقوط في الشمس". ثم

تتالت بعد ذلك أعمالها الإبداعية التي نالت اهتمام الباحثين والأكاديميين والإعلاميين، وخلقت لها مدرسة إبداعية خاصة جذبت لها القراء والمولعين. وقد تجسدت ملامح هذه المدرسة بشكل واضح في روايتها الشهيرة "أعشقني".

ولم تتخلَ الكاتبة في الوقت ذاته عن اهتمامها الكبير بالعمل في قضايا حقوق الإنسان إلى جانب اهتمامها بالعمل الإعلامي، فضلا عن اهتمامها الأكبر بتخصصها الأكاديمي في حقل الأدب الحديث إذ تعمل أستاذة للأدب الحديث في الجامعة الأردنية. ولها عشرات الدراسات النقدية المهمة المحكمة المنشورة في مجلات عربية وعالمية بأكثر من لغة. وهي مشرفة على الكثير من الأطروحات العلمية العربية فضلاً عن عضويتها في الكثير من الهيئات الاستشارية والتحريرية والتحكيمية في مجلات علمية محكمة، وعضويتها في اللجان التحكيمية لكثير من اللجان وإدارات الجوائز وتحكيم الأعمال البحثية والإبداعية.

وقد علمت سناء الشعلان لبعض الوقت أستاذة زائرة أو محاضرة ضيفة في كثير من جامعات العالم مثل جامعة مصطفى إسطمبولي بالجزائر، وجامعة أسطنبول بأسطنبول، وأكاديمية الأمير حسين بن عبدالله الثاني للحماية المدنية في الأردن، وجامعة الشرق الأوسط بالأردن، وفي الهند جامعة جواهرلال نهرو، والجامعة الملية الإسلامية، وجامعة كلكتا، والجامعة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا، وجامعة جولالونكورن في تايلاند، وجامعة كاليفورنيا في الولايات المتحدة، وجامعة تريست في إيطاليا، وجامعة آل البيت في الأردن، والمجلس العالمي للبرامج الدولية (CIEE) بفرع الأردن، وجامعة العلوم الإسلامية بالأردن.

نشاطاتها العلمية في منظمات أدبية مختلفة:

تشتمل نشاطات الكاتبة على حضورها في المحافل الأدبية المختلفة في الأردن وخارجها. ولديها عضويات في كثير من المحافل الأدبية والهيئات الاستشارية للمجلات البحثية والجرائد والدوريات الدولية كما يأتي بيانها فيما يلي:

(١) عضوية رابطة الكتاب الأردنيين

(٢) اتحاد الكتاب العرب

(٣) أسرة أدباء المستقبل

(٤) منتدى عمون للأدب والنقد

(٥) ملتقى الكرك الثقافي

(٦) دار ناجي نعمان للثقافة

(٧) رابطة الأدباء العرب

(٨) المركز المتوسطي للدراسات والأبحاث

(٩) جمعية المترجمين واللغويين العرب "واتا"

(١٠) هيئة تحرير ضفاف الدجلتين العليا

(١١) المعهد الدولي لتضامن النساء

(١٢) جمعية النقاد الأردنيين

(١٣) رابطة الأدباء العرب

(١٤) وكالة أنباء عرار بوابة الثقافة العربية

(١٥) جمعية المترجمين واللغويين المصريين

(١٦) جمعية الأنوار الإنسانية المستقلة

(١٧) المجلس العالمي للصحافة

(١٨) الهيئة الاستشارية لمجلة المجتمع التربوي

(١٩) جمعية الأخوة الأردنية الفلسطينية

(٢٠) هيئة تحرير "مرايا من المهجر"

(٢١) هيئة استشارية في مجلة الجسرة الثقافية

(٢٢) الهيئة العلمية الاستشارية لـ"ملتقى السرد المغاربي" قسم الأدب العربي جامعة سكيكدة الجزائر

(٢٣) منظمة كتّاب بلا حدود

(٢٤) اللجنة التحضيرية الدولية للمؤتمر الأول لعمداء الدراسات العليا والبحث العلمي لاتحاد الجامعات العربية؛ جامعة الأقصى في غزة بالتعاون مع المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي لاتحاد الجامعات العربية

(٢٥) رابطة الكتاب العراقيين في أستراليا

(٢٦) هيئة استشارية في المجلة العربية للجودة وأفضل الممارسات والتميز

(٢٧) الهيئة الاستشارية العلمية والإعلامية لمجلة المنار الثقافية الفضائية

(٢٨) اللجنة الإعلامية للمؤتمر الفرانكوفوني الأردني الدولي الثاني في جامعة آل البيت في الأردن بعنوان "تلقي ألف ليلة وليلة في حقول العلوم الإنسانية عالميا"

(٢٩) مجلس المنتدى الإقليمي للإعلام

(٣٠) مركز التأهيل والحريات الصحفية CTPJF والمنسقة الرسمية له في الأردن

(٣١) محررة في صحيفة "بلا حدود" التابعة لمنظمة كتاب بلا حدود

(٣٢) دار القصة العربية العراقية

(٣٣) اللجنة العلمية في الملتقى الدولي الثاني الموسوم بـ"سوسيولوجية الرواية في ضوء المناهج النقدية المعاصرة" لعام ٢٠١٣م جامعة زيان جلفة بالجزائر

(٣٤) اللجنة العلمية للملتقى الوطني الأول حول "الرواية الجزائرية في ضوء المناهج النقدية المعاصرة"

(٣٥) رابطة النهر الخالد الأدبية

(٣٦) هيئة استشارية علمية محكمة في مجلة "قراءات" العلمية المحكمة الصادرة عن كلية الآداب واللغات بجامعة معسكر الجزائر

(٣٧) مجلس كبار النقاد العرب

(٣٨) مندوبة دولية في "منظمة السلام والصداقة الدولية" الدنمارك

(٣٩) مجلس الكتاب والأدباء والمثقفين العرب

(٤٠) مديرة فرع مكتب عمان الأردن لـ"منظمة الضمير العالمي لحقوق الإنسان" سيدني أستراليا

(٤١) مديرة تحرير مجلة "وجهات" العلمية المحكمة الصادرة عن مؤسسة مليطان للبحوث والدراسات والإنماء الثقافي

(٤٢) عضو شرف في رابطة مبدعي تبوك

(٤٣) عضو هيئة تحرير في المجلة العالمية "Multicultural Echoes Literary Magazine" الصادرة عن جامعة شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية

(٤٤) عضو هيئة استشارية في مجلة الأطروحة العراقية العلمية المحكمة

(٤٥) عضو الهيئة الاستشارية الدولية في مجلة المجمع العلمي العربي الهندي الصادرة عن قسم اللغة العربية جامعة علي جراه، علي جراه الهند

(٤٦) عضو هيئة استشارية في المجلة العربية للجودة وأفضل الممارسات والتميز

(٤٧) عضو هيئة استشارية في مجلة المصدر الإلكترونية العلمية المحكمة الصادرة عن جامعة العبقرية مصر

(٤٨) عضو هيئة تحرير في مجلة "أوراق" الصادرة عن رابطة الكتاب الأردنيين منذ عام ٢٠١٥[٦].

المناصب الأخرى:

وكانت الكاتبة سناء الشعلان كذلك عملت مشتغلة بمناصب ووظائف عديدة في هيئات ومنظمات مختلفة كما يأتي ذكرها فيما يلي:

(١) عملت سناء الشعلان نائبة لرئيس مجلس الإدارة في جريدة "رأي الأمة" المصرية

(٢) رئيسة قسم الأدب والفنون ومحررة صحفية فيها

(٣) مراسلة لمجلة الجسرة الثقافية في قطر

(٤) مراسلة لمجلة النجوم

(٥) مراسلة لصحيفة الأنوار والتلغراف الناطقات بالعربية في سيدني أستراليا

(٦) ممثلة لمؤسسة "جولدن دزرت" "Golden Desert Foundation" البولندية في الشرق الأوسط

(٧) منسقة رسمية في الأردن لمركز التأهيل وحماية الحريات الصحافية "CTPJF"

(٨) مديرة فرع "منظمة كتاب بلا حدود" في الأردن

(٩) مديرة فرع "دار القصة العربية العراقية" في الأردن

(١٠) مديرة فرع "لجنة مهرجان العنقاء الذهبية الدولية" في الأردن

(١١) أمينة عامة لجائزة مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع لعام ٢٠٠٩

(١٢) رئيسة القسم الثقافي في وكالة كرم الإخبارية

(١٣) ممثلة لرابطة النهر الخالد الأدبية، ومديرة لمكتبها في عمان

(١٤) مستشارة لمبادرة "حياتك بتهمنا" التي أطلقتها مجموعة "المستقبل المزدهر" في عام ٢٠١٤

(١٥) ممثلة "منظمة النسوة العالمية" في الأردن.

---

[٦] الدكتورة سناء كامل أحمد شعلان، **موقع الجامعة الأردنية**، الرابط:

http://academic.ju.edu.jo/s.shaalan/default.aspx

الأسبوعيات:

وكان للكاتبة سناء الشعلان عامود أسبوعي ثابت في الصحف والمجلات الآتية:

(١) صحيفة الدستور الأردنية

(٢) صحيفة أبعاد متوسطية المغربية

(٣) صحيفة الرائد السودانية

(٤) مجلة أصداء الفلكية في الإمارات العربية المتحدة

(٥) مجلة الحكمة العراقية

(٦) صحيفة التلغراف في سيدني، أستراليا

(٧) صحيفة حق العودة الفلسطينية

(٨) موقع الناس الإلكتروني

(٩) صحيفة "الاتحاد" الكردية

(١٠) صحيفة "النجاح" الجزائرية[٧].

عملها في الإعلام الثقافي:

تنطلق سناء شعلان في عملها الإعلامي من منطلقين، أحدهما الدفاع عن حقوق الإنسان لأنها ممثلة لكثير من المؤسسات الحقوقية في الشرق الأوسط مثل منظمة النسوة العالمية في الأردن، ومركز التأهيل وحماية الحريات الصحافية (CTPJF)، ومنظمة الضمير العالمي لحقوق الإنسان سيدني أستراليا، ومنظمة السلام والصداقة الدولية في مملكة الدنمارك (Peace And Friendship International Organization). كما أنها حاصلة على نجمة السلام من المنظمة ذاتها للعام ٢٠١٤.

أما المنطلق الثاني فهو اهتمامها الكبير بأدباء جيلها وعلمائه ومفكريه، ولذلك إنها حرصت على تقديم من تستطيع تقديمهم منهم عبر مقابلات إعلامية منشورة تتصدى لمنجزهم الإبداعي والعلمي والفكري. وهي بذلك أشاعت نوعا خاصا من المجاورات الإعلامية للمبدعين والعلماء والمفكرين، ثم نشرت تفاصيل أقوالهم وأفكارهم عبر هذه المجاورات لتشارك فيها الإنسانية كاملة.

---

[٧] الدكتورة سناء كامل أحمد شعلان، **موقع الجامعة الأردنية**.

جوائزها الأدبية والإبداعية:

(١) جائزة فلسطين العالمية للآداب، ٢٠٢٢م[٨].

(٢) الجائزة الذهبية الأولى في الآداب في حقل القصة القصيرة لمجموعتها "تقاسيم الفلسطيني"، ٢٠١٥.

(٣) جائزة هيفاء السنعوسي لكتابة المونودراما، حقل الكتابة المسرحية، النص المونودرامي، ٢٠١٥.

(٤) جائزة زحمة كتاب للثقافة والنشر الدولية في حقل القصة القصيرة ٢٠١٥.

(٥) جائزة أفضل صحفي في جريدة رأي الأمة، ٢٠١٥.

(٦) جائزة صلاح هلال الأدبية للقصة القصيرة في الدورة ١٤ لها في حقل القصة القصيرة ٢٠١٥.

(٧) جائزة مهرجان القلم الحر للإبداع العربي في الدورة الخامسة في حقل القصة القصيرة، ٢٠١٤.

(٨) جائزة القصة الومضة العالمية في حقل القصة الومضة، القصص الومضات"، ٢٠١٤.

(٩) جائزة الشهيد عبد الرؤوف الأدبية السنوية، دورة "يوم الشهيد" في حقل التأليف المسرحي، ٢٠١٤.

(١٠) جائزة الناصر صلاح الدين الأيوبي / جائزة الأديب المرحوم محمد طمليه في القصة القصيرة، ٢٠١٤.

(١١) الجائزة التقديرية لأجمل كتاب، ٢٠١٤.

(١٢) جائزة أكثر ٥٠ شخصية مؤثرة في الأردن، الحصول على المرتبة رقم ١٩ سنة ٢٠١٣.

(١٣) جائزة العنقاء الذهبية الدولية للمرأة المتميزة، ٢٠١٣.

(١٤) جائزة مؤتمر المرأة العربية، ٢٠١٢.

---

[٨] عمار الزريقي، "د. سناء الشعلان تستلم جائزة فلسطين العالمية للآداب للعام ٢٠٢٢"، **آفاق حرة**، ٢٠٢٢/١١/٠٦م، متاح على:
https://www.afaqhorra.com/%d8%a3%d8%ae%d8%a8%d8%a7%d8%b1-%d8%ab%d9%82%d8%a7%d9%81%d9%8a%d8%a9/%d8%af-%d8%b3%d9%86%d8%a7%d8%a1-%d8%a7%d9%84%d8%b4%d8%b9%d9%84%d8%a7%d9%86-%d8%aa%d8%b3%d8%aa%d9%84%d9%85-%d8%ac%d8%a7%d8%a6%d8%b2%d8%a9-%d9%81%d9%84%d8%b3%d8%b7%d9%8a%d9%86-%d8%a7%d9%84%d8%b9%d8%a7/

(١٥) جائزة منظمة كتاب بلا حدود، ٢٠١٢.

(١٦) جائزة كلاويز التقديرية للإبداع، ٢٠١٢.

(١٧) جائزة دبي الثقافية للإبداع في دورتها السابعة، ٢٠١٠/٢٠١١.

(١٨) جائزة أحمد بوزفور للقصة القصيرة في دورتها التاسعة، ٢٠١١.

(١٩) جائزة معبر المضيق في دورتها الرابعة في حقل القصة القصيرة / الجائزة الأولى، ٢٠١١.

(٢٠) جائزة جامعة فيلادلفيا التاسع للمسرح الجامعي العربي، أحسن نص مسرحي، ٢٠١٠.

(٢١) جائزة الشيخ محمد صالح باشراحيل للإبداع الثقافي العالمية في دورتها الثالثة في حقل الرواية والقصة القصيرة عن مجمل إبداعات سناء الشعلان الروائية والقصصية، ٢٠١٠.

(٢٢) جائزة الكاتب الشاب / مؤسسة عبد المحسن قطان، الجائزة التشجيعية في حقل المسرح، ٢٠٠٩.

(٢٣) جائزة بصيرا الثامنة "شهداء الثورة" في القصة القصيرة، ٢٠٠٩.

(٢٤) جائزة ساقية الصاوي الإبداعية في القصة القصيرة، ٢٠٠٩.

(٢٥) جائزة أدب العشق لوكالة سفنكس، ٢٠٠٩.

(٢٦) جائزة شرحبيل بن حسنة للعام، ٢٠٠٨.

(٢٧) جائزة جمعية جدة للثقافة والفنون في المسرح، ٢٠٠٨.

(٢٨) جائزة مجلة ملامح ثقافية في حقل المجموعة القصصية المخطوطة، ٢٠٠٨.

(٢٩) جائزة باسم "حبي لكَ" لكتابة أفضل رسالة حب، ٢٠٠٨.

(٣٠) جائزة أنجال هزاع آل نهيان لأدب الأطفال / حقل قصة الأطفال في دورتها العاشرة، ٢٠٠٧.

(٣١) جائزة الحارث بن عمير الأزدي للإبداع في دورتها في القصة القصيرة، ٢٠٠٧.

(٣٢) جائزة الجامعة الهاشمية لكتابة النص المسرحي، ٢٠٠٧.

(٣٣) جائزة الكاتب الشاب، القصة القصيرة، ٢٠٠٦.

(٣٤) جائزة الناصر صلاح الدين الأيوبي في دورتها الثالثة، أحسن نص مسرحي، ٢٠٠٦.

(٣٥) جائزة جمعية مكافحة إطلاق العيارات النارية، حقل القصة، ٢٠٠٦.

(٣٦) جائزة الشارقة للإبداع العربي في القصة القصيرة، ٢٠٠٦.

(٣٧) جائزة دار ناجي نعمان للثقافة عن السيرة الغيرية للأطفال، ٢٠٠٦.

(٣٨) جائزة الجامعة الأردنية بالمركز الأول بلقب مسرحي الجامعة عن أحسن نص مسرحي، ٢٠٠٦.

(٣٩) جائزة ساقية الصاوي في القصة القصيرة، ٢٠٠٦.

(٤٠) جائزة البجراوية لأحسن بحث علمي، ٢٠٠٥.

(٤١) درع رئيس الجامعة الأردنية للطالب المميز أكاديمياً وإبداعياً، ٢٠٠٥.

(٤٢) جائزة الناصر صلاح الدين الأيوبي في دورتها الثانية في القصة، ٢٠٠٥.

(٤٣) جائزة الدكتورة سعاد الصباح في القصة القصيرة، ٢٠٠٥.

(٤٤) جائزة الدولة الأردنية للإبداع الشبابي في القصة القصيرة، ٢٠٠٥.

(٤٥) جائزة لقب قاصة الجامعات الأردنية، للعام ٢٠٠٥.

(٤٦) جائزة المسابقة الثقافية في الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥.

(٤٧) جائزة الناصر صلاح الدين الأيوبي في الرواية، ٢٠٠٥.

(٤٨) جائزة أدباء المستقبل في القصة، ٢٠٠٥.

(٤٩) جائزة الكتابة المسرحية، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥.

(٥٠) جائزة جامعة مؤتة في القصة القصيرة، ٢٠٠٤.

(٥١) جائزة رابطة الأدب الإسلامي للقصة القصيرة، ٢٠٠٤.

(٥٢) جائزة ولقب الجامعة الأردنية في حقل القصة القصيرة، ٢٠٠٤.

(٥٣) جائزة ولقب الجامعة الأردنية في حقل الخاطرة، ٢٠٠٤.

(٥٤) جائزة ولقب الجامعة الأردنية في حقل نهاية القصة القصيرة، ٢٠٠٤.

(٥٥) جائزة قسم اللغة العربية، الجامعة الأردنية في القصة القصيرة، ٢٠٠٤.

(٥٦) جائزة الدولة الأردنية للإبداع الشبابي في القصة القصيرة، ٢٠٠٤.

(٥٧) جائزة أدباء المستقبل للقصة القصيرة في القصة، ٢٠٠٤.

الجوائز الأدبية التي رفضتها:

(١) رفضت الكاتبة سناء الشعلان رسمياً ترشيحها لجائزة "الأردن أفضل: جائزة أفضل المثقفين للعام ٢٠١٣"، جمعية الجنوب الأردنية، الأردن، ٢٠١٤.

الأوسمة والدروع والتكريمات:

(١) درع "النجوم" للتميز الإبداعي والإعلامي من مجموعة صحف ومجلات: النجوم والتلغراف والأنوار للصحافة للعام ٢٠١٠ من سيدني أستراليا.

(٢) درع الجامعة الأردنية لعضو هيئة التدريس المتميز إبداعياً وأكاديمياً للعام ٢٠٠٩ ضمن حفل حصاد عمادة البحث العلمي.

(٣) لقب "واحدة من أنجح ٦٠ امرأة عربية للعام ٢٠٠٨" ضمن الاستفتاء العربي الذي أجرته مجلة "سيدتي" الصادرة باللغة العربية واللغة الإنجليزية.

(٤) درع الجامعة الأردنية لعضو هيئة التدريس المتميز إبداعياً وأكاديمياً للعام ٢٠٠٧ ضمن حفل حصاد عمادة البحث العلمي.

(٥) درع الجامعة الأردنية لطالب الدراسات المتميز إبداعياً وأكاديمياً للعام ٢٠٠٦ ضمن حفل حصاد عمادة البحث العلمي.

(٦) درع رئيس الجامعة الأردنية للطالب المميز أكاديمياً وإبداعياً للعام ٢٠٠٥.

(٧) درع الملحقية الثقافية العراقية تقديرا لدعم الكاتبة سناء الشعلان الأدب العراقي والكردي للعام ٢٠١٢م.

(٨) درع مهرجان الفحيص في دورته الثانية والعشرين للعام ٢٠١٢م.

(٩) درع المنبر الثقافي لخالد شفيق المنيزل للعام ٢٠١٢م.

(١٠) درع وزير الثقافة العراقية للتميز والإبداع للعام ٢٠١٢م.

(١١) درع مهرجان كلاويز للتميز في دورته الخامسة عشرة للعام ٢٠١١.

(١٢) درع مهرجان كلاويز للتميز في دورته السادسة عشرة للعام ٢٠١٢.

(١٣) الدرع التكريمي للسفارة العراقية في الأردن على حسن التعاون مع المؤسسات العراقية وعظيم الشعور بالمسؤولية تجاه العراق للعام ٢٠١٣.

(١٤) تكريم ووثيقة شكر من السفير البلغاري في عمان "ألكسندر كوفاتشيف" على جهود سناء الشعلان في دعم الثقافة البلغارية والتواصل معها.

(١٥) مهرجان تكريمي لسناء الشعلان في ثانوية الفحيص للبنات الأردن بمشاركة رسمية من وزارة التربية والتعليم الأردنية تقديراً لدور الكاتبة الإبداعي والثقافي وحصولها على الكثير من الجوائز الإبداعية عام ٢٠١٣.

(١٦) تكريم من أسرة نجوم العربية في العاصمة الأردنية عمان تحت شعار "أبرز شخصية أدبية أردنية لعام ٢٠١٣م بفندق مطار الملكة علياء عام ٢٠١٤.

(١٧) تكريم من الأستاذ الدكتور عبد القادر الخالدي رئيس جامعة معسكر في الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية تقديراً لتميز سناء الشعلان الأكاديمي والإبداعي ٢٠١٤.

(١٨) تكريم من جامعة معسكر في الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية لدور الكاتبة الريادي النسوي ضمن فعاليات احتفال الجامعة بيوم المرأة ٣/٨ للعام ٢٠١٤.

(١٩) درع وتكريم من حزب مصر المستقبل في مهرجانه في العام ٢٠١٤ تقديراً لدور الكاتبة في العمل العام الخدمي والاجتماعي ومساهمتها البناءة في إثراء العلم السياسي.

(٢٠) لقب نجمة السلام لعام ٢٠١٤ من "منظمة السلام والصداقة الدولية" في مملكة الدنمارك[9].

(٢١) امرأة الأسبوع في برنامج سيدتي قناة روتانا الخليجية (شهر ١ للعام ٢٠١٥).

(٢٢) تكريم برعاية ملكية "الأميرة آية بنت فيصل" في مركز زها الثقافي للعام ٢٠١٥ بمناسبة عيد الأم.

(٢٣) لقب "الأم المثالية" المختارة من قبل مجلس الكتاب والأدباء والمثقفين العرب لدور الكاتبة المتميز والفعال في بناء أجيال ناجحة تعمل على تقدم ورقي الوطن.

(٢٤) تكريم في جامعة جواهر لال نهرو بالتعاون مع مركز الدراسات العربية والإفريقية لجهود الكاتبة النقدية والإبداعية، نيو دلهي الهند عام ٢٠١٦.

وتطول القائمة للجوائز والتكريمات للكاتبة المبدعة والأكاديمية سناء الشعلان التي هي كثيرة الترحال وغزيرة الإنتاج. وهنا نكتفي بما ذكرنا في الأعلى لبيان المكانة الأدبية والأكاديمية لسناء الشعلان.

[9] Peace & Friendship International Organization.

المبحث الثاني

العوامل الرئيسية لتكوين شخصيتها الأدبية

البيئة أشد العوامل تأثيرا، وبها يتأثر الإنسان أكثر من العوامل والمؤثرات الأخرى. ومن المعلوم بداهة أن لهذه العوامل دورا بارزا في تكوين أي إنسان شخصية متميزة إما سلبا وإما إيجابا. والزمان والمكان هما أكثر العوامل تأثيرا لكل إنسان بل لكل ما في هذه الكائنات شجرا كان أو حجرا كما تؤدي الثقافة والأسفار والحكايات واللقاءات أدوارها في بناء الإنسان. والكاتبة الأردنية سناء الشعلان تأثرت بعوامل أسهمت بدور كبير في بناء شخصيتها أديبة متميزة تتفرد عن كثير من أترابها ونظيراتها الأديبات في العالم العربي. وهناك نلخص بعضا من تلك العوامل بإيجاز.

حبها للسفر:

عُرف عن سناء شعلان حبها الكبير للسفر والترحال، فقد جابت أنحاء المعمورة بغية معاينة البشر والحضارات والتجارب، كما حرصت على أن تقرن هذا السفر بالعمل الأكاديمي والنشاط الإبداعي والحقوقي. ومن هذا المنطلق شاركت الكاتبة سناء الشعلان في مئات من المؤتمرات العلمية، والمهرجانات والفعاليات الثقافية في جميع القارات تقريبا. وهنا نذكر بعض ما شاركت فيه الكاتبة من تلك الفعاليات.

(١) ندوة دولية "نهرو وآزاد والدول العربية والفارسية"

(٢) مؤتمر "الاتجاهات المعاصرة في الأدب العربي الحديث" في الهند

(٣) مهرجان "المربد الشعري الحادي عشر، دورة الشاعرة لميعة عباس عمارة" في العراق

(٤) مهرجان كلاويز ومؤتمر دهوك الثقافي الثالث في كردستان العراق

(٥) "المؤتمر العلمي التربوي السادس" في العراق

(٦) مؤتمر "البحر والمقاومة في دورته الثالثة"

(٧) "مهرجان أهل البحر" في سوريا.

(٨) "مؤتمر حماية الصحفيين في الحالات الخطيرة في دورته الأولى"،

(٩) ملتقى "اللغة العربية والطفل: تحديات وتجارب" في قطر.

(١٠) مؤتمر السرد العربي المعاصر في مشهد العالمية" في الإمارات العربية المتحدة.

(١١) المؤتمر الدولي التاسع للجمعية الآسيوية لأساتذة اللغة والأدب الإسباني" في تايلاند.

(١٢) الملتقى الوطني لجامعة مصطفى اسطمبولي تحت عنوان "الرواية العربية والتاريخ: آسيا جبار وسناء الشعلان"

(١٣) "الملتقى الوطني الثاني لجامعة معسكر تحت عنوان "الرواية العربية والتاريخ"،

(١٤) مؤتمر الملتقى الوطني الأول بعنوان "معالم التجريب في الأدب الجزائري المعاصر: الوجود والحدود"

(١٥) مؤتمر الملتقى الوطني الأول حول الرواية الجزائرية في ضوء المناهج النقدية المعاصرة" في الجزائر

(١٦) مؤتمر "مئوية علي الدوعاجي" في تونس

(١٧) مؤتمر "المدائن الأولى: أرخبيل مفرد باستعارات شتى"، حلقة الفكر العربي "في المغرب

(١٨) مؤتمر "المرأة المبدعة" في السودان

(١٩) مؤتمر "تأثير رواية دون كيخوته في العلوم والآداب والفنون العالمية" في أمريكا

(٢٠) مؤتمر "نساء حلقات تعاون ومشاركة في ثقافة وتاريخ أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي" في كوبا

(٢١) مؤتمر "الواقع والواقعية في مدن العصور الوسطى" في إيطاليا

(٢٢) المؤتمر الأول لمعلمي اللغة العربية في أستراليا" في أستراليا.

وقد شاركت الكاتبة في الكثير من المؤتمرات في وطنها الأردن كما يأتي بيان بعضها.

(١) مؤتمر "كيف نحقق رؤى جلالة الملك في بناء الأردن الحديث في مجال التنمية المستدامة"

(٢) الملتقى التحضيري لمؤتمر سيدات الأعمال والقيادات النسائية الدولي"

(٣) "مؤتمر المرأة العربية: قوة التأثير نحو قيادة التغيير"

(٤) "المؤتمر الفرانكوفوني الأردني الدولي الثاني: تلقي ألف ليلة وليلة في حقول العلوم الإنسانية عالميا"

(٥) مؤتمر "الرواية في الأردن"

(٦) مؤتمر "القصة القصيرة في الوقت الحاضر"

(٧) مؤتمر "المشهد الروائي في الأردن على مشارف القرن الحادي والعشرين".

حبها للرسم:

بدأت الكاتبة سناء الشعلان حياتها مهتمة بالرسم فكانت تنفق أوقاتها فيه. ثم سرعان ما تحولت عنه إلى الكتابة حتى أن تجاربها الأولى في الإبداع كانت قد أنجزتها مشافهة على مسمعي والدتها التي كانت تملي

عليها إبداعها فتدونه لها إذ كانت هي حينها لا تعرف الكتابة أو القراءة. وبمجرد دخولها إلى المدرسة أتقنت القراءة والكتابة بسرعة أذهلت معلماتها وبزت أترابها فيها، ومن ثم شرعت تقرأ بنهمٍ لا يدانيه أي نهم حتى حصلت ثقافة كبيرة جعلتها محط أنظار الجميع واهتمامهم، لاسيما عندما أذهلتهم بكتابة روايتها الأولى وهي في التاسعة من عمرها، ثم توالت تجاربها التي سرعان ما وجدت طريقها إلى النشر والاهتمام فلفتت أنظار النقاد والإعلاميين والأكاديميين الذين شرعوا يرون في تجربتها الإبداعية مشروعاً خاصاً له لمسته المميزة لها على الرغم من حداثة سنها.

أثر قضية القدس على شخصيتها:

تأثرت سناء شعلان بقضيتها الفلسطينية تأثراً كبيراً، فشبت عن الطوق وهي تملك حساسية عملاقة تجاه الظلم والقسوة والتجبر، متعاطفة مع كل المضطهدين والمنكوبين والمستضعفين، لاسيما أنها عاينت تجارب معاناة الشعب الفلسطيني عبر معاناة أسرتها وشعبها. وتركت مذبحة "صبرا وشاتيلا" أثراً كبيراً في نفسيتها، إذ حدثت المذبحة وهي طفلة صغيرة لم تتجاوز الخامسة من عمرها. وقد تابعت تفاصيل المذبحة عبر شاشات التلفزة فترك ذلك حزناً في شخصيتها، وألماً في قصصها، وترك استشهاد عمها والكثير من أقاربها على أيدي المغتصب الصهيوني غضباً كبيراً في شخصيتها وكتاباتها، وثورة لا تعرف حدوداً في طبيعتها.

تجلت آثار هذه العوامل الرئيسية في تكوين شخصيتها الأدبية والعلمية كما نتجت تلك الثورة الكامنة في طبيعتها عن غزارة الإنتاج وتنوعه بين العلوم والفنون إلى حد أن قائمة تلك الإنتاجات شارفت المائة أو فاقتها إذا أخذنا تلك الأعمال التي نشرت في السنة الجارية أو ما تم نشرها في عصر الكورونا والإغلاق التام. والفصل التالي يشتمل على بيان تلك الإنتاجات الإبداعية والأعمال العلمية والبحثية بشكل خاص.

الفصل الثالث

حياتها العلمية والأدبية

المبحث الأول

أعمالها الإبداعية

سبق الذكر أن أعمال الكاتبو سناء الشعلان تتنوع بين القصة القصيرة والمسرحية والإنتاجات الإبداعية للأطفال. ويختص هذا المبحث ببيان تلك الأعمال الإبداعية بإيجاز.

إبداعها القصصي:

(١) "وحشة اسمها وطن" مجموعة قصصية مشتركة مع مبدعات فلسطينيات ترجمت إلى البلغارية عام ٢٠١٦م بعنوان "Самота, наречена отечество".

(٢) "حدث ذات جدار" مجموعة قصصية نشرت عام ٢٠١٦م

(٣) "الذي سرق نجمة" مجموعة قصصية نشرت عام ٢٠١٦م

(٤) "تقاسيم الفلسطيني" مجموعة قصصية نشرت عام ٢٠١٦م

(٥) "نجوم القلم الحر" مجموعة قصصية مشتركة مع أدباء عرب نشرت عام ٢٠١٥م

(٦) "مبدعون" مجموعة قصصية مشتركة مع أدباء عرب نشرت عام ٢٠١٥م

(٧) "عام النمل" مجموعة قصصية نشرت عام ٢٠١٤م

(٨) مجموعة قصصية مشتركة مع أدبيات أردنيات ترجمت إلى الإنجليزية عام ٢٠١٣م بعنوان "From The Speaking Womb Of The Desert: Short Stories From Jordan"

(٩) "القصة في الأردن: نصوص ودراسات" مجموعة قصصية مشتركة مع أدباء أردنيين نشرت عام ٢٠١٣.

(١٠) "الضياع في عيني رجل الجبل" مجموعة قصصية نشرت عام ٢٠١٢م.

(١١) "أعشقني" رواية نشرت عام ٢٠١٢م.

(١٢) "تراتيل الماء" مجموعة قصصية نشرت عام ٢٠١٠م.

(١٣) "في العشق" مجموعة قصصية مشتركة مع أدباء عرب نشرت عام ٢٠٠٩.

(١٤) "رسالة إلى الإله" مجموعة قصصية نشرت عام ٢٠٠٩م.

(١٥) "مختارات من القصة القصيرة الأردنية" مجموعة قصصية مشتركة مع أدباء أردنيين نشرت عام ٢٠٠٨م.

(١٦) "أرض الحكايا" مجموعة قصصية نشرت عام ٢٠٠٦م.

(١٧) "مقامات الاحتراق" مجموعة قصصية نشرت عام ٢٠٠٦م.

(١٨) "ناسك الصومعة" مجموعة قصصية نشرت عام ٢٠٠٦م.

(١٩) "قافلة العطش"، مجموعة قصصية نشرت عام ٢٠٠٦م، ثم ترجمت إلى البلغارية عام ٢٠١٤م، وإلى الإنجليزية عام ٢٠١٦م.

(٢٠) "الكابوس" مجموعة قصصية نشرت عام ٢٠٠٦م.

(٢١) "مذكرات رضيعة" مجموعة قصصية نشرت عام ٢٠٠٦م.

(٢٢) "الجدار الزجاجي" مجموعة قصصية نشرت عام ٢٠٠٥م.

(٢٣) "السقوط في الشمس" رواية نشرت عام ٢٠٠٤م.

إنتاجاتها الإبداعية للأطفال:

(١) "زرياب: معلم الناس والمروءة" قصة أطفال نشرت عام ٢٠٠٨م.

(٢) "هارون الرشيد: الخليفة العابد المجاهد" قصة أطفال نشرت عام ٢٠٠٨م.

(٣) "الخليل بن أحمد الفراهيدي: أبو العروض والنحو العربي" قصة أطفال نشرت عام ٢٠٠٨م.

(٤) "ابن تيمية: شيخ الإسلام ومحيي السنة" قصة أطفال نشرت عام ٢٠٠٨م.

(٥) "الليث بن سعد: الإمام المتصدق" قصة أطفال نشرت عام ٢٠٠٨م.

(٦) "العز بن عبد السلام: سلطان العلماء وبائع الملوك" قصة أطفال نشرت عام ٢٠٠٧م.

(٧) "صاحب القلب الذهبي" قصة أطفال نشرت عام ٢٠٠٧م.

إبداعها المسرحي:

أسهمت سناء الشعلان في الفن المسرحي إلى جانب أعمالها القصصية والروائية. ولها كثير من الأعمال المسرحية التي فازت بجوائز أو اختيرت للدراسات الجامعية. وقد مثلت مسرحيتها "يُحكى أن" من قبل فرقة المختبر المسرح الجامعي في الجامعة الهاشمية في الأردن، حيث أخرجها المخرج الأردني عبد الصمد البصول، وقد عُرضت في مهرجان فيلادلفيا التاسع للمسرح العربي، وفازت بجائزة أحسن نص مسرحي. وفيما يلي بيان بعض المسرحيات الشهيرة.

المسرحيات:

(١) مسرحية "عيسى بن هشام مرة أخرى" عام ٢٠٠٢

(٢) مسرحية "العروس المثالية" عام ٢٠٠٢

(٣) مسرحية "الأمير السعيد" عام ٢٠٠٣

(٤) مسرحية "ستة في سرداب" عام ٢٠٠٦

(٥) مسرحية "ضيوف المساء" للعام ٢٠٠٦

(٦) مسرحية "يُحكى أن" عام ٢٠٠٩

(٧) مسرحية "دعوة على العشاء"

(٨) مسرحية "البحث عن فريزة"

(٩) مسرحية "وجه واحد لاثنين ماطرين"

(١٠) مسرحية "دعوة على شرف اللون الأحمر"

(١١) مسرحية "محاكمة الاسم X".

بعض مسرحياتها للأطفال:

(١) "الأطفال في دنيا الأحلام"

(٢) "اليوم يأتي العيد"

(٣) "السلطان لا ينام".

فضلا عن هذه الأعمال العلمية والإنتاجات الأدبية في فنون مختلفة التي سبق ذكرها لا زالت الكاتبة سناء الشعلان تستمر في إنتاجاتها العلمية والأدبية من جوانب عديدة لأن الكتابة هي شغلها الشاغل من بين أعمالها الأكاديمية فهي في تطور مستمر في الكتابة بتنوع الفنون والمحتويات.

المبحث الثاني

أعمالها العلمية

تتنوع أعمال الكاتبة سناء الشعلان بين الأدبية والعلمية كما تتنوع الأعمال العلمية إلى النقدية التي شاركت بها في تأليف كتاب، والأخرى البحثية التي نشرتها في صورة مقالات في مجلات علمية مختلفة. ويختص هذا المبحث ببيان تلك الأعمال العلمية.

إنتاجاتها النقدية:

(١) المشاركة بفصل بعنوان "عبد الكريم غرايبة العملاق الذي ينير الدرب للجميع" في كتاب "عبد الكريم غرايبة مؤرخاً عربيا"، ٢٠١٤.

(٢) المشاركة بفصل بعنوان "مساحة التوتر بين الانتظار والخيبة عند القاص العراقي فرج ياسين في مجموعته القصصية "واجهات براقة" في كتاب "في آفاق النص القصصي: مقاربات في الهوية والنص والتشكيل عند فرج ياسين"، ٢٠١٣.

(٣) المشاركة بفصل بعنوان "البطل في قصص زياد أبو لبن "في كتاب "القصة القصيرة في الوقت الراهن"، ٢٠١١.

(٤) المشاركة بفصل في "تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، المستوى السادس"، كتاب تعلمي مشترك مع مجموعة من المؤلفين، ٢٠١١.

(٥) المشاركة بفصل بعنوان "الذين لا يموتون" في كتاب المبدع الراحل محيي الدين زنكنه بأقلام أصدقائه، ٢٠١٠.

(٦) المشاركة بفصل بعنوان "الفنتازيا رداءً للتثوير في التجربة القصصية عند محيي الدين زنكنة" في كتاب نقدي بعنوان "نظرات نقدية في عالم محيي الدين زنكنة الإبداعي، ٢٠١٠.

(٧) المشاركة بفصل بعنوان "شهادة إبداعية للأديبة الأردنية سناء الشعلان" في كتاب "دراسات نقدية عن الأدب الكردي"، ٢٠١٠.

(٨) الأسطورة في روايات نجيب محفوظ، كتاب نقدي، ٢٠٠٦.

(٩) طبعة أولى من كتاب بعنوان "السرد الغرائبي والعجائبي في الرواية والقصة القصيرة في الأردن ١٩٧٠-٢٠٠٢م، كتاب نقدي، ٢٠٠٤.

(١٠) طبعة ثانية من كتاب "السرد الغرائبي والعجائبي في الرواية والقصة القصيرة في الأردن ١٩٧٠-٢٠٠٢م، كتاب نقدي، ٢٠٠٦.

(١١) المشاركة في فصل إبداعي في مؤلف جماعي في إطار سلسلة "الثقافة بالمجان من دار نعمان للثقافة"، ٢٠٠٦.

(١٢) كتاب بعنوان "دور جلالة الملك في مكافحة الإرهاب: تفجيرات عمان في قصص"، كتاب توثيقي، ٢٠٠٦.

العمل الإبداعي الذي اشتهرت به سناء الشعلان عبر ثروة عملاقة من الإصدارات مقارنة بحداثة عمرها لم يشغلها عن العمل الأكاديمي والنشاط البحثي الدؤوب الذي تمارسه باحتراف واهتمام واشتغال موصول، ولذلك إنها تتوافر على رصيد عملاق من الأبحاث العلمية والدراسات، والقراءات والمتابعات، والعروض الأدبية والنقدية والإعلامية المبثوثة عبر مجلات البحث العلمي المحكمة، والمجلات المتخصصة، والدوريات الثقافية، والمنابر الإعلامية، والفضاءات الإعلامية الورقية والإلكترونية. وفيما يلي نذكر هذه الأبحاث والدراسات باللغة العربية أو الأجنبية.

الدراسات بالعربية:

(١) ملامح البطل الهامشي في قصص زياد أبو لبن في مجموعتي "هذيان ميت" و"أبي والشيخ"[١٠]

(٢) السرد الدرامي في ملحمة جلجامش

(٣) التعالق النصي بين كوميديا دانتي وغفران أبي العلاء المعري[١١]

(٤) صورة المرأة عند الجاحظ في كتابه الحيوان

(٥) توظيف ألف ليلة وليلة في مسرحية الملك هو الملك لسعد الله ونوس

(٦) تشكيل المعنى بتجليات الماء في الشعر المعاصر: قراءة أسطورية ورمزية في ديوان "ما أقل حبيبتي" لراشد عيسى أنموذجاً

(٧) مساحة التوتر بين الانتظار والخيبة عند القاص العراقي فرج ياسين

---

[١٠] سناء الشعلان، **مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية**، المجلد: ١٧، العدد: ١ (يناير ٢٠١٠م)، (ص ١٥٢-١٨٢) متاح على:
https://www.iasj.net/iasj/article/23315

[١١] سناء الشعلان، **مجلة آداب الفراهيدي**، المجلد: ٢، العدد: ٥ (مايو ٢٠١٠م)، (ص ١٠٧-١٤١) متاح على:
https://www.iasj.net/iasj/article/21825

(٨) السخرية عند علي الدوعاجي وساسي حمام

(٩) الفنتازيا رداء للتثوير في التجربة القصصية عند محيي الدين زنكنة

(١٠) جدلية الاتصال والانفصال في الحب: رواية "الشيء الآخر" / "من قتل ليلى الحايك؟" أنموذجاً

(١١) تشكيل الحب بين الرجل والمرأة في المنجز الإبداعي عند غسان كنفاني

(١٢) مقاربة مقارنة في تشكيل الحب في الرسائل الغرامية عند غسان كنفاني و"سيمون بوليفار"

(١٣) لعبة الفنتازيا في رواية "المتشائل" للروائي الفلسطيني إميل حبيبي

(١٤) قراءة في كتاب "ارتباكات الهوية أسئلة الهوية والاستراق في الرواية العربية–الفرنكوفونية" لنورة فرج

(١٥) العشق بطلاً في رواية "خوارم العشق السبعة" لجمال بوطيب

(١٦) الفارسُ يبدل سلاحه ويحارب الظلم بإنسانيته: "قراءة في كتاب "ثورة كردستان ومتغيرات العصر" لملا بختيار (شورشي كوردستان وكورانكاريه كانى سه رده م)

(١٧) المعلم عراب اللغة العربية الأخير

(١٨) تصويف العشق ومقولة الحب في ديوان "على راحة قلبي " للشاعر علي الستراوي

(١٩) دوائر الألم ومقطوعات الحزن في "سيمفونية الرماد" لمحمد رشيد

(٢٠) رواية "كيلا" لأسعد العزوني ونبوءة الانهيار الداخلي للكيان الصهيوني

(٢١) مزامير عباس داخل حسن ومساحات الألم اليومي

(٢٢) فيلم "الأوديسا العراقية" ملحمة من ملاحم الإنسان العربي في العصر الحديث

(٢٣) ديوان "مرجان الضوء" بين الحرمان والارتواء

(٢٤) ابن حزم الأندلسي وريث العشق العربي

(٢٥) الاتجاهات المعاصرة في الأدب العربي الحديث

(٢٦) ثلاثية الأسطورة والدين والتاريخ

(٢٧) الأسطورة والتاريخ والأدب والرمز

(٢٨) الانتصار للجمال الرحلة والطريق عند "شيركو بيكه س"

(٢٩) التعصب ضد الإسلام والعروبة في رواية "دون كيخوته"

(٣٠) الساخر عندما ينسى أن يسخر من نفسه!

(٣١) الحدث الأسطوري في روايات نجيب محفوظ

(٣٢) السرد الدرامي

(٣٣) الدراما والمحاكاة

(٣٤) الذاتية مدخل للتواصل

(٣٥) الظروف السياسية وأثرها في أدب نجيب محفوظ

(٣٦) الفنتازيا في الرواية العربية في مواجهة الواقع

(٣٧) المنهج الأسطوري أداة لفك شيفرة النصوص الأدبية

(٣٨) الهروب من الرجل إليه في قصة "عيناك قدري" لغادة السمان

(٣٩) الوظيفة التعليمية والذوقية لأدب الأطفال

(٤٠) "اليوم الثالث" الذي سرق مصطفى صالح كريم

(٤١) "الصحافة عندما تسرق الأديب من إبداعه القصصي

(٤٢) "تأملات" لعامر السبايلة مغامرة قصصية ذات رداء إنساني

(٤٣) تجرأتْ غادة السمان وصمتت الأديبات العربيات: "إطلالة على رسائل غسان كنفاني إلى غادة السمان"

(٤٤) علي السباعي يكتب مدونات امرأة أرملة

(٤٥) وينتصر للجندي المجهول

(٤٦) قراءة في كتاب "أدب أبي العلاء المعري" لعبد القادر زيدان

(٤٧) لماذا يرحل الطيبون دائماً دون وداع يا فلك الدين كاكه يي؟!

(٤٨) قراءة في كتاب "مستفاد الرحلة والاغتراب" لمؤلفه الرحالة التجيبي

(٤٩) مصر تتحدث بكل كبرياء وعظمة

(٥٠) في شعر زين العابدين الشيخ

(٥١) أدب الخيال العلمي

(٥٢) أدب اللامعقول في عالم غير مفهوم

(٥٣) أدب اليوتوبيا والبحث عن العالم المثالي

(٥٤) الإبداع على الإبداع

(٥٥) الأدب الكابوسي / أدب الرعب

(٥٦) الأسطورة والأجناس الشفاهية الجمعية

(٥٧) التجريب في الرواية الأردنية

(٥٨) التجريب ورحلة البحث عن فضاء جديد

(٥٩) التعلم وفق القرائن والمجموعات

(٦٠) الذات القامعة والآخر في "رحلة جبلية رحلة صعبة"

(٦١) الرواية والاستشراف

(٦٢) الزمن والكتابة والإبداع

(٦٣) الصراع والانتصار في رواية "باولا"

(٦٤) الصوفية و"قواعد العشق الأربعون"

(٦٥) العمل البصمة

(٦٦) الفكاهة السوداء

(٦٧) الفنتازيا والعلوم والسرد

(٦٨) الكتاب والكلمة والسحر في الفكر الموروث

(٦٩) القمر والشمس وما يعبدون

(٧٠) المرأة المثقفة عند الجاحظ

(٧١) تشيء البطل في الرواية العربية المعاصرة

(٧٢) "حسن البصري" وعالم من النساء

(٧٣) "رادوبيس" صاحبة الحذاء المفقود

(٧٤) روافد العجائبي والغرائبي في السرديات الحديثة

(٧٥) سرديات الحدث الأسطوري

(٧٦) طاقية الإخفاء وخاتم سليمان والقمقم

(٧٧) العدالة والكتابة

(٧٨) مبدعون دون صداقات

(٧٩) "متاهة الأعراب في ناطحات السراب" مستمرة

(٨٠) "مدن بلا سكان": النظرة التشاؤمية في الرواية المعاصرة

(٨١) نقد "التطبيل والتزمير" في الأردن.

الدراسات بالأجنبية:

أسهمت سناء الشعلان في مجال البحث بالمقالات العلمية في لغات أجنبية مختلفة بيد أن معظم تلك المقالات باللغة الفرنسية والإنجليزية، وهناك بيان بعض منها على سبيل المثال.

(1) L'approche De La Sexualité Féminine Dans Quelques Contes Des Mille Et Une Nuits Et Quelques Fabliaux

(2) La Producción Textual Y Artística Femenina: El "Yo", El "Otro" Y El Conflicto. Un Estudio Comparativo: La Biografía De Fadwa Toukan, "Rihla Jabaliya Rihla Saaba", Y La Biografía De Isabel Allende, "Paula", Ejemplo.

(3) La Visión Y La Configuración A Través Del Destello Poético En El Poema "Setenta Ventanas Itinerantes" Del Poeta Kurdo Sherko Peaks.

(4) Sexual Motivation As A Tool To Incriminate Women In The Story Of: The Scheming Of Women And Their Snare Is Mighty, In A Thousand And One Nights.

(5) La Desgracia En La Colección De Cuentos

(6) "Los Ritmos Del: Tiempo Bailador" De Ali Al-Sibai

(7) Fantasy Worlds In The Novel Of (Ahramian) By Jordanian Novelist Ghassan El Ali

(8) Experimentation In The Jordanian Novel: Fantasy Narrative As A Path

(9) El Conjunto Exótico Y Maravilloso En Don Quijote Y Alutachael

الفصل الرابع

عناية النقاد والباحثين بأعمالها

المبحث الأول

آراء النقاد حول أعمالها الأدبية

تناول النقاد العرب بالنقد والإعجاب كتابات سناء الشعلان بكثرة كاثرة كما تناول الباحثون كتاباتها الإبداعية بالبحث والتحقيق على مستويات مختلفة. وهنا نذكر في هذا الفصل بعض آراء من النقاد والباحثين حول كتابات سناء الشعلان وأسلوبها الإبداعي لتتضح مكانتها ومستواها في الكتابة الإبداعية.

قال النقاد عن إبداعها:

* د. عدنان الظاهر: "حين تكتب سناء وهي على قناعة تامة وثقة بما تكتب فإنها تحمل هذه الكتابة بطاقات إبداعية يجمد بصر القارئ حيالها، ويتخدر العصب ويسرح الخيال، فيا لهذه الساحرة التي تكتب فتنخرق الحُجب وينشق القمر أو يكاد"[١٢].

* د. نهلة الجمزاوي: "إن سناء استطاعت أن تنغمس في الواقع النفسي والاجتماعي العربي حد التفاصيل لتخرج بقصص ملونة مثقلة بعذابات القهر والحرمان للنفس البشرية"[١٣].

* الناقد محمد معتصم: "تكتب سناء الشعلان قصصها بتأنٍ، وتمنح الفرصة للشخصية حتى تكتمل ظاهريا وتتشكل حالتها النفسية، وتتوافق مع الوضعية الاجتماعية التي تختارها لها. قصص سناء الشعلان مركبة من مستويات من المحكي، ومن أبعاد متنوعة اجتماعية ونفسية وتربوية، ومن أبعاد جمالية وفنية. وهي إضافة على السرد القصصي في الأردن"[١٤].

---

[١٢] عدنان الظاهر، "**مع قصص كتاب (أرض الحكايا) ... للدكتورة سناء كامل شعلان / القسم الأول**"، الحوار المتمدن، العدد: ٢٢٦٨ (٢٠٠٨/٠٥/٠١م)، متاح على:
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=133168

[١٣] الدكتور محمد غنام خضر، **فضاءات التخييل مقاربات في التشكيل والرؤى والدلالة في إبداع سناء شعلان القصصي** (عمان: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠١١م)، ص ٢٥١.

[١٤] محمد معتصم، "العوالم القصصية عند سناء الشعلان: الانفصال والاتصال"، **قاب قوسين**، (٢٠١١/٠٦/٠٨م)، متاح على:
http://www.qabaqaosayn.com/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%81%D8%B5%D8%A7%D9%84-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D9%84/%D8%A2%D8%B1%D8%A7%D8%A1-

* الناقد شاكر مجيد سيفو: "القاصة سناء شعلان تعمل على تدوين الواقعة خارج نمطية الحياة، فهي حريصة في تناولها لموضوعاتها وعوالم شخصوصها"[١٥].

* د. عبد العزيز المقالح: "إن "تراتيل الماء" لسناء شعلان تأخذنا في كثير من أجزائها أو فصولها إلى حيث تحررنا من استبداد التفكير المباشر. وتغمرنا بجماليات اللغة هذا الكائن الأسمى. كما تأسرنا بموسيقى الأشياء التي لا نراها. وقليلة جداً هي الكتب التي تفعل بالقارئ ما فعله معي هذا الكتاب من تأثير فاتن وتواصل"[١٦].

* الناقد عباس داخل حسن: "رواية "أعْشقنِي" تجربة مضافة إلى أدب الخيال العلمي في الوطن العربي الذي يعاني من الفقر، ولم يوجد كتاب بهذا الضرب من السرديات القصصية والروائية إلا بعدد أصابع اليد الواحدة. وفي ظل التطور العلمي الذي تشهده البشرية والتقدم التكنولوجي نحن بحاجة ماسة إلى هذا النوع من الروايات آخذين بعين الاعتبار أن لكل نص قوامه واستفراده بوصفه تجربة جديدة مضافة، ولا بد أن تقوم من داخل السياق الثقافي والاجتماعي للتجربة الإنسانية"[١٧].

* الناقد سليم النجار: "سناء شعلان تعرف العالم بما هو عليه لا بما تتمنى أن تراه، لذلك يبدو العالم واضحا وجلياً. ومن هنا يصبح حلم الذات بدوره واضحا جلياً، فالقيم العليا السائدة هي بالأساس قيم أحادية، والعالم في داخلها ذو تركيب هرمي لذلك، فإن الذات تتعرف على العالم وتبتدعه من خلال أحاديته، وليس من خلال تعدديته"[١٨].

%D9%88%D8%A3%D9%81%D9%83%D8%A7%D8%B1/%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA

[١٥] الدكتور محمد غنام خضر، **المرجع السابق**، ص ٩٤.

[١٦] عبد العزيز المقالح، "تكتب الأبجدية في «تراتيل الماء»"، **ديوان العرب**، ٢٠١١/٠١/٢٧م، متاح على:

https://www.diwanalarab.com/%D8%AA%D9%83%D8%AA%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%A8%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A

[١٧] عباس داخل حسن، "قراءة مضادّة في رواية أَعْشَقُنِي (١) للأديبة د. سناء الشّعلان"، **مؤسسة النور للثقافة والإعلام**، ٢٠١٨/٠٦/٠٢م، متاح على:

http://www.alnoor.se/article.asp?id=338988

[١٨] الدكتور محمد غنام خضر، **المرجع السابق**، ص ٢٥١.

* الناقد سمير الشريف: "كتابة سناء شعلان هي كتابة تهجس بروح الأنوثة، وطقوسها تستحضر الوجه المرئي للكائن، والإفصاح عنه في محاولة لاستعادة قوة الوجود فيها"[١٩].

* الناقد نزار حسين راشد: "طرح سناء شعلان طرحٌ ناجحٌ بكل المقاييس، يرسخ لدينا القناعة أنه في ظل التناول الناجح تختفي إشكالية الجديد والقديم حيث الحوارية مستمرة. وهذه هي القيمة الأدبية الحقيقية!"[٢٠].

* د. سمير كاظم الخليل: "...سعت القاصة سناء شعلان إلى التجريب المقصود فنياً في أغلب كتاباتها القصصية. وقد يعود هذا الاهتمام إلى رغبتها في تجاوز الأطر التقليدية للقص والبحث عن كل ما يتسم بالحداثة لتكون أكثر ملاءمة لروح العصر، فضلاً عما تملكه تقنيات التجريب الجديدة من شد انتباه المتلقي، وجذبه نحو الولوج إلى أعماق النص الأدبي"[٢١].

* د. سفيان العزة: "القاصة والروائية سناء كامل شعلان من الأسماء الأدبية التي استطاعت خلال مسيرتها الإبداعية أن تشد إليها الأنظار بقوة، وأن يلتفت إليها الناقد العربي ويدرس أعمالها سواء في القصة القصيرة أم الرواية. سناء شعلان هذا الاسم الذي أخذ موقعه الإبداعي على خريطة الإبداع العربي بقوة وخاصة الساحة الثقافية الأردنية. وقد حظيت النتاجات الإبداعية للمبدعة شعلان بالعديد من الدراسات والمتابعات النقدية لتميزها، هذا إلى جانب أنها أكاديمية ناجحة وتعد أيضا من الأسماء النقدية التي سيكون لها دور مهم في حياتنا الإبداعية والنقدية".

* الناقد طلعت سقيرق: "كيف كان لها أن تتكئ بكل هذا السحر الأخاذ على شرفة الماء كي تفتح صنابير الوجد دفعة واحدة مصرة على تجريب وابتداع يصعب أن نجد له مثيلا في سيرة الأدب أو صورته؟؟.. وظني أن الكاتبة الأديبة الدكتورة سناء الشعلان تحمل خصوصية الأديبة المبتكرة باقتدار كونها تنتهج مد الخيوط

---

[١٩] المرجع السابق، ص ٩٠.

[٢٠] نزار حسين راشد، "**الذي سرق نجمة مجموعة قصصية لسناء الشعلان**"، الحوادث، (٢٠١٦/٢١/٠٦م)، الرابط:
https://alhawadeth.net/ReadNews.aspx?Lang=en&Style=blue&ArtID=EZO3KoCvfwE=&CatID=1AF+UGx8zf8=&CatNewsID=h360TZGAUOs=

[٢١] سمير كاظم الخليل، "**قصص سناء الشعلان وتقنية الاستشراق: إضاءات سردية وتظهرات تجريبية**"، مجلة الأطروحة للعلوم الإنسانية، العدد: ١، السنة: ١، (أغسطس ٢٠١٦م)، الرابط:
https://search.mandumah.com/Record/891272

وجعلها تكر إلى ما لا نهاية حين تمسك العنوان الرئيسي ثم تأخذ في بناء عوالم مفتوحة منه وفيه وعلى جوانبه"[٢٢].

* د. هند أبو الشعر: "تيقنت أن هذا الذي كتبته سناء يمثلها بكل تحولاتها الجميلة كاتبة مفكرة وأكاديمية وإنسانة تحمل روحا طيبة عصية على التدجين، لا تقبل الوقوف في الطابور، وتندفع إلى الأمام بجرأة جميلة"[٢٣].

* د. رحيم عبد الله فايز: "مهما توغّلت سناء شعلان في كتابتها القصصية في "ناسك الصومعة" في الاستبطان، وفي الحلم داخل الحلم، والغوص داخل اللغة والأشكال المهدمة للمعمارية، فإنها لا تستنبت موطأ إلا عندما تستطيع أن تنشد وشيجة تبحث عن صعوبة ما"[٢٤].

* الناقد عباس باني المالكي: "اعتمدت سناء شعلان على رؤيتها الفلسفية وتنظيرها النفسي التاريخي لكل ما صيغ من هذا الموروث. وقد هندست إبداعها على تشكيل صورة العالم الذي نحياه والذي نكتبه سواء في الأسطورة، الحكاية، الخرافة"[٢٥].

* أ. م. د. حسنين غازي لطيف: "وأجد في (الأم خضرة) وشخصية الروائية شعلان تشابها رهيبا فقد حملت الأولى هموم المعتقلين، وحملت الأخيرة هموم الشعوب المحتلة والمأزومة فضلا عن تلاحمها الروحي مع قضيتها الأساس، فكم هو كبير هذا القلب الذي يحمل هموم شعوب يحتضر أبناؤها ويموتون تحت ذريعة الديمقراطية البائسة"[٢٦].

---

[٢٢] طلعت سقيرق، "الأدبية سناء الشعلان تنشد تراتيل الماء"، **ديوان العرب**، (٢٠١١/٠٨/١٠م)، الرابط:
https://www.diwanalarab.com/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D9%8A%D8%A8%D8%A9-%D8%B3%D9%86%D8%A7%D8%A1

[٢٣] هند أبو الشعر، تجليات سناء الشعلان في مجموعتها "تراتيل الماء"، **مؤسسة النور للثقافة والإعلام**، (٢٠١١/٠١/٣٠م)، الرابط:
http://alnoor.se/article.asp?id=104268

[٢٤] الدكتور محمد غنام خضر، **المرجع السابق**، ص ٢٢٢.

[٢٥] عباس باني المالكي، "**دراسة نقدية للمجموعة القصصية (تراتيل الماء) للقاصة الأردنية سناء شعلان**"، (٢٠١٢/٠٩/٠٧م)، الرابط:
https://www.fonxe.net/vb/showthread.php?t=38902

[٢٦] أ. م. د. حسنين غازي لطيف، "**سردية (البطولة والمقاومة) في مجموعة (تقاسيم الفلسطيني) للروائية سناء شعلان**"، مجلة المصدر، العدد: ٣ (ديسمبر ٢٠١٦م)، ص ٩٨، الرابط:
https://portal.arid.my/Publications/2b2946ae-4bfc-4248-8c73-f13bbed6d909.pdf

* الناقد أحمد مزيد أبو ردن: "هذا العالم الذي يتمازج بين الواقع والحلم والأسطورة، وتكون فيه المرأة واسطة العقد بمشاعرها العارية، وبقدرتها على خلق طعم جميل ورائع للحياة، وتلك الأحاسيس المرهفة الدقيقة لذلك الكائن الرقيق الناعم الذي هو نصف الحياة وسر الإبداع الفني والإنساني تقدمه سناء شعلان"[٢٧].

* الناقد عمر تيسير شاهين: "تحاول سناء الشعلان دوما في معظم القصص المنشورة لها أن تخرج من عوالم القصة الواقعية أو الحداثية، – مع المحافظة على النسق الحداثي في القصة – عبر التجريب القصصي الدائم، واختيار أمكنة وأشخاص وزمان مغاير عن الواقع الذي نعيشه ولكنه بشكل أو آخر يرمز إلى معظم المشاكل والأزمات النفسية التي ضربت النفس البشرية وخاصة المشاكل العاطفية والإنسانية التي وَلدتها الحداثة"[٢٨].

* د. محمد مصطفى علي حسانين: "تقترب العوالم القصصية عند سناء شعلان من تخوم السرود الأسطورية وعوالمها الدالة على البحث المحموم عن القيم الكبرى للإنسان حيث البحث الدءوب عن الحب بوصفه البعد المركزي الذي تتجمع حوله، وتنجذب إليه تشعبات الأساطير، وموتيفاتها الدالة"[٢٩].

* د. محمد عبد الرحمن يونس: "وقد كان لقدرة سناء شعلان المتميزة في استخدام تقنيات الفضاء القصصي ومكوناته دور واضح في تجسيد مجمل الرؤى المعرفية الإيديولوجية في الخطاب القصصي، وعلاقاتها بالسرد والحوار. هذه الرؤى التي أرادت أن تبثها في بنية هذا الخطاب"[٣٠].

* الناقد عباس سليمان: "سناء شعلان عدلت عن السائد وخرقت المألوف فلم تقدم بكلام متداول معروف قاله قبلها "أحد الكبار" حتى غدا مرجعا، أو مثلا يضرب، أو حكمة منتشرة، أو كالقرآن يتلى. إنما قدمت بكلام لها فكأنما القاصة تقول: القصص لي والأفكار أفكاري فلم أقدمها بكلام قاله واحد آخر؟"[٣١].

* د. أحمد طوسون: "تصدر لنا سناء شعلان في مجموعتها (قافلة العطش) عوالم قصصية تحتفي بالحب بوصفه جوهراً وقيمة إنسانية عليا، تمثل العلاج والخلاص لذات الفرد التي تعاني استلابا وقهرا من المجتمع الذي ما زال تحكمه مجموعة من القيم التي ترجح على إنسانية الفرد، وترسخ لعطش الذات وحرمانها من

---

[٢٧] الدكتور محمد غنام خضر، **المرجع السابق**، ص ١٨٧.

[٢٨] **نفس المرجع**، ص ٦٦.

[٢٩] **نفس المرجع**، ص ١٦٦.

[٣٠] **نفس المرجع**، ص ١٨٦.

[٣١] **نفس المرجع**، ص ٨٥.

التحقق الإنساني (الأنثى أو الذكر – لا فرق) وتزيحه إلى الوراء وتعلي من شأن المجموع على حساب أية قيمة أخرى"[٣٢].

* الدكتور إبراهيم خليل: "أما شخوص قصصها فأكثرهم شخصيات هامشية من عامة الناس، فهي لا تنتقي أبطالها من المثقفين أو طبقة اجتماعية عليا، وبذلك تقترب من القارئ، وتختصر المسافة بينها وبين المتلقي. لكن هذا لا يعني أن قصصها تسير في اتجاه واحد، هو اتجاه الارتباط بالواقع من حيث هو مادة الخيال السرمدي..، بل بالعكس، فنحن نجد في قصصها تلويناً وتنويعاً في مزج الخيال بالحقائق، والجمع بين الغرائبي والواقعي. كما أنها تعتمد الأساطير والأبطال الأسطوريين، متخذة من البطل الأسطوري علاقة وآلة ورمزاً؛ يوحي أكثر مما يقول، ويعبر أكثر مما يصف"[٣٣].

[٣٢] المرجع السابق، ص ٢٤١.

[٣٣] الدكتور إبراهيم الخليل، "قالوا عن كتاب"، **الرياض**، العدد ١٣٧٨٥ (٢٢ مارس ٢٠٠٦م)، متاح على:

https://www.alriyadh.com/140065

المبحث الثاني

عناية الباحثين بأعمالها الأدبية

حظي إبداع سناء الشعلان بالكثير من الاحتفاء النقدي والأكاديمي والإعلامي، وهو احتفاء قل أن حظي به أحد من أترابها. وكان قلمها مادة للدراسات العلمية المحكمة، والرسائل والأطروحات الجامعية فضلا عن المقالات العلمية والأوراق المقدمة في المؤتمرات والندوات العلمية. وفيما يلي نقدم بعضا من تلك الدراسات العلمية والمقالات المقدمة في الندوات.

الرسائل الجامعية حول أعمالها الأدبية:

(١) رسالة ماجستير بعنوان "شعرية المكان في المجموعة القصصية حدث ذات جدار لسناء الشعلان"، أعدتها الباحثة سهيلة بلعربي بإشراف الدكتور مفتاح مخلوف، كلية الآداب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر ٢٠١٦.

(٢) رسالة ماجستير بعنوان "التخييل السردي في المجموعة القصصية تراتيل الماء لسناء الشعلان"، أعدتها الباحثة هالة دوادي بإشراف الأستاذة الدكتورة روفيا بوغنوط، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر ٢٠١٢.

(٣) رسالة ماجستير بعنوان "المتخيل السردي في رواية أعشقني لسناء الشعلان"، أعدتها الباحثة كريمة بعلول بإشراف الأستاذة الدكتورة روفيا بوغنوط، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر ٢٠١٥.

(٤) رسالة ماجستير بعنوان "الأنا والآخر في مسرحيات سناء الشعلان: مسرحية وجه واحد لاثنين ماطرين أنموذجاً"، أعدتها الباحثة بريزة سواعديه بإشراف الدكتور محمد زعيتري، كلية الآداب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر ٢٠١٥.

(٥) رسالة ماجستير بعنوان "تشكيل الفضاء السردي بين الذات والآخر في رواية أعشقني لسناء شعلان"، أعدتها الباحثة فاطمة الزهراء بن عزوز بإشراف الدكتور محمد زعيتري، كلية الآداب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر ٢٠١٥.

(٦) رسالة ماجستير بعنوان "التشخيص في مسرحيات سناء شعلان مسرحية دعوة على شرف اللون الأحمر أنموذجاً"، أعدتها الباحثة أسماء مزوز بإشراف الدكتور محمد زعيتري، كلية الآداب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر ٢٠١٥.

(٧) رسالة ماجستير بعنوان "الرؤية السردية ومكوناتها في تجربة سناء شعلان القصصية"، أعدها الباحث محمد صالح مشاعلة بإشراف الأستاذ الدكتور بسام قطوس، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، الأردن، ٢٠١٤.

(٨) رسالة ماجستير بعنوان "الشخصية في قصص سناء شعلان"، أعدها الباحث ميزر علي الجبوري بإشراف الدكتور غنام محمد خضر، كلية التربية، جامعة تكريت، العراق، ٢٠١٣.

(٩) رسالة ماجستير بعنوان "النزوع الأسطوري في قصص سناء الشعلان: دراسة نقدية أسطورية"، أعدتها الباحثة وناسه مسعود علي كحيلي بإشراف الدكتور وليد بوعديلة، قسم اللغة العربية، تخصص أدب مقارن، جامعة سكيكدة، العراق، عام ٢٠١٠.

(١٠) كتاب بعنوان "فضاءات التخييل مقاربات في التشكيل والرؤى والدلالة في إبداع سناء شعلان القصصي" بقلم مجموعة من النقاد، وإعداد وتقديم ومشاركة د. غنام محمد خضر.

(١١) فصل تعريفي بسناء الشعلان في معجم أدبيات الأردن وكاتباته، محمد المشايخ، ط١، عمان، الأردن، ٢٠١٢.

(١٢) فصلان نقديان عن تجربة سناء الشعلان القصصية "تراتيل الماء" والروائية "أعشقني" في كتاب شواغل سردية دراسات نقدية في القصة والرواية، الأستاذ الدكتور ضياء غني العبودي، ط١، دار تموز للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ٢٠١٢.

(١٣) فصل تعريفي بسناء الشعلان في كتاب "دليل الكاتب الأردني"، محمد المشايخ، ط١، عمان، الأردن.

(١٤) فصل تعريفي بسناء الشعلان في معجم الأدباء الأردنيين، وزارة الثقافة الأردنية، ط١، عمان، الأردن، ٢٠١٤.

(١٥) فصل نقدي عن رواية أعشقني بعنوان "الواقعية الافتراضية وضبابية الواقع في رواية أعشقني" في كتاب "مقتربات السرد الروائي: دراسات في تقنيات سردية لنصوص روائية"، سمير خليل، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ٢٠١٦.

الأوراق المقدمة في الندوات:

تم تقديم عدد كبير من الأبحاث الأكاديمية في المؤتمرات العربية والعالمية عن إبداع الشعلان، وهناك بيان بعض منها:

(أ) قدم الأستاذ الدكتور نور الدين صدار عميد كلية الآداب واللغات في جامعة معسكر الجزائرية بحثاً بعنوان "سيميائية الخطاب السردي: رواية أَعْشقني لسناء شعلان أنموذجاً"، وذلك مشاركة بأعمال المؤتمر الدولي "أفق الخطابات بين التحليل اللساني والتأويل السيميائي" الذي تحتضنه جامعة أحمد بن بلة بوهران على امتداد ثلاثة أيام ١١-١٣ من شهر تشرين الثاني للعام ٢٠١٤.

(ب) قدم الأستاذ الدكتور خالد اليعبودي من جامعة محمد بن عبد الله / فاس بحثاً بعنوان "أبعاد الكون في رواية "أعشقني" لسناء الشعلان"، وذلك مشاركة في ندوة بعنوان "الخيال العلمي في الرواية العربية" التي عُقدت في مختبر السرديات في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ابن امسيك، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٢/١١/٢٣.

(ت) قدم الناقد المصري فرج مجاهد عبد الوهاب دراسة بعنوان "أعشقني: وتواترت أطراف المعادلة بين الفنتازيا ورسائل الحب والجنس" في مؤتمر القاهرة الدولي السادس للرواية العربية في القاهرة، مصر، آذار عام ٢٠١٥.

(ث) قدم الناقد العراقي الدكتور حسنين غازي لطيف دراسة بعنوان "المشاهد الجنسية والرسائل في رواية أعشقني" في ندوة خاصة في قسم علم النفس في الجامعة المستنصرية في بغداد، العراق / أيار عام ٢٠١٥.

(ج) قدم الناقد العراقي الدكتور حسنين غازي لطيف دراسة بعنوان "المرأة المقهورة في رواية أعشقني للدكتورة سناء الشعلان" في ندوة خاصة في قناة المسار العراقية، بغداد العراق، حزيران عام ٢٠١٥.

(ح) قدم الناقد العراقي الدكتور حسنين غازي لطيف دراسة بعنوان "سردية البطولة والمقاومة في مجموعة تقاسيم الفسطيني للروائية د. سناء الشعلان" في ندوة خاصة في كلية التربية، الجامعة المستنصرية، بغداد العراق، ٢٠١٦/٤/٤.

(خ) عقد ملتقى عن تجربة الشعلان الروائية في جامعة مصطفى اسطمبولي / الجزائر تحت عنوان "الرواية العربية والتاريخ: آسيا جبار وسناء الشعلان"، قسم الآداب واللغات، جامعة مصطفى اسطمبولي، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ١٥ مايو ٢٠١٥.

خلاصة القول:

يتضح مما ذكرناه في هذه الفصول الأربعة مكانة الكاتبة سناء الشعلان وإسهامها في الأدب العربي خاصة في أدب الأطفال وأدب المرأة، وأسلوبها في الكتابة الإبداعية، وتناولها الجوانب الاجتماعية للمرأة وحقوقها في التعلم بوجه خاص. وقد أبدى النقاد والأدباء إعجابهم بها في أقطار العالم العربي، وأشادوا بأسلوبها البديع في قص الحكايات وتناول قضايا المرأة في البيت والمجتمع. ولا ريب أن سناء الشعلان واحدة من أبرز الكاتبات العربيات في الأدب العربي عامة وفي الأدب الأردني بوجه خاص. فضلا عن ذلك إنتاجها الغزير ونشاطاتها العلمية والأدبية بتجوالها في أقطار العالم وبالمشاركة في وسائل التواصل الاجتماعي جعلاها واحدة من أشهر الأديبات في العالم العربي.

الباب الثاني

مفهوم الأنثوية

وصورة المرأة في الأدب العربي

الفصل الأول: مفهوم الأنثوية

الفصل الثاني: الموجات الأنثوية المختلفة

الفصل الثالث: صورة المرأة في الأدب العربي

مدخل

الأنثوية مصطلح جديد في الأدب العربي دخيل فيه عن طريق الآداب العالمية. بدأت الأنثوية في ثمانينيات القرن التاسع عشر في فرنسا ورحلت إلى الآداب الغربية الأخرى وعن طريقها وصلت إلى الأدب العربي. والأنثوية حركة أنشئت للدفاع عن حقوق المرأة الأساسية التي سلبت منها في الأمم الغربية التي تتجاهر اليوم بالدفاع عن المرأة باسم الأنثوية، وتتظاهر بالعداء وسوء القول ضد الشريعة الإسلامية التي منحت المرأة مكانة أسمى في البيت والمجتمع وجعلها بنيانا للأسرة والأمة كليهما.

تطورت الحركة الأنثوية في جميع الآداب العالمية شرقا وغربا، وأسست حركات أنثوية عديدة عبر العصور لرفع مكانة المرأة في المجتمع بعد أن أهينت في الكتب الدينية من أهل الكتاب والهندوس وعند الفلاسفة اليونايين والأدباء الغربيين. والكتاب الذين ينتمون إلى حركة الأنثوية يسمون نسويين سواء كانوا من الرجال أو النساء بيد أن معظهم من جنس النساء لا من جنس الرجال. أما هدفهم الأول فهو إخراج المرأة من البيت لئلا تتحمل مسؤولية الإنجاب وإدارة البيت من الطهي والتنظيف وتربية الأولاد فلها حق العيش كما هي تشاء، وحق العمل مع الرجال سواء بسواء.

يشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول مكونة من مطالب عديدة. أولها حديث عن الأنثوية؛ مفهومها وتعريفها عند الأدباء والنقاد الغربيين والعرب. والثاني عبارة عن الموجات الأنثوية المختلفة التي ظهرت عبر العصور في الآداب الغربية وتحسرت لأجل المفاهيم الخاطئة التي أسست عليها بينما الفصل الثالث يتحدث عن صورة المرأة في الأدب العربي وما ورد في الشريعة الإسلامية من مكانة المرأة وأهميتها لتتضح مقارنة بمكانة المرأة في الحضارات الغربية وغير الإسلامية التي تولدت فيها حركة الأنثوية وتطورت عبر العصور بتغيير المفاهيم والوجهات في تعريف الأنثوية حسب مقتضيات الكتاب الذاتية ونظرياتهم تجاه حرية المرأة.

الفصل الأول

مفهوم الأنثوية

المبحث الأول: التعريف بالأنثوية

المبحث الثاني: العوامل والدوافع للحركة الأنثوية

المبحث الثالث: مدارس وتيارات الحركة الأنثوية

المبحث الأول

التعريف بالأنثوية

الأنثوية أو النسوية مصطلح حديث في الآداب العالمية ولذا لا نجد تعريفاته اللغوية والاصطلاحية في المعاجم القديمة. وقد ظهر هذا المصطلح باسم الأنثوية أو فيمينيزم (Feminism) في فرنسا في أواخر ثمانينيات القرن التاسع عشر إذ استخدمته الكاتبة "هنبوتين أوكلات" (Hunburtine Auclert) في مجلة فرنسية (La Citoyenne as La Feminite) حيث انتقدت هي سيطرة الرجل على المرأة، وطالبت بحقوق النساء. ثم ظهر مصطلح الأنثوية في اللغة الإنجليزية في العقد الأول من القرن العشرين في بريطانيا ثم في عام ١٩١٠م في الولايات المتحدة الأمريكية، ومنها انتقل إلى العالم العربي في عام ١٩٢٠م وأطلق عليه مصطلح "النسوية"[٣٤].

أما المعاجم الحديثة فحاول الباحثون الكثيرون تقديم التعريفات المناسبة فيها لهذا المصطلح، ولكن تختلف التعريفات فيما بينها حسب وجهة نظريات أصحاب المعاجم والأيدولوجيات والنظريات. والذين رفعوا أصواتهم في تأييد الأنثوية واجهوا تحديات صعبة في تقديم تعريف مناسب لهذا المصطلح وتحديد مفاهيمه المستخدمة لِما فيه العمومية وشدة الغموض. وفيما يلي نقدم بعض التعريفات منها كي يسهل علينا فهم مصطلح الأنثوية.

- ورد في معجم أوكسفورد: "الأنثوية هي الاعتراف بأن للمرأة حقوقا وفرصا مساوية للرجل، وذلك في مختلف مستويات الحياة العلمية"[٣٥].
- وورد في معجم "ويبستر" في تعريف الأنثوية بأنها: "النظرية التي تنادي بمساواة الجنسين سياسيا واجتماعيا واقتصاديا. وتسعى كحركة سياسية إلى تحقيق حقوق المرأة واهتماماتها، وإلى إزالة التمييز الجنسي الذي تعاني منه المرأة"[٣٦].

---

[34] Amina Ghorfati & Rabhaa Medini, "*Feminism and Its Impact on Woman in the Modern Society"(*PhD Dissertation: University of Tlemcen, 2015), 7.

[35] *Oxford Advanced Learners Dictionary* (New York: Oxford University Press, 1999), 378.

[٣٦] ليندا جين شيفرد، **أنثوية العلم**، ترجمة يمنى طريف الخولي (الكويت: مطابع السياسة عالم المعرفة، ٢٠٠٤م)، ص ١١.

- وتعرف ماري أيجلتون (Mary Eagleton) مصطلح الأنثوية قائلة بأنه "مصطلح يدل على الحركة النسوية، والفكر النسوي وإبداعاته ونظرياته، وعلى الأدب النسوي. وترى أيجلتون أن الإبداع النسوي إنما هو فكر يعمد إلى دراسة تاريخ المرأة، وإلى تأكيد اختلافها عن القوالب التقليدية التي توضع بها، وإلى إبراز صورتها، وإلى المطالبة بإعادة التفكير جذريا في جميع بنيان المجتمع السائد، وفي ضوء الشروط الاجتماعية والطبقية والثقافية والعرقية المتباينة"[٣٧].
- وأضافت الكاتبة الأمريكية الراديكالية "كيت ميليت" (Kate Milette): "أنه الإبداع النسائي لكي يحصل على قبول النسويات ويعرف بالإبداع النسوي عليه القيام بالوظائف التالية: أن يناقش قضايا المرأة، ويساعد على نشر ثقافة أندروجنية تسمح بالتلاعب الحر بين ما يدعى تقليديا بالذكورة والأنوثة، وأن يزود المرأة بأنموذجات إيجابية تقتدي بها، وأن يشجع تضامن النساء وينشر الوعي النسوي عند المتلقي"[٣٨].
- وترى "فرجينيا وولف" (Virgina Woolf): "أن الأدب الأنثوي يكسر جدار الصمت الذي يحيط بالمرأة وعالمها، وأنه يكتسب خصوصية من الظرف الاجتماعي الذي نشأ فيه، والنساء قد كتبن بطريقة مختلفة لأن تجربتهن بالحياة مختلفة"[٣٩].
- وورد في معجم Hachette في تعريف الأنثوية بأنها: "منظومة فكرية أو مسلكية مدافعة عن مصالح النساء، وداعية إلى توسيع حقوقهن"[٤٠].
- وتعرف "الكندية لويز تزبان" الأنثوية بأنها: "انتزاع وعي فردي في البداية ومن ثم وعي جمعي تتبعه ثورة ضد موازين القوى الجنسية والتهميش الكامل للنساء في لحظات تاريخية معينة"[٤١].

---

37 Eagleton Mary, *Working with Feminist Criticism* (USA: Oxford Blackwell Publishers, 1995), 33.

38 Kate Millet, *Sexual Politics* (London: Virago Press, 1977), 31.

39 Virginia Woolf, *Women and Writing* (New York: Michelle Berrett, Florida Harcourt, 1979).

40 Caroline Ramazanoglu, *Feminism and The Contradictions Of Oppression*, (London: Routledge, 1989), 21.

٤١ ماجدة محمود، **الخطاب القصصي النسوي: نماذج من سوريا** (سوريا: دار الفكر، ٢٠٠٠م)، ص ٨.

- وتعرف Sara Gambel في كتابها "النسوية وما بعد النسوية" (Feminism and Post Feminism) بأنها: "حركة سعت إلى تغيير المواقف من المرأة كامرأة قبل تغيير الظروف القائمة وما تتعرض إليه النساء من إجحاف كمواطنات على المستويات القانونية والحقوقية في العمل والعلم والتشارك في السلطة السياسية والمدنية"[٤٢].
- وذكرت فاطمة إمام: "بأنها بذرة تنبت في أي أرض تعاني من الأبوية بمعنى في المكان الذي توجد فيه السلطة الذكورية"[٤٣]. وتكون فيها المرأة ذات وضعية أدنى خاضعة لمصلحة الرجل الذي يمتلك تشكيل حياة المرأة ويعرضها لأشكال القهر والكبت ويفرض عليها قيودا تمنعها من العطاء ليكون دورها فقط داخل الأسرة التي يرأسها الرجل"[٤٤].

هذه بعض تعريفات من الآداب الغربية والأدب العربي في تعريف الأنثوية التي ظهرت لأول مرة في الأدب الفرنسي. ويقال إن كلمة الأنثوية صاغها الاشتراكي تشارلز فوريه (Charles Fourier)، واستخدمها لأول مرة في اللغة الإنجليزية في تسعينيات من القرن التاسع عشر[٤٥]. وعندما ظهرت الأنثوية وازدهرت في الآداب الغربية قامت بتغيير كل جوانب المجتمع في العالم الغربي. أما النشطاء السياسيون النسويون فقد اهتموا بقضايا مثل الاستقلال الذاتي، والحقوق السياسية، والحرية الاجتماعية، والاستقلال الاقتصادي، والإجهاض، والحقوق الإنجابية، والطلاق، والتعليم. ويريدون به أن يوقفوا الاغتصاب العائلي، والتمييز الجنسي، والبغاء.

وأما الأدب العربي فيُستخدم فيه مصطلح الأنثوية ترجمةً للمصطلح الأجنبي "Feminisme" أو نظرية المساواة بين الجنسين حيث يرد في المعاجم الفرنسية بوصفها المذهب الذي يدعو إلى تحسين وتوسيع دور النساء وحقوقهن في المجتمع. وورد في المعاجم الإنجليزية باعتبار هذا المصطلح معتقدا يلتزم تأمين المساواة بين الجنسين في الحقوق والفرص في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وورد في كتاب "الأطر الفكرية

---

[42] Sara Gambel, *Feminism and Postfeminism*, (UK: Routledge, 2001), 17.

[٤٣] فاطمة إمام، "توطين النسوية الإسلامية"، **موقع "نظرة"** (١٣ مايو ٢٠١٢م)، متاح على الرابط:
https://nazra.org/2012/05/%D8%AA%D9%88%D8%B7%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B3%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9

[٤٤] يمنى طريف الخولي، **النسوية وفلسفة العلم** (المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠٠٥م)، ص ١٢.

[45] http://www.newworldencyclopedia.org/entry/Feminism

والحدود النظرية للفكر النسوي العربي" بأنها "حركة سياسية تهدف إلى الغايات الاجتماعية التي تتمثل في حقوق المرأة وإثبات ذاتها ودورها. والفكر النسوي يعتبر مفهوما نظريا يشمل القضايا والتحليلات التي تصف وتفسر سبل تحسين أوضاع النساء وكيفية الاستفادة من خبراتهن وتفعيلها"[٤٦].

وتهدف الأنثوية إلى العدالة والمساواة بين الجنسين؛ الرجل والمرأة في جميع مجالات الحياة. تقول "بنات الثورة الأميركية" سوزان أنتوني (١٥ فبراير ١٨٢٠ – ١٣ مارس ١٩٠٦): "نحن نريد العدالة، نحن نريد المساواة، نحن نريد حقوق مدنية وسياسية لنكون مواطنات أمريكيات، نحن نريد حقوق لنا ولبناتنا في المستقبل"[٤٧].

يتضح مما أسلفنا بذكره أن مصطلح الأنثوية يشير مباشرة إلى موجات النضال النسائي العالمي من أجل المواطنة والمساواة التي ابتدأت بواكيرها مع عصر التنوير، وتواصلت طوال القرن التاسع عشر لتبلغ أوج قوتها وتأثيرها في ستينيات القرن التاسع عشر مع المظاهرات الصاخبة التي تزعمتها النساء وتصاعد معها العمل المطلبي والسياسي في شتى أنحاء أوروبا وأمريكا[٤٨].

ويرى الناقد أبو نضال أن الأدب لا يمكن أن يكون نسائيا أو ذكوريا، غير أن أديبا ما، سواء أكان رجلا أم امرأة، أقدر من غيره على تصوير جوانب الحياة بحكم معرفته الحميمة أو الخاصة بها، فإذا كان "نجيب محفوظ" مثلا هو الأقدر على تصوير حواري القاهرة، و"حنا مينة" هو الأقدر على تصوير عوالم البحارة وتقلبات البحر فإن المرأة بالضرورة هي الأقدر على رصد وكشف أزِقَّة المرأة وحواريها الداخلية وعوالمها المتقلبة[٤٩].

وتقدم "ماري إيجلتون" رأيها في هذا الصدد فتقول: "الأدب النسائي هو ذلك الأدب الذي يسعى للكشف عن الجانب الذاتي والخاص في المرأة بعيدا عن تلك الصور التي رسمها لها الأدب لعصور طويلة خلت، أي أن

---

[٤٦] كلثوم الغانم، **الأطر الفكرية والحدود النظرية للفكر النسوي العربي** (بيروت: المستقبل العربي، ٢٠١٢م)، ص ١٢.

[٤٧] ويكيبيديا، **بوابة: نسوية**، متاح على الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%88%D8%A7%D8%A8%D8%A9:%D9%86%D8%B3%D9%88%D9%8A%D8%A9

[48] Debashree Mukherjee, *Feminism Theories and Impact* (Hyderabad: The ICfai University Press, 2008), 4-5.

[٤٩] نزيه أبو نضال، "**الشرط الاجتماعي وقصور الوعي في الرواية النسوية العربية**"، في: "**تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية وبلوغرافيا الرواية النسوية العربية (١٨٨٥–٢٠٠٤)**" (عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م)، ص ٢١٥.

الأدب النسائي هو أدب يعبر بصدق عن الطابع الخاص لتجربة المرأة الأنثوية في معزل عن المفاهيم التقليدية، وهو الأدب الذي يجسد خبرتها في الحياة"[٥٠].

ويؤكد "غلب هلسا" نفس الشيء واصفا القيمة العلمية والمعرفية لكل ما تقدمه المرأة عن المرأة وتواجهها من الصعوبات والمشاكل في حياتها اليومية أو عن كل ما يتعلق بالمرأة. يقول: "من خلال رواية المرأة شعرت بأنني أتعلم أشياء عن المرأة لم أكن أعرفها من قبل"[٥١].

وأضافت "ألين موريس" في تعريف الأدب النسوي قائلا: بأنه الأدب الذي يستطيع أن يكون مظهرا من مظاهر الحركة النسوية العالمية التي عرفها القرن الماضي وأدت إلى ظهور أعمال أدبية جديدة اتخذت من حقوق المرأة ومطالبها بالمساواة مادة أساسية للبحث[٥٢].

والأنثوية أو النسوية هي مجموعة مختلفة من النظريات الاجتماعية، والحركات السياسية، والفلسفات الأخلاقية التي تحركها دوافع متعلقة بقضايا المرأة. ويتفق النسويون والنسويات على أن الهدف النهائي هو القضاء على أشكال القهر المتصل بالنوع الجنسي، ليسمح المجتمع للجميع نساءً ورجالًا بالنمو والمشاركة في المجتمع بأمان وحرية. ومعظم النسويين مهتمون بشكل خاص بقضايا عدم المساواة السياسية والاجتماعية والاقتصادية بين النساء والرجال[٥٣].

يتضح مما سبق أن النسويين يطالبون بحرية المرأة ومساواتها مع الرجل في جميع الحقوق والواجبات، وليس بين الرجل والمرأة أي فارق ما خلا الفارق البيولوجي. والمرأة أرادت نفس الشيء في بدايات العصر الحديث وكانت تريد أن تكون فاعلة في مجتمعها وأن يكون صوتها مسموعا من الرجل، وأن تقول كلمتها وتثور على ما كان سائدا في الأزمنة الماضية بل حتى بداية العصر الحديث. ولذا عرفت هذه الحركة في مطلع القرن التاسع عشر بـ"حركة تحرير المرأة" فكانت المرأة تدعو إلى المساواة وجعلها عنصرا فعالا في مجتمعها يقود ولا

---

[٥٠] كورنيليا الخالد، "**المرأة العربية للإبداع النسائي**"، في: **خصوصية الإبداع النسوي** (عمان: وزارة الثقافة، ١٩٩٧م)، ص ١١؛
Mary Eagleton, *Feminist Literary Theory: A Reader* (UK: Wiley Blackwell, 2010), 155.

[٥١] نزيه أبو نضال، "المرأة في كتابات غالب هلسا"، **مجلة الكاتب العربي**، العدد ٤٥، ص ٥٥.

[52] Ellen Moers, *Literary Women* (UK: Oxford University Press, 1977), 13.

[٥٣] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، **بوابة نسوية**، متاح على الرابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%88%D8%A7%D8%A8%D8%A9:%D9%86%D8%B3%D9%88%D9%8A%D8%A9

يقاد. وفي هذا الصدد نجد المختصين في هذا المجال يفرقون بين مصطلح النسوية والنسائية، فالنسائية هي الفعاليات التي تقوم بها النساء دون اعتبار للبعد الفكري الفلسفي، وإنما في مجرد فعاليات تقوم بها المرأة لا الغير، بينما تعبر النسوية عن مضمون فلسفي وفكري مقصود حسب التعريف السابق. وبالتالي النسوية هي أن تبدي المرأة وجهة نظرها في أي مجال شاءت وأن يكون هذا الرأي مسموعا معترفا به لدى الرجال.

وقال بعض الباحثين والدارسين: "إن الأنثوية هي الحركة التي تجعل النساء وتغيير أوضاعهن في المجتمع هدفا لها، وهي من حيث الإيديولوجية تفترض وجود فكر محدد هو الفكر النسوي الذي يعتبر أن النظام البطريركي أي النظام الذكوري أو الأبوي هو سبب اضطهاد المرأة تاريخيا[٥٤]. ويرى بعض الدارسين أن مفهوم الأنثوية لا يقتصر على المطالبة بالمساواة الكاملة بين الرجال والنساء، بل يتعداه ليشمل الوعي الجمعي الذي يقوم على تناول القضايا الكبرى التي تسائل المجتمع عبر المصالح الاستراتيجية للنساء، كما يدل على خيار تغيير المجتمع عن طريق الإنتاج الفكري والعمل المنظم بغية تحقيق المساواة بين النساء والرجال. إنه خيار أساسي للتقدم لا يقف عند حدود العلاقة بين الرجال والنساء، ولكنه يشمل اتخاذ مواقف من قضايا حقوق الإنسان والديموقراطية وتساوي الفرص.

وبالجملة يمكننا أن نقول: يستعمل مصطلح "نسائية" بمفهوم جنسي أو للدلالة على التيار الإصلاحي، ومصطلح "أنثوية أو نسوية" للدلالة على الحركة الهادفة إلى المساواة بين النساء والرجال في جميع المجالات. أو يمكننا أن نقول بعبارة بسيطة هي رؤية العالم من وجهة نظر النساء، وتحسين أحوالهن الاجتماعية والسياسية والتعليمية وفتح المجال لهن في المجالات المختلفة للعمل حيث يمكنهن أن يخرجن من قيود وحدود بيوتهن وسيطرة الرجال، وأن يتمتعن بحقوقهن في خيار الزوج، وموعد الزواج، وخيار الجامعة، ومجال التعليم، وخيار الحزب السياسية وما إلى ذلك.

[٥٤] ماري إيجلتون، **النظرية الأدبية النسوية**، ترجمة عدنان حسن – رنا بشور (سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م)، ص ٢٧.

المبحث الثاني

العوامل والدوافع للحركة الأنثوية

لم تتولد الأنثوية فجأة بل هناك عوامل ودوافع تسببت لظهور الحركة الأنثوية في الدول الغربية التي هي موطن ولادتها ومنبعها، ومن هناك انتقلت إلى بلدان العالم العربي. وفي هذا المبحث نبين بعض أبرز الأسباب.

السبب الأول: الكتب الدينية لليهود والنصارى

من أكبر هذه الموجبات أو البواعث ما ورد في الكتب الدينية لليهود والنصارى عن وضع المرأة ومكانتها أنها هي التي تعد سببا لخروج سيدنا آدم عليه السلام من الجنة. ومما لا شك فيه أن اليهودية والنصرانية تعدان المرأة أصل الخطيئة لأنها حسب ما ورد في كتبهم هي التي أغرت آدم (عليه السلام) لعصيان ربه عندما أكل من الشجرة فحكم الرب بسيادة الرجل عليها. ونجد أحكاما وأوصافا أخرى للمرأة في هذا التراث النصراني واليهودي مثل قولهم فيها: هي شيطانة ملعونة وبذلك ليس لها روح تستحق أن تعيش وبالتالي لا مكان لها في الجنة، بل الأغلب هو أنها من سكان النار. وهناك من ذهبوا في تراثهم إلى أبعد من هذا بكثير فقالوا: إنه لا توجد امرأة على وجه البسيطة لديها فضيلة تمكنها من أن تدخل الجنة وتكون من أهلها[٥٥]. وسنذكر وضع المرأة في النصرانية واليهودية بقدر من التفصيل ذاكرين إحالات من المصادر المختلفة، وذلك في الفصل الثالث من هذا الباب إن شاء الله.

السبب الثاني: أقوال الفلاسفة والمفكرين الغربيين

ومن الموجبات الرئيسية لظهور الحركة الأنثوية أقوال الفلاسفة وآراء المفكرين المشهورين في مشارق الأرض ومغاربها والذين يشار إليهم بالبنان، وهم الذين يعدهم الناس في الشرق والغرب مراجع ومصادر في القضايا العصرية والمسائل الاجتماعية والأسرية، ويستدل الناس بأقوالهم كأنها حجة منزلة من السماء. وكثير من هؤلاء المفكرين الغربيين قاموا ضد المرأة فكسروا أجنحتها وضربوا عنقها بأقوالهم وآرائهم.

ومن هؤلاء الفلاسفة "أفلاطون" الذي قدم آراءه عن المرأة في العديد من كتبه ومحاوراته، وعدها آلة من الآلات أو لعبة من لعبات الدنيا في أيدي الرجال يستخدمونها حينا ويرمونها في صندوق القمامة حينا آخر.

---

[٥٥] إبراهيم الناصر، "الحركة النسوية الغربية ومحاولات العولمة"، **صيد الفوائد**، متاح على الرابط:

http://www.saaid.net/female/064.htm

يقول: "خلقت الآلهة الذكور فقط بصفة مباشرة ووهبتهم أرواحا فمن يعش منهم على طريق مستقيم فالنجوم مأواه الأخير. ويمكن الجزم بأن الجبناء منهم أي من يعيشون حياة غير مستوية هم ذوو طبع نسائي. وقد يستمر هذا التوارث عبر أجيال عدة إذا لم تنقلب الموازين كليا. ويمكننا في هذا الحال أن نعتبر الرجال فقط كائنات بشرية كاملة تصبو إلى تحقيق الذات وأمثل شيء يمكن للمرأة أن تتمناه هو أن تصبح رجلا[٥٦].

والفيلسوف الكبير "ديكارت" يفضل الرجل على المرأة في فلسفته الثنائية التي تقوم على العقل والمادة؛ يربط العقل بالرجل والمادة بالمرأة. ولم يستبعد ديكارت ملكة الحياة عن التفكير العقلاني فحسب بل أن نعامل النساء بوصفهن أجساما عادية، أي وصفها بالآلات[٥٧].

ويرى "أوغست كونت" (Auguste Comte) الذي يعد الأب الشرعي والمؤسس للفلسفة الوضعية بـ"أن المرأة ضعيفة في كافة الاتجاهات خاصة العقلية والذهنية منها[٥٨]".

وكذلك يعد رئيس الحركة الرومانسية "جون جاك روسو" المرأة جهازا لولادة الأطفال حيث يقول: "لا تقدر المرأة إلا على الإنجاب فقط"[٥٩].

ويقول "فرويد" يهودي الجنسية ورائد المدرسة التحليلية النفسية: "إن المرأة جنس ناقص لا يمكنها أن تصل إلى الرجل أو حتى أن تكون قريبة منه ولا مجال للمناقشة في ذلك. النساء أقل ذكاء حقيقة لا جدال فيها"[٦٠].

هذه بعض آراء المفكرين والفلاسفة، وعقيدة اليهود والمسيحيين بما ورد في كتبهم الدينية عن المرأة وطبائعها ومكانتها في المجتمع، وهي التي أصبحت أسبابا لظهور الحركة الأنثوية في البلاد الغربية. وبالإضافة إلى ما ذكرناه كان الرجال يمارسون أنواعا من الظلم والجبر والقهر على المرأة ولم تكن المرأة تتمتع بحقوقها في المجالات المختلفة. ويمكننا أن نقول إن الحركة الأنثوية كانت وليدة الحرمان والظلم والجبر والقهر الذي مارسه الرجل على المرأة طول الأزمنة السابقة، والذي انتشر مع مرور الزمن فكاد أن يصير داء يصعب شفاؤه فإن تهميش

---

56 Caroline Ramazanoglu, *Feminism And The Contradictions*, 144.

57 Ibid, 149.

58 Debashree Mukherjee, *Feminism Theories and Impact*, 5.

59 Ibid, 6.

60 Ibid, 6.

المرأة وسيطرة الرجل المطلقة عليها، والتي منحها هو لنفسه كان سببا لظهور جماعات ذكورية متطرفة كانت لها نظرتها التي يملؤها حب التحكم والتسلط والقيادة واستعباد المرأة. وقد أحكمت هذه الجماعات قبضتها وشددت الخناق عليها حتى لا تكون لها فرصة لإثبات وجودها أو حتى لا تقوم لها قائمة فيما بعد، مما أدى إلى ظهور تفرقة والتمييز بين الرجل والمرأة يعني تفضيل الرجل لجنسه على جنس المرأة. والمرأة تناضل وتصارع كي تسترد حقوقها من الرجل والتي تراه مجرد ظالم سلب حقوقها. وكنتيجة حتمية لهذا كله هو أن أساس الفكر النسوي هو أساس فكري علماني يهدف تحرير المرأة من كل القيود الدينية.

يتضح مما سبق أن المرأة كانت تواجه مشاكل وصعوبات ومعانات في حياتها الاجتماعية والسياسية والأسرية من ولادتها حتى موتها. وكان للرجل سيطرة تامة على المرأة في كل مكان وفي كل مجال. وكانت هي لا تستطيع الخروج من القيود الاجتماعية والحدود الدينية فلذا صرخت وصاحت بصوت عال ضد القيود والسلاسل، ورفعت صوتها لتحرير نفسها من كل هذا.

المبحث الثالث

مدارس وتيارات الحركة الأنثوية

إنه ثمة تيارات ومدارس أو مناهج مختلفة للحركة الأنثوية التي تسعى وتدعو إلى تحرير المرأة من ظلم الرجل وقهره، ومن القيود الدينية. وهذه "حركة تحرير المرأة" التي أنجبت من صلبها تيارات عديدة، لكل واحد منها نظرته الخاصة ومبادئه وفلسفته التي يؤمن بها ويعتمد عليها صراع البقاء ضد الجنس الآخر؛ الرجل. وانقسمت الحركة الأنثوية إلى تيارات ومناهج أو مدارس عدة من بينها أربعة مناهج رئيسية كما تشير إليه معظم الأبحاث في هذا المجال. وفيما يلي سنسلط الأضواء على هذه المدارس بقدر من التفصيل.

المدرسة الأولى: الأنثوية الماركسية (MARXIST FEMINISM)

المدرسة الثانية: الأنثوية الليبرالية (LIBERAL FEMINISM)

المدرسة الثالثة: الأنثوية الاشتراكية (SOCIALIST FEMINISM)

المدرسة الرابعة: الأنثوية الراديكالية (RADICAL FEMINISM)

مدرسة الأنثوية الماركسية:

سمّي هذا المنهج بهذا الاسم لِما له ارتباط مباشر بأفكار المفكر الفلسفي كارل ماركس (Karl Marx) التي تتعلق باستغلال الرأسمالية لجهود الطبقات العاملة، واستغلال المجتمع لجهود النساء باعتبارهن عاملات إنتاج الأطفال والعمل المنزلي، وشأنهن شأن العامل المستغل من قبل صاحب العمل. وقد رفعت بعض النسويات الماركسيات أصواتهن، وطرحن فكرة أن النساء يشكلن طبقة مستغلة أوضاعها أسوأ من أوضاع الطبقة العمالية، ففي حين تتواجد الطبقة العمالية في مكان واحد هو المصنع أو المعمل، وتنتظم قواها ضمن نقابات، تتبعثر النساء في منازل متفرقة وتنعزل عن بعضهن مما يجعل توحيد جهودهن على درجة كبيرة من الصعوبة[٦١].

وتهدف الأنثوية الماركسية إلى إحداث تغيير المجتمع كاملا وشاملا، وليست تهدف فقط إلى تغيير الفرد المكون لهذه المجتمعات فبتحويل وسائل الإنتاج إلى ملكية عامة اجتماعية لن تبقى العائلة الفردية وحدة

[61] Amina Ghorfati & Rabhaa Medini, "*Feminism and Its Impact*," 11.

المجتمع الاقتصادية بل يصبح الاقتصاد البيتي الخاص فرعا من فروع النشاط الاجتماعي. ويصبح الاهتمام بأمور الأطفال والعناية بهم وتربيتهم كل ذلك على كتفي المجتمع، فالمجتمع يصبح مسؤولا بأمور الأطفال وليس فردا أو أسرة. وهذا سيطلق المرأة ويحررها من العمل المنزلي المرهق إن ترافق ذلك مع خروج المرأة إلى العمل وما سيؤمنه ذلك لها من استقلال اقتصادي كفيل بتحقيق المساواة بين المرأة والرجل. وهذا سيزيل سيطرة الرجل الاقتصادية السائدة في البيوت والأسر وبالتالي السيطرة الاجتماعية، ويصبح المجتمع مملوءا بالحب والمودة بين أفراده وأركانه لا سيطرة لأحد على أحد[٦٢].

مدرسة الأنثوية الليبرالية:

الأنثوية الليبرالية تيار نسوي يركز على الفردية أو على المرأة كفرد، وعلى قدرات المرأة وإمكانياتها في الحصول على حقوقها والمحافظة عليها من خلال نشاطها وفاعليتها واختيارها. ترى الأنثوية الليبرالية التحرر للمرأة كحرية تحديد أدوارها الاجتماعية، والمنافسة مع الرجال دون أي تمييز حيث يشارك كل فرد من الرجال والنساء في منافسة مستمرة مع الآخرين من أجل تحقيق أقصى قدر من مصالحه الذاتية، ووظيفة الدولة أن تضمن أن تكون هذه المنافسة عادلة لإنفاذ "تكافئ الفرص". الليبرالية لا تعتقد أنه من الضروري تغيير الهيكل الاجتماعي كله من أجل إحداث تحرير المرأة، كما أنهم لا يضغطون من أجل إمكانية يتم بها تحقيق التحرير في وقت واحد لجميع النساء[٦٣].

وقد حررت بعض النساء أنفسهن في وقت طويل قبل أن يتحققن من وضعهن من قبل الآخرين. كان الهدف من النسويين الليبراليين دمج النساء بالكامل في التيار الرئيسي للمجتمع المعاصر. ويقصدون بـ"التيار الرئيسي" ما يسمّى الحياة العامة للصناعة والتجارة والتعليم والسياسة. وقد كافحت النسويات الليبراليات للقضاء على الجنس التمييز في جميع مجالات الحياة، وضمان تكافئ الفرص للمرأة مع الرجال لتحديد ومتابعة مصالحهن الخاصة. جادلت المرأة للجدارة التي من خلالها سيتم منح الوظائف والمكاتب بالكامل على أساس من المؤهلات ذات الصلة، على افتراض أن زيادة حرية الاختيار سيصدر في مجتمع متكامل جنسياً أو مخنثا، حيث أفراد المهن، والاختيارات الجنسية وما إلى ذلك لن تكون ذات صلة إلى حد كبير

---

[٦٢] السيد حنفي عوض، **الحركات النسائية العمالية وتحديات سوق العمل** (مصر: المكتب الجامعي الحديث، ٢٠١٠م)، ص ٧٦؛ فاتن أحمد، **عرض تحليلي للاتجاهات الحديثة في دراسة المرأة** (القاهرة: مكتب زهراء الشرق)، ص ٥.

[63] Amina Ghorfati & Rabhaa Medini, *Feminism and Its Impact*," 8–9.

بجنسهم. وقد اعتقدت النسويات الليبراليات على وجه التحديد أن معاملة النساء في المجتمع المعاصر تنتهك حقوقهن في الحرية والمساواة والعدالة وتشكل استخدامًا غير رشيد وغير فعال لموارد المجتمع البشرية[٦٤].

ومن أجل حل هذه المشكلة وتحقيق مجتمع أكثر عدلاً، اقترحت النسويات الليبراليات عدة إستراتيجيات، وأكدن على حجة منطقية. وبالنظر إلى البشر باعتبارهم عقلانيين في الأساس، فإن النسويات الليبراليات يأخذن كل فرصة لتثقيف الجمهور حول اللاعقلانية والظلم ضد المرأة. كتب النسويون الليبراليون كتباً ومقالات، وسعوا للوصول إلى وسائل الإعلام، وأسسوا المنظمات البحثية التي قد تؤدي إلى التخلص من حد للتمييز. وانخراط النسويات في المظاهرات العامة لفت انتباه الرأي العام إلى المظالم التي تعاني منها النساء وكذلك لتحدي التحيزات الشعبية وتغيير المواقف الشعبية التي ألحقت أضراراً بالغة.

وربما كان وجود قوانين جنسية هو الظلم الأساسي الذي تعاني منه المرأة في المجتمع المعاصر. وهؤلاء الليبراليون سعوا لإلغاء جميع القوانين التي تنسب الحقوق والمسؤوليات والفرص المختلفة للنساء والرجال. وخلال السبعينات من القرن التاسع عشر حدث اتجاه ثابت نحو زيادة المساواة الرسمية أو القانونية للمرأة في معظم البلدان الصناعية. وبالنسبة للنسوية الليبرالية في الولايات المتحدة الأمريكية كان الإنجاز الرئيسي هو تعديل الحقوق المتساوية للدستور الذي ينص على ما يلي: "لا يجوز إنكار حقوق المساواة بموجب القانون من قبل الولايات المتحدة أو أي ولاية على حساب الجنس". وقد وافق عليها كونغرس الولايات المتحدة في عام ١٩٧٢م[٦٥].

مدرسة الأنثوية الاشتراكية:

تعتمد هذه النظرية على مبدأ أن المجتمع يتضمن بنيتين مسيطرتين، وهما: النظام الرأسمالي والنظام الأبوي كشكلين متمايزين للعلاقات الاجتماعية الاقتصادية. ويجب تحليل كل منهما على حدة، ومحاربة كل منهما بأدوات مختلفة. وكلا النظامين يستغلان النساء ويضطهدانهن. طالبت هذه النظرية بحرية الإنجاب، والمسؤولية الوالدية المشتركة، وتطوير مختلف أشكال المشاركة بالإنتاج الاجتماعي[٦٦].

---

[٦٤] سارة جامبل، **النسوية وما بعد النسوية دراسة ومعجم نقدي**، ترجمة أحمد الشامي (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢م)، ص ٤٥٣.

[٦٥] السيد حنفي عوض، **الحركات النسائية العمالية وتحديات سوق العمل**، ص ٧٢.

[٦٦] علياء شكري وآخرون، **علم اجتماع المرأة** (القاهرة: مكتب زهراء الشرق، ٢٠٠١م) ص ٨ وما يليها.

مدرسة الأنثوية الراديكالية:

ظهرت هذه الحركة الفكرية خلال الفترة من نهاية الستينيات وبداية السبعينيات حين أدركت الحركة النسائية مدى ظلم الرجل وجبره وسيطرته الظالمة على المرأة. يرى الراديكاليون بأن الرجل هو المتحكم بهرمية رأس المال وهذا ما يفسر الأدوار الجنسية ويفرز اضطهاد الرجل للمرأة. وأن الوضع الحالي للمرأة ظهر نتيجة عن سيطرة الرجل على مراكز القوى والسلطة والمال وما إلى ذلك. والرجل هو المسؤول الأول عن اضطهادها ووضعها الحالي. والمرأة لن تتمكن من الحصول على أي تغيير أو تحسين في مسيرتها نحو المساواة حتى تحكم هذا النظام وقيم المجتمع هذه. ويسعى هذا المنهج والتيار إلى الإصلاح والترميم والتعويض عن بعض النواقص في الأنثوية الليبرالية الماركسية من خلال التأكيد على الطابع العام المستقل عن الطبقات للتمييز ضد النساء[٦٧].

ويعتبر أصحاب هذه المدرسة أن البطريركية بحد ذاتها هي أساس هذا التمييز ضد النساء والسيطرة عليهن والتي تنسحب على ميادين الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والجنسية. وتخلق نظام تنميط للجنسين الرجل والمرأة من خلال ثقافتين؛ واحدة ذكورية حاكمة ومسيطرة، وأخرى نسائية محكومة ومسيطر عليها. ومن بين استراتيجيات هذا التيار التي تهدف إلى تغيير المعادلة الرأسية، واستعادة النساء لأجسامهن وكيانهن وإعادة الاعتبار إلى ثقافة خاصة بهن إلى حد الانفصال عن الرجال والعيش في مجتمعات نسائية مستقلة. وانطلاقاً من عمل هذا التيار الأنثوي، نشأت مذاهب فكرية ونقدية أضاف كل منها نواحي جديدة إلى التحليل السيكولوجي وفهم الوضع الأنثوي. وتأسس مذهب عالمة النفس "لوس إيريغاراي" التي طورت التفكير حول مفهوم الاختلاف، وخلقت نقاشات حول الطابع البيولوجي والاجتماعي لهذا الاختلاف. واستعاد هذا المذهب قول المفكرة والأنثوية الفرنسية "سيمون دو بوفوار" التي قالت: "لا تولد المرأة امرأة، ولكن المجتمع هو الذي يعلمها أن تكون امرأة" وجعلوا منه أبرز شعاراته أو أصواته[٦٨].

---

[٦٧] فاتن أحمد علي، **عرض تحليلي للاتجاهات الحديثة في دراسة المرأة**، في: **"علم اجتماع المرأة"** (القاهرة: مكتب زهراء الشرق، ٢٠٠١م)، ص ٥٠.

[٦٨] أحمد عمرو، **النسوية من الراديكالية حتى الإسلامية.. قراءة في المنطلقات الفكرية**، (المملكة العربية السعودية: مجلة البيان بالسعودية، ٢٠١١)، ص ١٤٤، متاح على الرابط:

http://search.mandumah.com/Databasebrowse/Tree?searchfor=&db=&cat=&o=6665&page=1&from=

ويرى هؤلاء الأنثويون بأن التمييز بين الجنسين – الرجل والمرأة – يظهر بشكل أساسي في العلاقات. وتيار النسويات المثليات بعد السبعينيات بدأ التنظير للفكر المثلي عبر تيار جديد سمي الجنسية بينهما، ولمحاربة هذا التمييز ينبغي إقلاع الجذر وإباده، والجذر هو العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة وخلق علاقات مثلية يكون الطرفان فيها متساويين لا فضيلة لأحدهما على الآخر[٦٩].

ويمكننا أن نقول إن الاتجاه الأنثوي الراديكالي جاء كرد فعل تاريخي تجاه نظريات التنظيم والاتجاه نحو حركة اليسار الجديد. والراديكاليون لا يطلبون إلا المساواة بين الرجل والمرأة[٧٠].

وتعبر الأنثوية الراديكالية البارزة "روبين مورجان" (Robin Morgan) عما تراه من قهر عالمي للنساء بوصفها النساء بأنهن شعب خاضع للاستعمار، وقد تم استعمار أجسادهن من قبل المجتمع البطريركي حيث يتم إجبار النساء على إنجاب الأطفال دون أي ضمانات من قبل الرجال تؤكد التزامهم بدعم أو رعاية أو تحمل أي مسؤولية الأطفال على الإطلاق[٧١].

وقد أضاف بعض الباحثين والدارسين أبحاثا ومناهج أخرى بالإضافة إلى التيارات المذكورة أعلاها وفيما يلي تفصيل وجيز لهذه التيارات:

أ– الأنثــوية البيئية (ENVIRONMENTAL FEMINISM)

ب– الأنثوية الســوداء (BLACK FEMINISM)

ت– الأنثوية الثـقافية (CULTURAL FEMINISM)

ث– الأنثوية الوجودية (EXISTENTIAL FEMINISM)

أ– الأنثوية البيئية:

ظهر هذا التيار في الثمانينيات وقتما ارتفعت الكوارث البيئية، وارتفعت شعبيته في دول العالم الثالث. أما رائدة هذا التيار وزعيمتها فهي النسوية الهندية والناشطة في مجال البيئة وعضو مجلس إدارة "المنتدى الدولي

---

[69] Amina Ghorfati & Rabhaa Medini, "*Feminism and Its Impact*,", 10.

[٧٠] السيد حنفي عوض، **المرجع السابق**، ص ٧٦.

[71] Robin Morgan, "*The Word of a Woman: Feminist Dispatches*", (New York: WW Norton & Co., 1994), 34.

للعولمة" "فاندانا شيفا" (Vandana Shiva)[٧٢]. يرى هذا التيار أن المرأة – في معظم المعتقدات والخرافات الدينية – تتعرض لنفس أنماط الاستغلال التي تتعرض لها الموارد الطبيعية على يد النظام الرأسمالي ورجاله. وبالتالي لا يمكن لغير ثقافة معادية للرأسمالية ومحترمة للشعوب والطبيعة إنهاء الاستغلال والتمييز اللذين تتعرض لهما المرأة في العالم.

ب– الأنثوية السوداء:

ظهر هذا التيار لمصلحة المدرسة الأنثوية الراديكالية، والجدة في نشوئها وازدهارها في ميادين المناضلين السود مما أضاف الجانب العنصري إلى معادلة الجنسي والطبقي، ووضع التشابهات بين آليات التمييز العنصري وآليات التمييز الجنسي. وبالنسبة إلى النسويات السوداوات بلغ التمييز الجنسي ذروته مع مشاركة المرأة في المجالات المختلفة وقيامهن جنبا إلى جنب مع الرجل في مجالات العمل. وبهذه الأشياء استقلت المرأة من نظام سيطرة الرجال واستغلال تقليدي إلى المنزلة والمكانة حيث لها حقوقها ومسؤولياتها، تنافس الرجال وتولد عندهم العدائية والتمييز الجنسي العنيف على نحو يشبه تماماً التمييز العنصري الذي تعرض له السود بعدما تحرروا من سلاسل القيود[٧٣].

ج– الأنثوية الثقافية:

كانت سيطرة الرجال سائدة في الثقافات والآليات والدلالات اللغوية، وفي الإنتاجات الفكرية والعلمية فظهرت الأنثوية الثقافية وساهمت في فضح الخلفيات والدلالات البطريركية للأمثال الشعبية وللقص الشعبي اللذين بنيت عليهما الخلفية الثقافية والاجتماعية للفرد. وتلك الذائقة الأدبية التي يولدانها والتي تدخل في عدم اهتمام الأطفال الذين سيصبحون رجالاً ونساء بعد بضعة عقود.

ساهمت الأنثوية الثقافية كذلك في إقلاع وإنهاء اللثام عن الكثير من الآليات اللغوية والدلالات الذكورية المكرسة في اللغة، وفي سياق البحث عن تأثير الرجل في إنتاجه الفكري والعلمي. بحثت المفكرات النسويات عميقاً في أثر الذات في التجربة، وتفاعل هذه الذات مع النتائج وتأثيرها فيها، واستمرت تتصدى حتى اليوم للكتب الرائجة التي تؤكد الفوارق الشاسعة بين الجنسين. والأنثوية الثقافية هي امتداد ورافد للفكر النسوي

---

[72] Wikipedia, *Vandana Shiva*, accessed on: https://en.wikipedia.org/wiki/Vandana_Shiva

[73] Amina Ghorfati & Rabhaa Medini, "*Feminism and Its Impact*,", 24.

الفلسفي وموجه للحركة الأنثوية في مختلف المجالات والميادين كعلم الإنسان، وعلم الاجتماع، والاقتصاد، والنقد الأدبي، وتاريخ الفن، والتحليل النفسي. ومن أغراض وغايات هذا المنهج فهم أسباب وتحليل عدم المساواة من حيث الجنس أي الجندرية (كون الشخص رجلا أو مرأة) ونتائج عدم المساواة بين الجنسين مركزا على الجندر السياسي، وتقديم نقد مجتمعي سياسي يركز على حقوق المرأة واهتمامها والتمييز الجنسي[٧٤].

ح- الأنثوية الوجودية:

يرى بعض الباحثين والدارسين أن المدرسة الأنثوية الفرنسية ظهرت نتيجة للنسوية الوجودية التي أسستها "سيمون دي بوفوار" في كتابها "الجنس الآخر" مستندة إلى المقولات الأساسية لسارتر: الذات، الآخر، الوجود بذاته، والوجود لذاته. وركزت هي في تفسيرها لاضطهاد النساء على مفهوم الآخر، فالمرأة هي الآخر لأنها ليست رجلا، كما أنها الآخر الذي يتقرر مصيره من قبل غيره (آخر الآخر) وإذا أرادت أن تتجاوز وجودها كآخر لتصبح ذاتا (موجودا لذاته) فلا بد لها من الخروج من الحدود، وتثور على الصفات والأدوار التي تقيد وجودها من قبل الآخر. وقد كانت هذه الأفكار مقدمة لفكرة الجندر التي تقول: "لا تولد المرأة امرأة، ولكن المجتمع هو الذي يعلمها أن تكون امرأة".[٧٥]

وعصارة الكلام هو أنه كان للرجل سيطرة تامة على المرأة في كل مكان وفي كل مجال، فكانت المرأة في العالم الغربي وكذلك في العالم العربي كانت تواجه المشاكل والصعوبات والمعانات في حياتها الأسرية والاجتماعية والسياسية الاقتصادية من ولادتها حتى موتها فظهرت حركة في العالم الغربي ثم في العالم العربي هادفة إلى المساواة بين النساء والرجال في جميع المجالات، ومحاولة لتحسين أحوال النساء الاجتماعية والسياسية والتعليمية والعملية الزواجية والأسرية. وظهرت هناك تيارات عديدة ومناهج مختلفة لحركة تحرير المرأة من القيود ولكل واحد منها نظرته الخاصة ومبادئه وفلسفته كالأنثوية الماركسية والليبرالية والاشتراكية والراديكالية وما إلى ذلك.

---

[٧٤] سوسن ناجي رضوان، **الوعي بالكتابة في الخطاب النسائي العربي المعاصر** (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٠م)، ص ٥٠.

[٧٥] نورة فرج المساعد، "النسوية: فكرها واتجاهاتها"، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، العدد: ٧١، المجلد: ١٨، (٢٠٠٠م)، ص ١٧، متاح على الرابط:

http://search.mandumah.com/Record/11859

الفصل الثاني

الموجات الأنثوية المختلفة

الموجات الأنثوية المختلفة

الاهتمام بقضايا المرأة وتحريرها من القيود الدينية والسلاسل الاجتماعية والأسرية لم يتم فجأة أو في دفعة واحدة. وقد مضت العقود والقرون في عملية تحريرها والحصول على الاستقلال الذاتي، والحرية الاجتماعية، والاستقلال الاقتصادي، وحق التصويت والتعليم، والعمل في الميادين المختلفة وما إلى ذلك. وقد قسّم الباحثون والدارسون حركة تحرير المرأة أو الحركة الأنثوية إلى ثلاث موجات رئيسية التي مرت بها خلال تاريخها؛ الموجة الأنثوية الأولى، والموجة الأنثوية الثانية، والموجه الأنثوية الثالثة.

أما الموجة الأنثوية الأولى فقد بدأت في القرن التاسع عشر وامتدت إلى العقد السادس من القرن العشرين. رفع النسويون أصواتهم ضد سيطرة الرجل، ونادوا إلى حركة تحرير المرأة والمساواة بين الجنسين. وقد تناولت هذه الموجة الأنثوية حق التصويت. وأما الموجة الأنثوية الثانية فقد امتدت ما بين ١٩٦٠م و١٩٨٠م وعنيت بقضية عدم المساواة في القوانين إضافة إلى اهتمامهم بقضية عدم المساواة الثقافية بين الجنسين؛ الرجل والمرأة. والموجة الثالثة امتدت من التسعينات حتى اليوم، ظهرت نتيجة واستجابة لفشل الموجة الثانية. وفيما يلي نسلط الأضواء على كل هذه الموجات واحدة واحدة بقدر من التفصيل.

أ- الموجة الأنثوية الأولى:

المراد بالموجة الأولى هو حركة تحرير ونشاطات نسوية خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية. لقد ركزت هذه الموجة على الحقوق القانونية المتساوية لكلا الجنسين في العقود والممتلكات معارضة كما ركزت على رفع الصوت ضد ملكية النساء وأطفالهن من قبل أزواجهن. تعود بداية الموجة الأولى لنظرية المساواة بين الجنسين الذكر والأنثى في المجالات السياسية والاقتصادية، وفي المجتمع بدلا مما كانوا يعتبرونها محصورة ومحدودة وأنها مخلوقة ضعيفة ليس لديها أية قوة أو موهبة.

ودعت مناصرة لحقوق المرأة "ولستون كرافت" (Wellstone Craft) المولودة في عام ١٧٥٩م إلى دور فاعل ونشيط للمرأة في الأمور الاجتماعية، وطالبت بالمساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق وعلى وجه التحديد في أمور التعليم والتربية دون النظر إلى نوع الجنس. وصرحت المؤلفة في كتابها "A Vindication of the Rights of Woman" في عام ١٩٧٢م بأن التعليم هو الطريق الوحيد للمرأة للحصول على

المساواة بينها وبين الرجل[٧٦]. واقترحت وجوب معاملة كل من الرجل والمرأة على أنهما مخلوقان رشيدان يصنعان نظاما اجتماعيا يقوم على العقل. وحتى نهاية القرن التاسع عشر ركز النشاط النسوي على اكتساب السلطة السياسية وحق المرأة في التصويت بمحاولات النسويات مثل "فولتيرين دي كلير" (Voltairine de Cleyre) (١٨٦٦-١٩١٢م)، و"مارغريت سانجر" (Margaret Sanger) (١٨٧٩-١٩٦٦) اللتين قامتا بالحملات من أجل حقوق المرأة الجنسية والإنجابية والاقتصادية. تعتبر الموجة النسوية الأولى أنها قد انتهت بصدور التعديل لدستور الولايات المتحدة عام ١٩١٩م، الذي يمنح المرأة حق التصويت[٧٧].

أعلام الموجة الأولى:

(١) أوليو سرينر (Olive Schreiner):

هي الرائدة الأولى للموجة الأنثوية الأولى التي كانت ناشطة اشتراكية في الفترة من عام ١٨٨٠ إلى عام ١٩٢٠م. وكان لها تأثيرها الشديد على الحركة النسائية البريطانية حينئذ. ناقشت هذه المفكرة معظم الموضوعات الرئيسية لأنثوية القرن العشرين بشكل منهجي في كتابها "المرأة والعمل" (Woman and Labour) (١٩١١). ويعد كتابها المذكور كتابا مهما بعدة طرق. ولا يقتصر الأمر على النص الذي غالبًا ما يتم الاستشهاد به من قبل النسويات اللاحقات، مثلا سمّت "فيرا بريطانيا" (Vera Britain) كتابها "المرأة والعمل" "الإنجيل" للحركة الأنثوية نظرا إلى أهميته ومكانته في مجال الأنثوية. والمفكرة "أوليو سرينر" تتنبأ بالنسوية المعاصرة بحجة أن مشكلة النسوية هي الرجال وليست النساء، وأن العلاقات بين النساء حاسمة، وأن رفع الوعي هو جزء من الحركة النسوية بقدر ما هو معركة الحقوق المتساوية[٧٨]. وقد بذلت هي جهودها للحصول على مكانة المرأة ومنزلة رفيعة في المجالات المختلفة وقتما كانت الجندرية سائدة في المجتمع.

(٢) فرجينيا وولف (Virginia Woolf):

تعتبر فرجينيا وولف من الرائدات البارزات اللائي ساهمن في تحرير المرأة أثناء الموجة الأنثوية الأولى، بل هي تعد رائدة ثانية بعد أوليو سرينر في النظرية الأدبية النسوية. تركت فرجينيا آثارا ذات أهمية غير قليلة في النظرية النسوية. ومن أهم إنجازاتها التأليفية في هذا المجال:

---

[76] Amina Ghorfati & Rabhaa Medini, "*Feminism and Its Impact*," 14.

[٧٧] سارة جامبل، **المرجع السابق**، ص ٢٢.

[٧٨] رشيدة بنمسعود، **المرأة والكتابة: سؤال الخصوصية: بلاغة الاختلاف**، (المغرب: الدار البيضاء، ٢٠٠٢م)، ص ٧٦.

(١) A Room of One's Own (١٩٢٩).

(٢) Three Guineas (١٩٣٨).

(٣) Moments of Being (١٩٧٥).

تركز فرجينيا في كتابها الأول المذكور أعلاه على تاريخ السياق الأدبي للمرأة وسياقها الاجتماعي، كما تركز في كتابها الثاني على العلاقة بين سلطة الذكور والقانون والطب والتعليم والقوات المسلحة. إن مساهمة "فرجينيا وولف" الأساسية في الحركة النسائية هي حجتها بأن الهوية الجنسية مبنية اجتماعية ويمكن تحديها وتغييرها، وأن عدم المساواة بين الجنسين يبدأ مبكراً جداً في الأسرة الأبوية التي تؤدي بدورها إلى الدعامات الفاشية[٧٩].

(٣) شتراشي (Strache):

وقد ساهمت في تحرير المرأة كاتبة أخرى اسمها شترشي (Strache). وهي ناشطة خصصت مسيرتها المهنية لتعزيز الحقوق الاقتصادية والسياسية للمرأة في السنوات التالية مباشرة بعد الحرب العالمية الأولى. ويُعتبر كتابها "السبب" (The Cause) (١٩٢٨) التاريخ الكلاسيكي لحركة المرأة في بريطانيا. تذكر الكاتبة فيه تاريخا مفصلاً لإنجازات المرأة في مجال التعليم والقانون والمهن.

(٤) فيرا بريتين (Vera Britain):

ومن رائدات الموجة الأنثوية الأولى "فيرا بريتين" (١٨٩٣م – ١٩٧٠م). وهي كاتبة بريطانية وداعية سلام. يعد كتابها "دليل الشباب" (Testament of Youth) من أكثر الكتب مبيعا لعام ١٩٣٣م حيث روت تجربتها خلال الحرب العالمية الأولى وبداية رحلتها نحو السلام[٨٠]. وهي التي رفعت صوتها في تأييد المساواة بين الجنسين في مجال الحقوق المختلفة ودافعت بقوة عن قضية المساواة في الأجر عن العمل المتساوي وتكافؤ الفرص للمرأة في التعليم والمهن.

---

[٧٩] انظر حياتها وإسهاماتها بالتفصيل:

إملي نصر الله، **نساء رائدات من الغرب**، ج ٥ (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١م)، ص ١٠٧–١٢٢.

[٨٠] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، **فيرا بريتن**، متاح على الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%8A%D8%B1%D8%A7_%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D8%AA%D9%86

ب- الموجة الأنثوية الثانية:

بدأت الموجة الأنثوية الثانية في أوائل الستينيات واستمرت حتى أواخر الثمانينات من القرن العشرين. ويمكننا أن نعتبر الموجة الثانية للأنثوية وليدة الحضور الفعال والنشيط للمرأة في ميادين العمل والقضايا الاجتماعية. تميزت هذه المرحلة من النشاطات عن المرحلة الأولى بفوارق واضحة إذ طالبت بالحقوق القانونية والسياسية في البريطانيا والولايات المتحدة. هذه الحركة شجعت النساء على فهم جوانب حياتهن الشخصية في حين ركزت الموجة الأنثوية الأولى على الحقوق المطلقة مثل حق الاقتراع والتصويت. كانت الموجة النسائية الثانية تهتم إلى حد كبير بقضايا المساواة الأخرى، وإنهاء التمييز بين الجنسين في المجتمع في التعليم وفي مكان العمل.

وتميزت الموجة الثانية بأنها أكثر نضجاً من الناحية الفكرية، هدفت للبحث عن إطار نظري أعمق وأشمل من المطالبة بالمساواة مع الرجل. وبحسب النموذج الذكوري السائد في المجتمع الأوروبي وجد أنه لا بد من اكتشاف النساء لأنفسهن كنساء صياغة نظرية خاصة بهن من خلال التطور المعرفي وتطور مناهج البحث، ومن خلال النساء الأكاديميات القادرات على عمل بحوث خاصة بموضوع اكتشاف النساء لأنفسهن[٨١].

وأثناء الموجة الثانية بدأت الحركة الأنثوية تتخذ طابعا عالميا، فشرع النسويون يتحدثون ويرفعون أصواتهم ضد سيطرة الرجال على النساء وطالبوا بحقوق نساء العالم كله بغض النظر عن موطنهن ومسكنهن. وامتدت نشاطات وفعاليات النسويين في هذه الفترة معتمدة على لغة متقدمة عن المساواة، وهي لغة التحرر التام من القمع السياسي، والاجتماعي، والجنسي الذكوري السائد في المجتمع الأوربي[٨٢].

وتأثرت الموجة الأنثوية الثانية بأفكار وكتابات العديد من النسويات الغربيات منها كتاب "كيت ميليت" (Kate Millett) عن "السياسات الجنسية" (Sexual Politics). وتأثرت أيضاً بصدور كتاب "بيتي فريدان" (Betty Friedan) بعنوان "اللغز الأنثوي" (The Feminine Mystique) أشارت فيه إلى مشكلة اللغة، وأن ليس للنساء كلمات خاصة لتسمية خبراتهن. وكان من بين نشاطات الموجة الثانية إعطاء اسم وصوت لخبرة النساء من خلال زيادة الوعي، واستعادة مؤلفاتهن، ومحاولات إصلاح الخطاب المستخدم

---

[٨١] ليندا جين شيفرد، **المرجع السابق**، ص ١٣.

[٨٢] مية الرحبي، **الموجات النسوية في الفكر النسوي الغربي**، حركة مصر المدينة.

في الكنيسة، والمنزل، والمؤسسات التعليمية، ومكان العمل إلى جانب تحليل المفاهيم العامة مثل "رجل" و"مذكر" للتأكيد على عدم تناظرها وضياع المرأة بينها[٨٣].

قامت "بيتي فريدان" بتسليط الضوء على القلق والاستياء اللذين سيطرا وهيمنا على حياة الكثير من نساء الطبقة الوسطى البيض والحاصلات على التعليم الجامعي، وأسيرات العمل المنزلي. ودعت "بيتي فريدان" لتكافئ الفرص بين الجنسين في التعليم والتوظيف والألعاب الرياضية والسياسية[٨٤].

وأُعتبرت مقولة الفيلسوفة الفرنسية "سيمون دي بفوار": "المرأة لا تولد امرأة ولكن يشكلها المجتمع امرأة" نقطة انطلاق للمفكرات النسويات خلال الموجة الأنثوية الثانية، حيث تصورت النسويات مجتمعا خاليا من التمييز والقمع واتهمن الفلاسفة الذكور بإقصاء النساء عن مجالات المعرفة. وانتقدت النسويات أيضا التشريعات والقوانين المجحفة بحق النساء آنذاك[٨٥].

وأبرز ما يميز الموجة الأنثوية الثانية أو النسوية الجديدة هو نقد النموذج العقلاني الذكوري للإنسان ورفض انفراده بالميدان كمركز للحضارة الغربية وتختلف تلك الموجة عن الموجة الأولى بل تتناقض معها في تأكيدها على اختلاف النساء عن الرجال والعمل على اكتشاف تلك الاختلافات وإبرازها وتفعيلها وإظهار ما يميز الأنثى، وبيان الخبرات الخاصة بالمرأة التي طالما تم حجبها وطمسها مما أدى إلى خلل أصاب الحضارة والنسوية الجديدة هي اكتشاف وبلورة للأنثوية، ونقد ورفض لمركزية النموذج الذكوري للإنسان[٨٦].

أعلام الموجة الأنثوية الثانية:

برز خلال فترة الموجة الثانية للأنثوية كثير من المفكرين والمفكرات منها "بيتي فريدان" (Betty Friedan)، وجيرمين غرير (Germaine Greere)، وشيلا (Sheila)، وجوليت (Juliet Mitchell). وفيما يلي نقدم بيانا وجيزت عن نظرياتهم في حركة تحرير المرأة.

---

[٨٣] ويندي كيه كولمار وفرانسيس بارتكوفيسكي، **النظرية النسوية**، ترجمة عماد إبراهيم (عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م)، ص ٩٥.

[٨٤] المرجع السابق، ص ٩٢.

[٨٥] مريم محمود المزين، **المضمون الاجتماعي والسياسي للخطاب النسوي الفلسطيني ١٩٩٤م–٢٠١٠م** (رسالة الدكتوراه: جامعة الأزهر–غزة، ٢٠١١م)، ص ٦٢.

[٨٦] ليندا جين شيفرد، **المرجع السابق**، ص ١٤.

(١) بيتي فريدان (Betty Friedan):

رأت "فريدان" النور في ٤ فبراير عام ١٩٢١م، ولما بلغت حوالي خمسة وأربعين عاما من العمر أسّست "المنظمة الوطنية للنساء" عام ١٩٦٦م. تعد "بيتي فريدان" من المفكرات الكبيرات اللائي ساهمن في حركة تحرير المرأة، بل هي زعيمة حركة المرأة في عقدي الستينات والسبعينات من القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية. ضمت مؤسستُها "المنظمة الوطنية للنساء" عديدا من المجموعات والمؤسسات النسوية في أمريكا. إنها طلبت في تأليفاتها ومحاضراتها إلى رفع التمييز عن المرأة ومنحها حقوقا متساوية مع الجنس الآخر الرجل في العمل، وخاضت معارك من أجل الحصول على الحقوق الكاملة المتعلقة بالتصويت والانتخاب. وقد ذاع صيتها في أنحاء العالم في مجال الأنثوية، ونال كتابها "اللغز الأنثوي" (The Feminine Mystique) الذي تم نشره عام ١٩٦٣م قبولا واسعا في الأوساط المختلفة. ماتت "بيتي فريدان" في واشنطن في فبراير عام ٢٠٠٦م.

(٢) كيت ميليت (Kate Millett):

تعد "كيت ميليت" من أبرز أعلام الموجة الأنثوية الثانية التي دافعت عن الأنثوية الراديكالية. ولدت كيت ميليت في سبتمبر عام ١٩٣٤م وتوفيت في سبتمبر ٢٠١٧م. واشتهرت هي ككاتبة أنثوية وناشطة أمريكية ثنائية الميول الجنسية. وهي واحدة من أكثر النصوص تأثيرا في الحركة الأنثوية الحديثة. عالجت "كيت ميليت" موضوع السياسات الجنسية، وبه فتحت الطريق أمام الأنثوية من الموجة الثانية للتفكير مجددا في الجنس، وتقول إن السلطة الأبوية منتشرة في كل مكان. وهناك سياسة راسخة الجذور الجنسية بدءا من استنساخ النظام الأبوي من خلال التكيف النفسي الاجتماعي في الأسرة التي تعمل في جميع الهياكل الاقتصادية والاجتماعية. والبطريركية هي جزء أساسي من العلاقات الفردية بين الجنسين لأنها تتخللها القوة الذكورية.

وإن هذا الكتاب عبارة عن توليفة رائدة من التفسير الشامل للهيمنة الذكورية التي تناولتها النسويات الأخرى من الموجة الثانية، وعلى سبيل المثال لا الحصر "شولاميث فايرستون" (Shulamith Firestone). وهجوم "ميليت" على عدو التحليل النفسي الذي يصطدم في التنشئة الاجتماعية للمرأة يوازي عمل "فيليس تشيسلر" (Phyllis Chesler). ويمهد تحليل الدخن للطريقة التي تعمل بها الأيديولوجيات الجنسية في الأدب الطريق للنقد الأدبي النسوي. والقناعة الأساسية للدخن هي أن اضطهاد المرأة مستمد، وليس من

علم الأحياء ولكن من السلطة الاجتماعية، ومثل جميع القوة الاجتماعية إن القوة الجنسية تتحكم في الأفراد. وقد أصبح فهم الدخن الموسَّع للسياسة بأن الحياة الشخصية والجنسية سياسية – هذه هي الفرضية الأساسية لنسوية الموجة الثانية تمامًا كما أعطى أسلوب "ميليت" بين التأديبي والاستفزازي والسيرة الذاتية والأخلاقية الأسلوب النسوي للموجة الثانية طريقة جديدة لكتابة النظرية[٨٧].

وتجد "كيت ميليت" بطريركية مؤسسية في جميع جوانب المجتمع. إن عدم المساواة الجنسية متجذرة بعمق في الهياكل الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تولد "الاستعمار الداخلي" والتفاوت الشديد في القوة. وفي السياسة الجنسية يصور الدخن علاقة القوة بين الجنسين التي تشكلت حول نمط تبعية الهيمنة. وفضحت المؤامرة البطريركية التي تحدد الأدوار المهيمنة للرجال على أساس الاختلاف البيولوجي. تؤكد "ميليت" على أهمية الحركات النسائية في القرن التاسع عشر في تحدي الأيديولوجية الأبوية وضمان درجة من الحقوق القانونية والسياسية والاقتصادية للمرأة. وقد ساهم هذا في تقدم الحركات النسائية في القرن العشرين. تجادل "ميليت" بأن المرأة قد تم في وقت واحد المثالية والاستهانة، وإثبات أطروحتها من خلال الإشارة إلى مواقف كراهية للنساء. وانتقدت بقسوة الكتابة القضيبية التي تركز على القوالب النمطية الجنسانية واللغة المتحيزة جنسياً التي يستخدمها الكتّاب الذكور[٨٨].

(٣) شولاميث فايرستون (Shulamith Firestone):

هي إحدى رائدات الموجة الأنثوية الثانية وناشطة أمريكية من أصل كندي، وهي من أبرز شخصيات الأنثوية الراديكالية في عصرها. ولدت "شولاميث" في أسرة يهودية في يناير ١٩٤٥م في كندا وتوفيت في أغسطس عام ٢٠١٢م[٨٩]. ارتحلت إلى الولايات المتحدة في صغر سنها ودرست في جامعة واشنطن كما درست بمدرسة الفنون في معهد شيكاغو[٩٠].

عالجت "شولاميث" في كتاباتها قضية الجندرية أي الجنس، وكتبت مقالا باسم "حركة حقوق النساء في الولايات المتحدة: رؤية جديدة" عام ١٩٦٨م. ولما بلغت هي السنة الخامسة والعشرين من عمرها ذاع

---

[٨٧] ليندا جين شيفرد، **المرجع السابق**، ص ١٣.

[88] https://www.advocate.com/women/2017/9/06/feminist-icon-and-author-kate-millett-dies

[89] https://www.tabletmag.com/sections/news/articles/shulamith-firestone-1945-2012

[90] https://www.britannica.com/biography/Shulamith-Firestone

صيتها بصفتها كاتبة نسوية بارزة في مجال الأنثوية لكتابها الذي تم نشره في عام ١٩٧٠م باسم "جدلية الجنس" (The Dialectic of Sex). ومن أبرز منشوراتها مجموعة قصصية باسم "قضاء ساكن" تمت طباعتها عام ١٩٩٨م.

وقد ساهمت "شولاميث" في حركة تحرير المرأة بطرق أخرى، فإنها شاركت في تأسيس ثلاث منظمات الأنثوية الراديكالية وهي: "منظمة نساء نيويورك الراديكاليات" (New York Radical Women) سنة ١٩٦٧م، و"ريدستوكننغز" (Redstockings)، و"نسويات نيويورك الراديكاليات" (New York Radical Femisnists). وبالإضافة إلى إسهاماتها المذكورة إنها شاركت مع منظمة نساء نيويورك الراديكاليات في مظاهرة في خلال حفل مسابقة ملكة الجمال في نيوجيرسي، وآنذاك فهمت أن للمسابقة تأثير سيء على تفكير النساء وحياتهن، كما فهمت قدر تأثيرها على الشعب الأمريكي، فتم قرار استخدامها كآلة للاحتجاج ضدها[٩١].

(٤) جيرمين غرير (Germain Greere):

هي من رائدات الموجة الثانية للأنثوية ومن أبرز الأصوات الأنثوية في أواخر القرن العشرين. وهي كاتبة وأكاديمية وإعلامية وأستاذة الأدب الإنجليزي، ولدت في يناير عام ١٩٣٩م في "ملبورن"[٩٢]، ونشأت في ضاحية "مينتن" الساحلية، وكان أبوها ممثل إعلانات لدى صحيفة. درست "جيرمين" في مدرسة دينية في صغر سنها ثم في جامعة ملبورن وحصلت على شهادة في اللغة والأدب الإنجليزي والفرنسي، ثم انتمت نفسها إلى الشيوعية اللاسلطوية مع القرب إلى الماركسية. وحصلت على شهادة الدكتوراه عندما قدمت رسالتها البحثية بعنوان "قيم الحب والزواج في أولى أعمال شكسبير الكوميدية"، ثم عملت في جامعة ووريك. إنها واجهت الصراع دائما في حياتها الزوجية وفي النهاية طلقها زوجها عام ١٩٧٣م.

رفعت "جيرمين غرير" صوتها في تأييد حركة الأنثوية في كتاباتها ومحاضراتها، ومن أهم إنجازاتها في مجال التأليف والتصنيف ما يلي:

---

[91] http://www.theheroinecollective.com/shulamith-firestone/

[٩٢] ويكيبيديا الموسوعة الحرة، **جيرمين غرير**، متاح على الرابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D9%8A%D8%B1%D9%85%D9%8A%D9%86_%D8%BA%D8%B1%D9%8A%D8%B1

- "المرأة المدجنة" (The Female Eunuch) تم نشره في عام ١٩٧٠م.
- "سباق الحواجز: حظوظ الرسامات وأعمالهن" (The Obstacle Race: The Fortunes of Female Painters and Their Works) تمت طباعة كتابها هذا في عام ١٩٧٩م.
- "الجنس والقدر: سياسات الخصوبة البشرية" (Sex and Destiny: the Politics of Human Fertility) طبع كتابها المذكور في عام ١٩٨٤م.

وكذلك كتبت "جيرمين" عديدا من الكتب والمقالات على الموضوعات المختلفة مثل الجنس والقدر، والتغير، وكامل المرأة، وجون ويلوت، زوجة شكسبير وغيرها. وكل هذه الكتب ألفتها كاتبتها باللغة الإنجليزية. وقد أثارت أفكارها المنشورة بشكل الكتب والمقالات جدلا على مستوى العالم[٩٣].

(٥) سوزان براون ميلر (Susan Brown miller):

ولدت سوزان في فبراير عام ١٩٣٥م في بروكلين، واشتهرت كصحيفة أنثوية، ومؤلفة، وناشطة وشاركت في عديد من نشاطات الحقوق المدنية، وركزت في أعمالها على قضية الاغتصاب. وقد تم نشر كتابها بعنوان: "ضد إرادتنا: الرجال والنساء، والاغتصاب" (Against Our Will: Men, Women and Rape) في عام ١٩٧٥م. حاولت الكاتبة في هذا الكتاب تغيرات النظرة العامة والمواقف حول الاغتصاب، ونقدت فيه نظرة سينغموند فرويد، وكارل ماركس، وفريدريك إنجلز، وقالت فيه: "ما الاغتصاب إلا حالة من الوعي لدى الرجل، وفيه يخضع المرأة لرغبته تحت تهديد قوي، وحالة من الفزع" وتقدم دليلا في تأييد هذه النظرة بأنه لا يوجد في عالم الحيوان ذكر يغتصب أنثى في البيئة الطبيعية.[٩٤] ولكن أنكر العديد من الأدباء عن قبول ما جاءت فيه من المواقف الجديدة حول الاغتصاب ورفضوا حججها وآراءها.

بدأت سوزان براون ميلر تبذل جهودها وقواها في حركة تحرير المرأة أولا في عام ١٩٦٨م وذلك في نيورك وقتما انضمت للمجموعة رفعت مستوى الوعي في تنظيم نيويورك الراديكالي للمرأة التي شكلت حديثا، ثم شرعت العمل على كتاب "ضد إرادتنا" بعد نسويات نيويورك الراديكاليات، وجعلت موضوع الاغتصاب

---

[٩٣] أحمد عمرو، **المرجع السابق**، ص ١٤٣.

[94] Brown Miller Susan, *Against Our Will: Men, Women, and Rape*, (UK: Pelican Books, 1986), 11, 12, 15.

محورا لجهودها وكتبها، وفي عام ١٩٧٩م شاركت في تأسيس جمعية نساء ضد المواد الإباحية. وكتبت "مذكرات ثورة" (١٩٩٩م) وهي مذكراتها الأخيرة وتاريخ الموجة الأنثوية الراديكالية الثانية.

(٦) غلوريا ستاينم (Gloria Steinem):

هي رائدة مميزة من رائدات الأنثوية، وصحفية وناشطة اجتماعية وسياسية. ولدت في الولايات المتحدة الأمريكية في مارس ١٩٣٤م. وهي كانت في البداية تعمل ككاتبة عمود في مجلة نيويورك، وأصبحت إحدى مقالاتها سببا لشهرتها في وطنها. وكانت تلك المقالة منشورة في المجلة باسم "تحرير المرأة بعد القوة الغاشمة" (After Black Power Women's Liberation)[٩٥]. وكذلك إنها قادت حملة لمطالبة المساواة بين الرجل والمرأة، ونشرت مقالا بعنوان: "ماذا لو ربحت النساء" في مجلة "تايم"[٩٦].

لم تقتصر "جلوريا شتينم" على كتابة المقالات بل مشت إلى الأمام وأسست بالاشتراك مع النسويات الأخرى مؤسسة لإظهار المرأة وبسط نفوذها في مجال الإعلام وسمّت هذه المنظمة باسم: "المركز الإعلامي للمرأة". وبمرور الزمن أصبحت رائدة الأنثوية على مستوى العالم، وهي لم تزل تتحدث كإعلامية، وتكتب المقالات والكتب، وتلقي المحاضرات في أنحاء العالم عن مشاكل المساواة.

ت- الموجة الأنثوية الثالثة:

إن فكرة ما بعد الحداثة تركت آثارا بالغا على الموجة الأنثوية الثالثة. ومن أهم تداعيات ما بعد الحداثة فكرة نسبية الثقافات والانتماءات من حيث جدارتها وأحقيتها في تمثيل نفسها وأنساقها القيمية في الحيز العام. كان كل الاهتمام والعناية بحقوق المرأة البيضاء في الموجة الأنثوية الثانية. ولما تأثرت الأنثوية بفكرة ما بعد الحداثة قامت بتعديل الاهتمام والعناية والتحسين فيه. وفي هذا الإطار شكلت الموجة الثالثة تحديًا من زاوية إعادة تعريف المفاهيم الأنثوية الأساسية التي جاءت بها الموجة الثانية.

أما عيوب الموجة الأنثوية الثالثة في أمريكا فتتلخص في التفرقة والانقسام والرؤية الصراعية للعلاقة مع الرجل. بالنسبة للتفرقة والتشظي يمكن الحديث عن ثورة في الحركة النسائية من ناحية عدد الفروع، فهناك نسويات لاهوية، وجنسية، وسوداء وما إلى ذلك. وبحسب الباحثة الفرنسية "كريستين بارد" وهي أستاذة التاريخ

---

[95] http://nymag.com/news/politics/46802/

[96] http://content.time.com/time/magazine/article/0,9171,876786,00.html

بجامعة أنجيه، وصاحبة كتاب شهير في مجال الأنثوية: "النسوية أبعد من الأفكار السائدة"[٩٧] فقد خرجت إلى العلن في الأعوام العشرة الأخيرة حركات نسوية جديدة. ويلاحظ في الغرب تحول الاهتمام والمناقشات من مسائل اجتماعية كالمساواة في الأجور إلى أخرى ثقافية ومعنوية كالمعايير البيولوجية الأخلاقية أو المتصلة بالديانات.

وتتساءل "كريتين بارد" عما إذا كانت هذه المسائل قرائن على موجة نسوية جديدة، وتدور المناقشات اليوم حول تبلور موجة أنثوية ثالثة، والمعايير التي يجب اعتبارها في التصنيف هي توجه الحركات الأنثوية ووسائل عملها وإطار العمل. ولا يلاحظ في شأن التوجه أمر جديد فعلاً، بل يغلب الثبات والتمسك بالخط الذي سدد خطى حركة تحرر النساء. والحركات الراهنة تحتسب تضافر أشكال التمييز وتشابكها؛ التمييز العرقي، والتمييز الاجتماعي، والتمييز الجنسي. ولم يكن الاهتمام والعناية فقط بتوجه أبيض وغربي، ولكن الإطار السياسي والاقتصادي والثقافي اليوم، مقارنة بنظيره في عقد السبعينات، يختلف اختلافًا حادًا. إذن التيارات التي تناهض الحركة الأنثوية تفوق سابقاتها تنظيمًا و(دعوى) مشروعية. ومثال هذا: المطاعن في نظرية الجندر[٩٨].

وتجدر الإشارة إلى أن الحركة الأنثوية أو تحرير المرأة – وهي في الموجة الثالثة من تاريخها – ما تزال تخضع لقراءات خاطئة. وبحسب الناشطة السياسية الأمريكية "ناعومي وولف": "هناك قراءة خاطئة إلى حد خطير للحركة النسائية فقد اتضحت معالم الحركة النسائية في الستينيات والسبعينيات بفضل مؤسسات تابعة لليسار – في بريطانيا كانت تتحالف غالبًا مع الحركة العمالية، وفي أمريكا ولدت من جديد بالتزامن مع ظهور اليسار الجديد – ولهذا السبب نشأ افتراض مفاده أن الحركة النسائية ذاتها لا بد أن تكون يسارية. والواقع أن الحركة النسوية تنسجم فلسفيًا إلى حد كبير مع قيم محافظة، ومؤمنة بحرية الإرادة بشكل خاص"[٩٩].

ووجدنا أن حركة تحرير المرأة مرت بمراحل عديدة، وظهرت عدة ناشطات الأنثوية خلال المراحل أو الموجهات المختلفة ومن أبرزهن: أوليو سرينر، فرجينيا وولف، شترشي، فيرا بريتين، بيتي فريدان، كيت

---

[٩٧] محمد الأنصاري، "الحركة النسوية في أمريكا: من الحقوق إلى "التمركز حول الأنثى""، **إضاءات** (٠٤-١١-٢٠١٦م)، متاح على الرابط: https://www.ida2at.com/the-feminist-movement-in-america-rights-to-female-centered/

[٩٨] مية الرحبي، **المرجع السابق**.

[99] Stacy Gillis, *Third Wave Feminism: A Critical Expoloration* (UK: Palgrave Macmillan, 2007), 63.

ميليت، شولاميث فايرستون، جيرمين غرير، سوزان براون ميلر، وغلوريا ستاينم وما إلى ذلك. وطالبت النسويات في البداية بحق الترشيح والتصويت للمرأة، وحق الملكية. وكانت تقوم على أساس نظري وهو المساواة المطلقة بين الرجل والمرأة في كل شيء. وظهرت هناك نظريات وأيديولوجيات مختلفة كالراديكالية والاشتراكية وما إلى ذلك فعانت النسويات من تشتت وفرقة، فلم تُجمع غالبًا على موقف موحد من القضايا المختلفة. وبدأ الصراع الداخلي بينهن كما بدأن ينقدن بعضهن البعض الأخرى هكذا وتفرقت فيما بينهن.

الفصل الثالث

صورة المرأة في الأدب العربي

المبحث الأول : المرأة في النصرانية واليهودية

المبحث الثاني : المرأة في الإسلام

المبحث الثالث: المرأة العربية والأدب العربي

صورة المرأة في الأدب العربي

اتفق الباحثون والدارسون على أن للكتب الدينية ولاسيما للتوراة والإنجيل تأثير مباشر على الأنثوية وظهورها وازدهارها في العالم الغربي على وجه الخصوص وفي العالم كله عموما. وللكتب الدينية تأثير بالغ في نسيج الثقافة والحضارة الغربية منذ قرون غابرة. ولذا ينبغي لنا أن نقوم بدراسة النصوص المقدسة بإيجاز حتى نتعرف على موقف الديانات المختلفة تجاه المرأة ومدى تأثيره على حركة تحرير المرأة أو الأنثوية.

ينقسم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث تشتمل على بيان أوضاع المرأة في اليهودية والنصرانية وبعض الديانات غير الإسلام، وفي الأدب العربي بشكل عام وفي الدين الإسلامي على وجه الخصوص الذي يرتبط به الأدب العربي منذ بداية الإسلام.

المبحث الأول

المرأة في اليهودية والنصرانية

إن الأديان السماوية الثلاثة؛ الإسلام والمسيحية واليهودية كلها متفقة على أن الله خالق الجنسين الرجل والمرأة كليهما إضافة إلى الكون وما فيه، كما تتفق هذه الأديان الثلاثة على أن الله سبحانه خلق أول رجل آدم عليه السلام وأول امرأة حواء عليها السلام، وجعل لهما الجنة مسكنا وموطنا ورزقهما نعيم الجنة وأباح لهما الأكل والشرب فيها، ولكن الله منعهما عن الأكل من شجرة معينة. أما التعارض بين الأديان المذكورة الثلاث فهو يبدأ من أكلهما الفاكهة من الشجرة المحرمة.

ورد في كتب اليهودية والنصرانية أن الشيطان في شكل الحية وسوس لحواء أن تأكل من الشجرة، وبعدها وسوست حواء لآدم أن يأكل معها، وعندما لام الله آدم على أكلهما الفاكهة من الشجرة الممنوعة، ذكر آدم عليه السلام أن حواء جعلته أن يفعل كذا ويأكل من الشجرة المحرمة فألقى كل الذنب على كتف حواء عليها السلام كما ورد في سفر التكوين: "فقام آدم إنها المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت[١٠٠]". يعتقد النصرانيون أن المرأة هي سبب خروج آدم عليه السلام وطرد الجنس البشري من الجنة إلى سطح الأرض، فأصبحت المرأة عدو الجنس البشري وخطيئتها دَين على النساء جميعهن، وعليهن تأدية هذا الدَين إلى الأبد.

ويؤمن بعض الناس أن الله فرض الآلام على النساء كحمل الأطفال في بطونهن لمدة تسعة أشهر، وما تواجها من المشاكل والصعوبات وقت ولادة الأطفال من بطنها على النساء عقابا لهن على ذنب حواء عليها السلام.

الإنسانية أو البشرية في أول تجربة لحمل تكاليف الرسالة السماوية كانت مع التوراة التي حملها موسى عليه السلام والتي أطلق عليها اسم اليهودية وكان النص التوراتي هو المرجعية للنص الإنجيلي بعد ذلك حتى كادت ثقافته تتسرب إلى شعوب كثيرة إما بالانتماء أو التبعية المرجعية كما في اليهودية والنصرانية، وإما بالتاثير والتأثر القومي أو الاتصالي بين الأمم كما في اليهودية والعرب، حيث انتقل تأثير التراث الثقافي اليهودي إلى العرب وأثر فيهم حتى بعدما اعتنقوا بالإسلام.

---

[١٠٠] بولس باسيم، **الكتاب المقدس – العهد القديم**، (بيروت: دار المشرق، ١٩٨٨م)، سفر التكوين ٣:١٢.

تمثل اليهودية التجربة الإنسانية الأولى لمسألة الدين والعلاقة بين العبد والإله والكون ولذلك انتقل الكثير من المفاهيم الحياتية من نصوص التوارة في مجال العلاقة بين المرأة أو النظر إلى مكانة الرجل، وبخاصة وقد مثل المنتمون إلى اليهودية في الجزيرة العربية قبل الإسلام الجماعة أكثر الفهم للدين. ولو فكرنا في شيء بسيط وهو عدم زواج رجال الكنيسة واجتنابهم عن النساء فلنفهم أن هذه الفكرة مرتبطة بمفهوم الانحياز للرجل ضد المرأة باعتبار أن المرأة تعتبر رمزا للخطيئة وأن الاجتناب عن الزواج هو فقط بسبب الاشمئزاز من المرأة، ودونيتها في الفهم الديني لدى رجال الكنيسة بالرغم من التعارض مع الفطرة الكونية البشرية.

إن الغربيين ومنهم المؤمنون باليهودية والنصرانية، ومنهم من لا يؤمن بهما، يخضعون لهذه المفاهيم الدينية التي تشكل شخصياتهم بغض النظر عن درجة هذا التأثير ومقدار قوته. وقد ورد في الكتب الدينية للنصرانية واليهودية ذكر المحور الرئيسي وهو الخطيئة الأولى كما أسلفنا بذكرها وهذه الكتب تحمل وزر هذه الخطيئة على رأس المرأة. واعتبرها اليهود ملعونة لأنها أغوت آدم وقد ورد في التوراة: "المرأة أمر من الموت وأن الصالح أمام الله ينجو منها رجلا واحدا بين ألف وجدت، أما المرأة فبين أولئك لم أجد"[١٠١].

وتؤمن النصرانية بنفس الشيء والفكرة، والنصارى يلومون المرأة (حواء عليها السلام) بأنها أساس الخطيئة ومصدرها، ولذا يجب الابتعاد والاجتناب التام عنها، وفضل هؤلاء غير المتزوجين على المتزوجين لأنه ابتعد عن الغواية[١٠٢].

وقد عقد الباحثون المسيحيون الفرنسيون مؤتمرا في عام ٥٨٦م حيث قاموا بالمناقشة على كون المرأة إنسانا أو غير إنسان، وكونها جسدا بلا روح أم ذات الروح، وإذا كانت روحا إنسانية فهل هي على مستوى روح الرجل أم أدنى منها؟ ونقاشهم حول المحور الرئيسي: أ هي جسد بلا روح ؟ أم لها روح؟ وصل إلى نتيجة أن المرأة تخلو من الروح الناجية من عذاب الجهنم ما خلا أم المسيح (مريم عليها السلام). وقد استمرت هذه النظرة للمرأة حتى عصر النهضة، فقد أباح القانون الإنجليزي للرجل أن يبيع زوجته وحدد ثمنها بستة بنسات وذلك حتى عام ١٨٠٥م[١٠٣].

---

[١٠١] مصطفى السباعي، **المرأة بين الفقه والقانون** (بيروت: دار الوراق، ١٩٩٩م)، ص ١٩.

[١٠٢] مصطفى الشكعة، **إسلام بلا مذاهب** (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٦م)، ص ١٠٢.

[١٠٣] مصطفى السباعي، **المرجع السابق**، ص ١٦.

وفي مؤتمر آخر قرروا أن المرأة خلقت لخدمة الرجل لا الغير، وبقيت على هذا الحال حتى القرون الوسطى، كذلك ناقشوا حقيقة وطبيعة المرأة في بداية القرن السابع عشر، وتوصلوا إلى أن المرأة "شر لا بد منه".[١٠٤] وأصدر البرلمان الإنجليزي قرارا في عصر "هنري الثامن" ملك إنجلترا يحظر على المرأة أن تقرأ كتاب "العهد الجديد" لأنها تعتبر نجسة، وعند ولادة المرأة تقول الكنيسة دعهن يتألمن وهيا نساعد الرب في الانتقام منهن[١٠٥].

وكثرة الفلاسفة ذووا موقف سلبي تجاه المرأة لما ورد في الكتاب المقدس (المحرف) أنها أساس الشر والفساد في الكون، ويقولون: إنها ناقصة لأنها خلقت من ضلع الرجل الأوج. وقليل من الفلاسفة نادوا بإعطاء المرأة حقوقها.

يتضح مما سبق أن الفكر الغربي النسوي قام على قراءة النصوص المقدسة التي تحدد مكانة المرأة وتعدها سببا لجميع الخطايا والفساد في الدنيا. وكانت المرأة محرومة من حق الميراث، وإدارة أموالها أو التصرف فيها بدون موافقة الرجل[١٠٦].

هذا كان حال المرأة في الأيام العادية وأما إذا حاضت المرأة فحالها أكثر سوءا مما سبق كما ورد في حديث نبوي شريف: "أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم، لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت"[١٠٧]. وقد تأثرت نظرية اليهودية والنصرانية عن المرأة بالديانة الهندية ففي شريعة "مانو" لم يكن للمرأة حق الاستقلال عن زوجها أو أبيها أو ابنها، فإذا مات هؤلاء جميعا وجب عليها أن تنتمي إلى رجل من أقارب زوجها، وتبقى المرأة طوال حياتها معهم. ولما نطالع الكتب التاريخية نجد فيها أن المرأة كانت تحرق مع زوجها بعد وفاته. وقد ذكر الرحالة الشهير ابن بطوطة في كتاب "رحلة ابن بطوطة" بالتفصيل طريقة إحراق المرأة وعنون ذلك الباب بـ"ذكر أهل الهند الذين يحرقون أنفسهم بالنار"[١٠٨] وقد استمرت تقاليد إحراق الزوجة المعروفة بنظام "الساتي" (sâti) حتى القرن التاسع عشر.

---

[١٠٤] أبو الحسن الندوي، **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين** (المنصورة: مكتبة الإيمان، ١٩٨٥م)، ص ٣١.

[١٠٥] أحمد شلبي، **سلسلة مقارنة الأديان**، ص ٢١٠-٢١٣.

[١٠٦] مصطفى السباعي، **المرجع السابق**، ص ١٤.

[١٠٧] أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، رقم الحديث: ٣٠٢.

[١٠٨] ابن بطوطة، **رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٨٧)، ص ٤٢٢.

وأما اليونان فإنهم اعتبروا المرأة رجسا من عمل الشيطان ورمزا للخيانة. ومن آلهتهم "أفروديت" التي خانت ثلاثة آلهة وهي زوجة لرجل واحد.[١٠٩] وأما الرومان فقد كان لرب الأسرة سلطة مطلقة على جميع أفراد أسرته وزوجاته وزوجات أبنائه، وتشمل هذه السلطة البيع والنفي والتعذيب والقتل[١١٠].

يتضح مما سبق أن حالة المرأة وصورتها التي وردت في كتب الأديان المختلفة كالنصرانية واليهودية سيئة للغاية. وهي تعد المرأة سببا للفساد في الكون وتحمل وزر أول خطيئة في الجنة، وسببا لطرد آدم عليه السلام من الجنة إلى سطح الأرض. وهذه الأديان تعامل المرأة معاملة سيئة للغاية ويظن أهلها أنها كآلة ماكينة أو كلعبة في أيدي الرجل بل خادمة للرجال. وهذه هي الأمور أو الأسباب الدينية التي جعلت النساء يخالفن ويرفضن أديانهن. ولقيامهن ضد الظلم وقهر الرجال وسيطرتهم عليهن، ولذا رفعت النساء أصواتهن ضد الأديان، وحاولن تحريرهن من القيود الدينية بالإضافة إلى القيود السياسية والاجتماعية.

[١٠٩] مصطفى السباعي، **المرجع السابق**، ص ١٨.

[١١٠] مصطفى الشكعة، **المرجع السابق**، ص ١٠٠.

المبحث الثاني

المرأة في الإسلام

إن موضوع وضع المرأة من أكثر المواضع خلافا وخطورة، وهي مادة اهتمام ودراسة عند المسلمين وغير المسلمين خاصة المستشرقين فبعضهم يتكلمون عما أنجز الإسلام بحق المرأة وما منحها من حقوقها وكرامتها، والبعض الآخر ينسبون جميع السلبيات في وضع المرأة إلى الإسلام. إن أعداء المسلمين يركزون ويهاجمون على المرأة بأنهم يعرفون معرفة جيدة أن المرأة هي راعية الأسرة بعد الرجل، وهي العضو المؤثر في النشأ للخير أو الشر، وهي الركن الركين والجانب القوي للأسرة فمتى سقط الركن انهدم البناء كله. ومع أن الإسلام منح المرأة جميع الحقوق التي تستحقها، وأتى بإصلاحات عديدة لوضعها يدّعي كثيرون من أعداء الإسلام أنه سلب حقوقها[١١١].

إن المرأة كانت قبل الإسلام منعزلة، والرجل كان صاحب المركز الممتاز في الأسرة والمجتمع. والمعيشة البدوية كانت ترغب الآباء في ذرية طيبة لأن الرجل هو جند للقبائل، وكانت القبيلة تجد في فتياتها من الحماية ما لا تجده في معاصم فتيانها. "فالمرأة قبل الإسلام لم تكن محل اعتبار لدى الرجل إما لجحود إنسانيتها وتجريدها منها البتة، وإما لإحساسهم بأن مهمات الحياة لا تقتضي دورها"[١١٢]. وإن المرأة ما كانت لها مكانة خاصة في كل القبائل بل تختلف مكانتها في القبيلة الواحدة. والعرب "لم يكونوا جميعا يكرمون المرأة ويبجلونها، كما لم يكونوا جميعا يحتقرونها"[١١٣].

أما أهل الدنيا فلهم آراء مختلفة في المرأة، فإن علماء أوروبا يشكون في كونها إنسانا فهم قاموا بندوة وناقشوا حول هذا الموضوع هل المرأة إنسان؟ والروم يعتبرونها ميراث أفراد المنزل الذي ينقل من شخص إلى شخص، واليونان يتهمونها برجس من وسائل الشيطان، واليهود يزعمون أنها مستحقة للعنة الله ولجهنم، والنصارى يحرصون على التوكيد أنها مصدر الخطيئة والشر في العالم. وكانت المرأة تعتبر سبب الخجل والذلة في العالم

---

[١١١] أحمد عمرو، **المرجع السابق**، ص ١٤٨.

[١١٢] الدكتور بدر حميد هميسه، **المرأة في ظل الإسلام** (٢٠١٠م)، ص ٢.

[١١٣] كمال أحمد عون، **المرأة في الإسلام** (المملكة العربية السعودية: دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٣م)، ص ٤١.

العربي قبل الإسلام، وكان وأد البنات عملا معروفا لديهم. ولدى الهندوس كانت أبواب التعليم للمرأة مغلقة وكانت تحترق وهي حية مع زوجها بعد موته[١١٤].

وقد كان قبل الإسلام بعض قبائل تميم وأسد مصابين بداء وأد البنات خوفا من العار وخشية الفقر، وإليه أشار الله سبحانه بقوله: {وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ}[١١٥] فكان خشية الفقر من أسباب وأد البنات فرد الله على عقيدتهم بقوله: {وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا}[١١٦] وكان معظم العرب يعدّونها آفة من الله ومصيبة كبرى ولذا إذا قيل لأحد منهم إنه أصبح أبا للبنت اسودّ وجهه فما كان أبغض إلى الأب من خبر يأتيه بمولد البنت، وإليه أشار الله سبحانه بقوله: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}[١١٧] "فإن الجاهليات القديمة للعرب واليونان والرومان وغيرهم ظلمت المرأة ظلما مبينا حين استقبلت الأنثى بتجهّم وحين اجتاحت حقوقها بلا اكتراث"[١١٨].

وقد رفع الإسلام صوته ضد الظم المرتكب بشأن المرأة قبل الإسلام، ورد للمرأة حقها المسلوب في الحياة، وأزال عنها ما لحقها من ظلم. "إن ما جاء في الكتابين المقدسين نجد المرأة اليهودية والمسيحية هي المسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى وأنهن مدخل للشيطان"[١١٩]. وهم يعتبرون المرأة سبب نكبة آدم وهي التي حرمته من الجنة حيث أراد الله له دوام الإقامة. وأما القرآن فذكر فيه أن آدم وحواء كليهما ظلما على نفسه وليست حواء وحدها مسؤولة عن الخطيئة.

وقد جاء القرآن الكريم بحقوق مشروعة للمرأة لم يسبق إليها دستور شريعة أو دستور دين. وأكرم من ذلك لها أنه رفعها من المهانة إلى مكانة الإنسان المعدود من ذرية آدم وحواء، بريئة من رجس الشيطان ومن حطة الحيوان ... رفع عنها لعنة الخطيئة الأبدية ووصمة الجسد المرذول"[١٢٠]. قال الله تعالى: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ

---

[١١٤] أبو بكر جابر الجزائري، "**المرأة المسلمة**"، ترجمة: سعيد قمر الزمان (الرياض: المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد بالبديعة، ١٤١٩هـ)، ص ٥.

[١١٥] سورة التكوير، رقم الآية: ٨-٩.

[١١٦] سورة الإسراء، رقم الآية: ٣١.

[١١٧] سورة النحل، رقم الآية: ٥٨-٥٩.

[١١٨] الشيخ محمد الغزالي، د. محمد سيد الطنطاوي، د. أحمد عمر هاشم، **المرأة في الإسلام** (القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، ١٩٩١م)، ص ١١.

[١١٩] مصطفى السباعي، **المرجع السابق**، ص ١٩.

[١٢٠] عباس محمود العقاد، **المرأة في القرآن** (القاهرة: دار السلام، ١٩٧٤م)، ص ٥٣.

عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[١٢١]. وقال: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾[١٢٢] فكلاهما ظلما نفسيهما بذنبهما لذا نادا كلاهما ربهما ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[١٢٣].

وإننا إذا قلبنا أوراق القرآن الكريم "تظهر المرأة فيه في ثلاثة جوانب؛ أولا: كائن بيولوجي واجتماعي، ثانيا: مؤمنة، وثالثا: بكونها من شخصيات القصص القرآنية عن سير الأنبياء ومصير نسائهم"[١٢٤]. وورد ذكر النساء في القرآن والحديث كليهما ففي القرآن نجد اسم السيدة مريم عليها السلام وهي أهم شخصية أنثوية في القرآن حيث يطلق اسمها على السورة التاسعة عشرة، ونجد أسماء كثيرات من النساء في الأحاديث الشريفة. ونجد كذلك ذكر النساء في القرآن بدون ذكر أسمائهن مثل حواء، وامرأة عمران، وامرأة العزيز، وامرأة فرعون، وامرأة لوط، وامرأة إبراهيم، وامرأة أبي لهب، وأم المؤمنين سيدة زينب زوجة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وهنا يجدر بالذكر أنه لا توجد أية سورة في القرآن باسم سورة الرجال ولكن توجد فيه سورة باسم "سورة النساء" التي هي السورة الرابعة في القرآن وهي من السور الطوال فيه.

وقد كانت المرأة مظلومة قبل الإسلام "فإذا نظرنا إلى مكانة المرأة في التوراة والإنجيل نجد أن المرأة لا تكون شريكة الرجل، ولا تساويه بل تعد فتنة للرجل وهو يستعبدها لتلد له الأولاد"[١٢٥] وإذا نظرنا إلى مكانتها في الإسلام نجد أن الإسلام رفع مكانتها وكرمها غاية التكريم، ووضع الميزان لكرامة المرأة وأعطاها حقوقها كاملة فالمرأة كالرجل في الإنسانية سواء بسواء فلا نجد في الإسلام أي التميز في الرتبة بين الرجل والمرأة فقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾[١٢٦] فكلاهما سواء عند الله إلا من كان أتقى من الآخر فهو يمكن أن يكون الرجل كما يمكن أن تكون المرأة كما جاء في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[١٢٧]، وقد وجه الله الخطاب إلى كليهما في الأوامر والنواهي. وجعل الإسلام المساواة بين الرجل والمرأة في الجزاء والعقاب. يقول سبحانه وتعالى:

---

[١٢١] سورة البقرة، رقم الآية: ٣٦.

[١٢٢] سورة الأعراف، رقم الآية: ٢٠.

[١٢٣] سورة الأعراف، رقم الآية: ٢٣.

[124] Johann Christ Burgel, Allmaclt und Machtigkeit, 286 (Munchen 1991),

نقلا عن حمدون داغر، **مكانة المرأة في الإسلام**، (آستريا: ولاشي، ١٩٩٤م)، ص ٨.

[١٢٥] عباس محمود العقاد، **المرجع السابق**، ص ١٨.

[١٢٦] سورة النجم، رقم الآية: ٥٣-٥٤.

[١٢٧] سورة الحجرات، رقم الآية: ١٣.

{فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ}[١٢٨] كما يقول في موضع آخر: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[١٢٩] ويقول سبحانه: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا}[١٣٠] فإن "المرأة في صدر الإسلام عرفت قدرها، ولما سمعت مناديا يدعو إلى الإيمان سارعت إلى تلبيته"[١٣١]. وقد ورد في كتب التاريخ والسير أن أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم كانت امرأة، وهي أم المؤمنين خديجة الكبرى، وأول من استشهد دفاعا عن الإسلام كانت امرأة، وهي الصحابية الجليلة سمية بنت خياط، وأول من فقدت بصرها في سبيل الله امرأة وهي زنيرة، ولعبت فاطمة بنت الخطاب دورًا هاما في إسلام أخيها عمر بن الخطاب.

والمرأة قبل الإسلام كانت تعاني من انحطاط وذلة ولم يكن لها أي حقوق سياسية واجتماعية. ما كانت لها المكانة التي تستحقها لدى الفرنسيين فإنهم كانوا يعتبرونها خادمة لهم ولا شيء آخر، "عقد الفرنسيون مؤتمرا للبحث عام ٥٨٦ للميلاد تساءلوا فيه : هل تعد المرأة إنسانا أم غير إنسان ؟ وأخيرًا قرروا إنها إنسان خلقت لخدمة الرجل"[١٣٢]. وأما الإسلام فليس فيه كذا بل الإسلام "أعلن إنسانيتها الكاملة، وأهليتها الحقوقية التامة وصونها من عبث الشهوات وفتنة الاستمتاع جنسيا وحيوانيا وجعلها عنصرا فعالا في نهوض المجتمع وتماسكه وسلامته"[١٣٣].

إن المرأة تشكل نصف المجتمع من حيث العدد فإذا وضعنا في اعتبارنا إنها تلد النصف الآخر علمنا أهميتها البالغة ودورها العظيم في بناء المجتمع ولذا جعل النبي النساء شقائق الرجال[١٣٤] كما أخرج مسلم في صحيحه برواية السيدة عائشة رضي الله عنها: "لقد اهتم الإسلام بالمرأة اهتماما بالغا وعظيما فأحاطها بكل سبل

---

[١٢٨] سورة آل عمران، رقم الآية: ١٩٥.

[١٢٩] سورة النحل، رقم الآية: ٩٧.

[١٣٠] سورة الأحزاب، رقم الآية: ٣٥.

[١٣١] الشيخ محمد الغزالي وآخرون، **المرجع السابق**، ص ٦.

[١٣٢] مصطفى السباعي، **المرجع السابق**، ص ١٩.

[١٣٣] بدر حميد هميسه، **المرجع السابق**، ص ٩.

[١٣٤] أحمد بن محمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، رقم الحديث: ٣٦١٩٥.

التربية والرعاية وشرع لها من الحقوق ما يلائم تكوينها وفطرتها ما لم تعهده أمة من الأمم على مر العصور والدهور[١٣٥"١٣٦].

إن البنت كانت تعتبر سبب الفساد والشر ودخول جهنم، وكانت تدفن قبل الإسلام فأنقذها الإسلام منها وأكرمها، وجعل تربيتها سبب دخول الجنة، ولقبها بمحصنة. قال النبي صلى الله عليه وسلم تكريما للبنت كما جاء في الجامع الصحيح للبخاري: "أيما رجل كانت عنده وليدة فعلّمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها وزوجها فله أجران"[١٣٧]. هذا الحديث أيضا دليل على أن الإسلام يشجع على تعليم المرأة وتثقيفها وتهذيبها. ونحن نعلم علم اليقين أن أم المؤمنين سيدة عائشة ما كانت تعلّم النساء فحسب بل الرجال أيضا قد كلّف الإسلام الرجل والمرأة كليهما بتحقيق العلم وتبليغه حتى أن أول ما نزل من القرآن يأمر بتحقيق العلم وهو {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}[١٣٨]. ولم لا يشجع الإسلام المرأة على حصول العلم، والله أعلم بأهليتها وأهميتها فإن علّمنا رجلا علمنا شخصا واحدا، ولو علّمنا بنتا علمنا الأسرة كلها. ولذا قال الشاعر المصري حافظ إبراهيم:

من لي بتربية النســـــاء فإنها	في الشرق علة ذلك الإخفاق
الأم مدرســـــة إذا أعددتها	أعددت شعبا طيب الأعـراق
الأم روض إن تعهــده الحيا	بالري أورق أيمـا إيـــــــراق
الأم أستاذ الأســاتذة التـي	شغلت مآثرهم مدى الآفــاق[١٣٩]

وقد أكرم الإسلام المرأة بكونها أما وفضل خدمة الأم على الجهاد في سبيل الله كما جاء في سنن ابن ماجه أن طلحة بن معاوية السلمي قال: "أتيتُ النبيَّ ﷺ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ إني أريدُ الجهادَ في سبيلِ اللهِ تعالى، فقال: أُمُّكَ حَيَّةٌ؟ فقلتُ: نعمْ، فقال: الزم رجلها فثمَّ الجنَّة"[١٤٠]. وجاء في حديث آخر: "الجنة تحت أقدام

---

[١٣٥] أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، رقم الحديث: ٢٥٦/٦.

[١٣٦] بدر حميد هميسه، **المرجع السابق**، ص ٢.

[١٣٧] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، رقم الحديث: ٥٠٨٣.

[١٣٨] سورة العلق، رقم الآية: ١.

[١٣٩] حافظ إبراهيم، **ديوان حافظ إبراهيم**، الجمع والتحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري (القاهرة: دار اليقين للنشر والتوزيع، ٢٠١١م)، ص ٣٢٧.

[١٤٠] أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، **جامع المسانيد والسنن**، رقم الحديث: ٥٥٢٩.

الأمهات"[١٤١]. وورد في الصحيحين أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله: "يا رَسُولَ اللهِ، مَن أَحَقُّ النّاسِ بحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قالَ: أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبُوكَ، ثُمَّ أَدْناكَ أَدْناكَ"[١٤٢]. وجاء في القرآن الكريم: {وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ}[١٤٣] وحتى قال الله: {وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا}[١٤٤].

وقد صرح الإسلام بأن المرأة الصالحة هي "خير متاع الدنيا"[١٤٥]. وقال النبي ﷺ "أنه حُبِّبَ إليَّ النِّساءُ والطِّيبُ"[١٤٦] وسُئل ﷺ: "يا رسولَ اللهِ! مَنْ أحبُّ الناسِ إليكَ؟ قال: عائشةُ. قيل: مِنَ الرجالِ؟ قال: أبوها"[١٤٧]. وأنزل الله براءة عائشة من السماء حين اتهمت بارتكاب الزنا كما ورد في سورة النور، وكرم المرأة زوجة فجعلها الله سبب السكينة والمسرة والراحة وهو يقول: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً}[١٤٨] وقال: {هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ}[١٤٩] وقال عن حقوق المرأة: {وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ}[١٥٠].

هذا من المعلوم أن المرأة ما كانت تملك شيئا من الميراث قبل الإسلام حتى أنها كانت "حصة من الميراث تنقل من الآباء إلى الأبناء، وتباع وترهن في قضاء المنافع وسداد الديون".[١٥١] وكان الرجال وحدهم يملكون حق الإرث. فلما جاء الإسلام بنظام جديد أعطى للمرأة حق الميراث كما جاء في القرآن: {لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ

---

[١٤١] أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، رقم الحديث: ١٧٠٢.

[١٤٢] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **صحيح البخاري**، رقم الحديث: ٥٩٧١؛ أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، **صحيح مسلم**، رقم الحديث: ٢٥٤٨.

[١٤٣] سورة الأحقاف، رقم الآية: ١٥.

[١٤٤] سورة الإسراء، رقم الآية: ٢٣.

[١٤٥] الإمام البخاري، **صحيح البخاري**، رقم الحديث: ٣٤١٣؛ الإمام مسلم، **صحيح مسلم**، رقم الحديث: ١٤٦٧.

[١٤٦] أحمد بن علي بن شعيب النسائي، **كتاب السنن المعروف بالسنن الكبرى**، رقم الحديث: ٣٩٤٠، أحمد بن محمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، رقم الحديث: ١٢٢٩٣.

[١٤٧] أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي**، رقم الحديث: ٣٨٩٠؛ أبو عبد الله محمد ابن ماجه القزويني، **السنن**، رقم الحديث: ١٠١.

[١٤٨] سورة الروم، رقم الآية: ٢١.

[١٤٩] سورة البقرة، رقم الآية: ١٨٧.

[١٥٠] سورة البقرة، رقم الآية: ٢٢٨.

[١٥١] عباس محمود العقاد، **المرأة في القرآن**، (القاهرة: دار السلام، ١٩٧٤م)، ص ٥٣.

مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا}[١٥٢] وقال: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ}[١٥٣] ويجدر بالذكر أن الله جعل حظ المرأة ميزانا لحظ الذكر بقوله "لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ". هذا من المؤسف أن أعداء الإسلام ينتقدونه على أنه أعطى للمرأة نصف الرجل وهو ظلم عليها. وإن أولي العلم يعلمون أن الرجل قوي الجسم بطبعه وله أكثر من المرأة صلاحية القضاء والإمامة وهو لكمال عقله يصرف المال ما يفيده الثناء الجميل فنظرا إليها كلف الله الرجل بنفقة المرأة في كل دور من أدوار الحياة والمرأة مسؤولة عن إرضاع الطفل. ويصيبها كل شهر داء الحيض لبعض الأيام وهي تحمل الجنين لتسعة شهور. ولو كانت المرأة مكلفة بنفقة الرجل لكان أصعب الأعمال عليها وحتى لو كلفت بنفقة نفسها فقط فإن الله العليم الخبير الحكيم لا يكلف نفسا إلا وسعها ولا يريد بالمرأة إلا خيرًا. والحق أن حكم المرأة في الميراث مبني على أساس قضت به طبيعتها. قال محمد رشيد رضا: "حكمة جعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل ان الشرع الاسلامي أوجب على الرجل أن ينفق على المرأة. فبهذا يكون نصيب المرأة مساويا لنصيب الرجل تارة وزائدا عليه تارة أخرى باختلاف الاحوال[١٥٤]"[١٥٥].

وإذا طالعنا كتب التاريخ وجدنا أنه ما كانت للمرأة قبل الإسلام من الحقوق السياسية شيء، أما في الإسلام فلها منها نصيبها كما جاء في القرآن: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ۖ}[١٥٦]. ويمكننا أن نفهم من كلمة {البيعة} في الآية المذكورة حق التصويت في عصرنا هذا. وجاء في رواية أن الخليفة الثاني سيدنا عمر كان يشاور مع الصحابة في قضية الصداق فقدمت شيخوخة من عامة الناس مشورتها فرحّب بها سيدنا عمر. ويمكننا أن نفهم أن النساء مساعدات وأولياء الرجال في الأمور السياسية إضافة إلى الأمور الاجتماعية من قول الله سبحانه: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}[١٥٧].

---

[١٥٢] سورة النساء، رقم الآية: ٧.

[١٥٣] سورة النساء، رقم الآية: ١١.

[١٥٤] هكذا وردت كلمة "ان" و"الاسلامي" و"الاحوال" بهمزة الوصل، وهي خطأ.

[١٥٥] رشيد رضا، **نداء للجنس اللطيف** (مصر: مطبعة المنار، ١٣٥١هـ)، ص ١١.

[١٥٦] سورة الممتحنة، رقم الآية: ١٢.

[١٥٧] سورة التوبة، رقم الآية: ٧١.

يتضح مما سبق أن المرأة كانت تدفن بعد ولادتها قبل الإسلام بأيدي أبيها فأنقذها منها الإسلام وجعل تربيتها سبب دخول الجنة كما دل على ذلك الأحاديث الشريفة. وكانت المرأة قبل الإسلام تعتبر سبب الشر والفساد وسلاح الشيطان لكن لما جاء الإسلام دعاها بكلمة "المحصنة" (المنقذة من الشر والفساد والأعمال السيئة). والمرأة ما كانت تملك من الميراث شيئا فأعطاها الإسلام حقها منه. وجعلها الإسلام كالرجل سواء بسواء في الإنسانية وما تميز بينهما في الأجر والثواب. وأما قبل الإسلام فكان يشك الأوربيون هل المرأة إنسان أم لا؟ وكانوا مذبذبين بينهما.

وإن الإسلام كرم المرأة بصفتها أما بحيث جعل إطاعتها وخدمتها وحسن صحابتها سببا لدخول الجنة وكرمها زوجةً بحيث جعلها شريكة حياة الرجل وأمر الزوج أن يعاشرها بالمعروف وكرمها كابنة بحيث كلّف الوالد بتربيتها وتعليمها وتثقيفها وتهذيبها، وجعل هذا أيضا من أسباب دخول الجنة. وكلف الإسلام الرجل بنفقتها في كل مرحلة من مراحل حياتها. ويتضح مما جاء في القرآن والحديث أن الإسلام اعترف بإنسانية المرأة كاملة، وقد نالت المرأة في الإسلام من حقوقها الاجتماعية والسياسية والدينية والقانونية ما لم تنله في دين من الأديان. وبالجملة يمكننا أن نقول: إن وضع المرأة في الإسلام هو أفضل بكثير مما كانت عليه قبل الإسلام، فالإسلام حسّن وضعها ونقلها من قعر الهاوية إلى حياة كريمة.

ومن المناسب أن نطلع على علاقة المرأة مع الكتابة في الأدب العربي ولا سيما بعد مجيء الإسلام بأننا نجد أن المرأة لم تساهم كثيرا في الأدب العربي بعد مجيء الإسلام وإنما اكتفى بالمساهمة في نشر الإسلام وتعاليمه حتى جاء العصر الحديث الذي خدمت فيه المرأة العربية الأدب العربي ولا سيما إنها لعبت دورا كبيرا في مجال الرواية.

المبحث الثالث

المرأة العربية والأدب العربي

لقد ساهمت المرأة العربية في مجال الرواية العربية بشكل كبير منذ بدايتها حتى الآن. والمرأة تملك عنصرا لم يتوفر عند الرجل وهو أنوثتها، فزاد هذا العنصر نصها رونقا وجمالا حتى تماسكا، وهذا العنصر يضفي على كتابتها حسنا ونعومة. ولما نتصفح أوراق التاريخ النسوي نجد أن الرجل قد حاول تنحية المرأة وأدبها من الساحة الفكرية، بل حاول إزالة معالم الأدب النسوي، والذي رغم هذا كله ظل موجودا منذ القدم أي منذ الجاهلية وذلك رغم ندرته إلا أنه وجد ففي العصر الجاهلي برعت خنساء في فن الرثاء، وقد حجزت بمستواها الشعري المتفوق مكانة مرموقة وسط الشعراء الرجال في ذلك العصر. وعدا هذه الحالات النادرة والمتفرقة عبر التاريخ ورغم تكريم الإسلام لها، لم نجد للمرأة إسهامات تُذكر في المجالات الأدبية. وقد انتظرت المرأة حتى قدوم العصر الحديث وبوادر ظهور الحركة النسوية فظهرت بعض النسوة في العالم العربي مثل مي زيادة، وملك حفني ناصف، وعائشة التيمورية وأخريات كثيرات أسسن هذه الحركة النسوية العربية.

بدأت الحركة النسوية في البلاد العربية والتي اقتبستها عن نظيرتها الغربية والموجات الاستعمارية للدول الأوروبية على العالم العربي، وبذلك أصبح العرب تحت وطأة الاستعمار؛ الأمر الذي جعل العديد من الناس مولعين بهذه الحضارة الغربية المادية بالرغم من رفضهم التام لهؤلاء الدخلاء. وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: "إن المغلوب يكون دائما مولعا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده[١٥٨]" أي أن المغلوب يقلد الغالب في كل ما يفعله برمته.

لكن هذه هي فطرة الإنسان، فكانت المرأة تعاني تسلط الرجل العربي والمجتمع العربي، وبين الاستعمار لم يمنع النساء من التعلم والتثقف بالثقافة الغربية. ولهذا أطلقت المرأة العربية العنان للحركة النسوية العربية وساعدها في ذلك فن الرواية، لأنها كانت الأكثر قدرة على تحري رؤى العالم وآفاقه.

"وإذا كان الشعر هو ديوان العرب في وقت مضى فإن الرواية هي ديوان العرب في الوقت الراهن"[١٥٩]، فالرواية تحقق للمرأة المبدعة شيئا من تشكيل ذاتها الحقيقة. ولقد برزت إلى الوجود نسوة نافسن الرجال في

---

[١٥٨] أحمد صبحي منصور، **مقدمة ابن خلدون: دراسة أصولية تاريخية** (القاهرة: دار الأمين، ١٩٩٨م)، ص ١٠١.

[١٥٩] ابن السائح الأخضر، "نص المرأة وعنفوان الكتابة"، **مجلة الراوي**، العدد ١٨، (مارس ٢٠١٨م)، ص ٣٨، متاح على الرابط:

المجال الإبداعي بالرغم من أن عديد النقاد وخاصة الغربيين منهم كانوا يؤمنون بأنه لا وجود لأدب نسوي، خاصة في فن الرواية وإن وجد فهو نادر جدا. وفي هذا الصدد تقول بثينة شعبان: "عندما بدأت البحث منذ ١٠ سنوات في الرواية النسائية حذرني أحد النقاد بأن الموضوع هو أسوء ما يمكن اختياره للدراسة، لأنه لا توجد روائيات عربيات سوى غادة السمان، أما غير ذلك من أعمال نسائية فلا قيمة له، فهي تتميز بالفردية وتتجه نحو مواضيع الرومانسية الفاشلة، ثم ما إن بدأت البحث في الموضوع، حتى وقعت في أدب نسائي عربي مكتمل التطور ويواصل النمو، أدب بالصعوبة بما كان على كتاب واحدا يحيط بتفاصيله..."[١٦٠].

ويعد الكثير من المثقفين العرب أن رواية زينب ١٩١٤م لمحمد حسين هيكل أول رواية حديثة في الأدب العربي، لكن الدكتورة بثينة شعبان ترى غير ذلك، ففي كتابها المعنون "مئة عام من الرواية النسائية العربية" ترى أن الرواية "حسن العواقب" للكتابة اللبنانية زينب فواز هي أول من خاض في هذا الفن، وهي أول رواية عربية بحكم أنها نشرت عام ١٨٩٩م بالقاهرة ضمن منشورات المطبعة الهندية، أي أنها تسبق رواية زينب بخمس عشرة سنة. ولا تقف عند هذا الحد فهي تحدد ثلاث عشرة رواية بالإضافة إلى "حسن العواقب" نشرت قبل رواية زينب منها "قلب الرجل" للكاتبة "لبيبة ماضي هاشم" الصادرة عام ١٩٠٤م و"حسناء سالونيك" الصادرة عام ١٩٠٤م للكاتبة اللبنانية لبيبة ميخائيل صوايا[١٦١].

وترى الدكتورة أن لهاتين الروايتين الأسبقية الزمنية على رواية زينب بحكم أنهما نشرتا في جريدة الهدى والتي كانت من أوائل المنشورات العربية الأمريكية المبكرة في نيويورك. وبالنظر لمحتوى كتابات المرأة العربية نجدها قد طرقت عديد المواضيع التي كانت ذات أهمية للمجتمع العربي الحديث بالرغم أن إبداعاتها الأولى قد انحصرت في المواضيع الرومانسية، والتي كانت تتحدث عن حياتها الواقعية التي كانت عبارة عن اضطهاد وظلم وهتك واغتصاب لحقوق المرأة العربية. ومن النسوة الكاتبات اللائي طرقن هذا الباب نجد الكاتبة المغربية زهور كرام التي تناولت مواضيع كالتمرد في مجتمع المرأة المغاربية التي أعياها ثقل العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية

---

https://archive.alsharekh.org/MagazinePages/MagazineBook/Alrawi/Alrawi_2008/Issue_18/index.html

[١٦٠] بثينة شعبان، **مئة عام من الرواية النسائية العربية** (بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م)، ص ١٧.

[١٦١] نفس المرجع، ص ١٦٧.

التي تمثل عائقا في طريق المرأة والرجل على حد سواء. هذا كله قد جسدته هذه الكاتبة ببراعة فائقة في روايتها "قلادة قرنفل"[١٦٢].

كما نجد الروائية "عفيفة كرم" في روايتها "بديعة وفؤاد" التي مهدت للإصلاح والتطوير بحسب الدكتورة شعبان، والعلاقة بين الشرق والغرب. نشرت هذه الرواية سنة ١٩٢٦م وهي تحكي علاقة حب تنشأ على متن سفينة متجهة من لبنان إلى الولايات المتحدة، وتبحث في قضايا تهم المرأة إلى جانب مسائل مثل الحداثة والهوية، متحدية بذلك ادعاءات الرجل لحصر الكتابة النسائية في القضايا الاجتماعية والسياسية التي تناولتها المرأة كانت على نفسها السوية الفنية، والمواضيع الأخرى إن لم نقل أنها كانت على سوية فنية أرقى من مقاربة الرجال[١٦٣].

ومثال على ذلك رواية "أيام مئة" لكوليت خوري وراية "أنا أعيش" لليلى بعلبكي، وهناك كتابات أخرى أثبتت بجدارة واستحقاق أن اهتمامات المرأة تعدت الشؤون المنزلية وارتقت بالخطاب الأدبي وإن نم هذا عن شيء إنما ينم عن مدى مستوى وعي المرأة العربية.

خلاصة القول:

يتضح مما سبق أن ليس ثمة للمرأة مكانة عالية في الأديان المختلفة، وهي تعتبر ملعونة حينا وسببا للفساد في الدنيا حينا آخر، وتعتبر سببا لخروج سيدنا آدم عليه السلام من الجنة في النصرانية واليهودية، ولم تكن للمرأة

---

[١٦٢] زهور كرام، "الكتابة النسائية أفق مفتوح على التنوع"، **بيان اليوم** (٠٦ مارس ٢٠٢٠م)، متاح على الرابط:
http://bayanealyaoume.press.ma/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B3%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D8%A3%D9%81%D9%82-%D9%85%D9%81%D8%AA%D9%88%D8%AD-%D8%B9/.html#:~:text=%D8%AA%D8%B4%D9%83%D9%84%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A3%D8%A9%20%D9%85%D9%88%D8%B6%D9%88%D8%B9%D8%A7%20%D8%B3%D8%AC%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A7%20%D9%81%D9%8A,%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%81%D9%83%D9%8A%D8%B1%20%D9%84%D8%AA%D9%82%D8%A8%D9%84%20%D8%B5%D9%88%D8%B1%20%D8%BA%D9%8A%D8%B1%20%D9%85%D8%A3%D9%84%D9%88%D9%81%D8%A9.

[١٦٣] ليندا جين شيفرد، **المرجع السابق**، ص ١١.

مكانة تذكر في المجتمع الغربي ولدى المفكريين والفلاسفة الغربيين فإنهم شكّوا في كونها إنسانا وذات روح. والإسلام الذي فيه خير وصلاح للمرأة والرجل، نجد فيه تميز المرأة من الرجل في بعض العبادات والأحكام الشرعية نظرا إلى قدراتها ومقتضياتها ومتطلباتها السيكولوجيا والبيلوجيا مثلا أن لا تصلي المرأة مع الرجل جنبا إلى جنب في صف واحد، وأن لا تخرج من بيتها وحيدة، وأن تلبس الحجاب، وأن تطيع أباها وزوجها، وكذلك إنها تحصل من الميراث نصف ما يحصله الرجل.

إن هذه القضايا كلها مبنية على الحكمة وتوافق العقلانية، وقد نالت المرأة في الإسلام ما لم تنله في الأديان السابقة له ولا في الأديان الحديثة ولا في الحركات النسوية، ولكن بعض النسوة زعمن أن الإسلام سلب حريتهن وجعل دورهن محدودا داخل جدران البيت. وكذلك القيود والحدود والمعانات والصعوبات التي كانت المرأة تعاني بها في النصرانية واليهودية جعلت بعض النساء أن يقمن ضد هذه الأديان وحاولن تحرير أنفسهن من القيود الدينية. فرفعت المرأة الأوروبية ثم الأمريكية ثم العربية صوتها ضد سيطرة الرجل وظلمه وقهره، والقيود الاجتماعية والأسرية والدينية، وطالبت بالمساواة في كل شيء وفي كل مجال.

الباب الثالث

صورة المرأة في أعمال سناء الشعلان

الفصل الأول: المرأة بين التعلم والجهل

الفصل الثاني: علاقة المرأة بالآخر القريب

الفصل الثالث: علاقة المرأة بالآخر البعيد

مدخل

عندما بدأت البلدان العربية تحصل على حريتها، وتختطف استقلالها من أيدي الاحتلال الأجنبي، وأخذت الحياة تنتعش شيئا فشيئا، وبدأ التطور يدخل في مجالاتها المختلفة لاسيما المجال الثقافي، فازداد الاهتمام بالتعليم خاصة التعليم العالي، وأخذت المرأة بعضا من حقوقها، وأسست الكثير من المؤسسات والمنظمات والمنتديات التي قامت لمناصرة حقوق المرأة، ونادت بحرية المرأة، وحاجة مساواتها مع نظيرها الرجل، وفك القيود المضنية التي كانت تقطع جميع المحاولات الهادفة إلى نيل الحقوق المشروعة، وأن تتمتع المرأة في الحياة شأنها كشأن الرجل.

ومن الجدير بالذكر أن تأثير النشاطات النسوية التي ظهرت في الغرب كان كبيرا على المرأة العربية، إذ ظهرت مجموعة من النشاطات والمبدعات العربيات اللاتي طالبن بتعليم المرأة، وحصولها على العمل اللائق، فتكون بذلك محترمة في البيت، ومكان العمل، وفي المجتمع، ومن أبرزهن الكاتبة "سيمون دي بوفوار" التي كانت "مدافعة عن حق المرأة في الوجود الحر والمستقل، ومدافعة عن فكرتها الشائعة "إننا لا نولد نساء، لكنا نصير كذلك""[١٦٤]. وقد كان لهذه الأفكار والرؤى دور كبير في تحريك النساء – في مختلف دول العالم – ودفعهن نحو المطالبة بحقوقهن.

فضلا عن ذلك إن وعي المرأة بتحرير ذاتها أدى إلى ظهور خطاب يعنى بتغيير الوعي الجمعي السائد، ورؤية الإنسان لذاته وللعالم الذي يعيش فيه[١٦٥] فبرزت نتيجة لذلك حركة نسوية عربية أخذت على عاتقها استعادة الحقوق المسلوبة. وقد اتسم أداؤها بالجرأة والقدرة على تغيير النظرة الخاطئة التي أبعدت المرأة عن تأدية مهامها في المجتمع على أكمل وجه. وقد كانت أغلب أولئك النساء من المبدعات، إذ عملن على كسر السلاسل والقيود التي كانت تقف عائقا أمام تعليم المرأة وتثقيفها، فدخلن في مجال الكتابة الإبداعية؛ الشعر والقصة والرواية والمسرح، لأن "فعل الكتابة عند المرأة هو انعتاق من ضغوط البيئة، وأحكام القيم والأعراف، وضوابط الأخلاق، والكتابة عندها مخاض وولادة ونقاء"[١٦٦]، فكانت هذه الفنون الإبداعية منطلقا للتعبير عن آهات المرأة وهمومها وآلامها من جهة، وآمالها وأحلامها من جهة أخرى، فقد "قدمت

---

[١٦٤] محمد المعتصم، **المرأة والسرد** (الدار البيضاء: دار الثقافة، ٢٠٠٤م)، ص ٨.

[١٦٥] د. يمنى العيد، **الرواية العربية المتخيل وبنيته الفنية** (بيروت: دار الفارابي، ٢٠١١م)، ص ١٣٩.

[١٦٦] د. الأخضر بن السائح، **سرد المرأة وفعل الكتابة دراسة نقدية في السرد وآليات البناء** (الجزائر: دار التنوير، ٢٠١٢م)، ص ٢٨.

المرأة العربية الكاتبة أنماطا من البناء تحدت بها السرد العربي على خلفية منظور فكري يقول بالاختلاف على أساس التعدد والتنوع، وليس على أساس من معايير قيمة تضع الأنوثة ضد الذكورة أو دونها"[١٦٧].

وقد أصبحت المرأة لأجل هذه الحركة عنصرا مشاركا في الحياة الثقافية، وفي مختلف جوانب الحياة، وتبوأت مناصب المسؤولية في مواقع متعددة، ولذلك إن الحضور الكبير لصوت السارد في الكتابة السردية النسائية يدل على المقام الذي بلغته المرأة بعد أن تجاوزت المواقف الخجولة وأدوار المسكنة التي فرضت عليها، فبدأ صوتها بالارتفاع من خلال الصحف التي أنشأتها أو ساهمت في إنشائها والكتابة فيها[١٦٨] وأخذ دورها يتصاعد شيئا فشيئا.

وقد حفرت في داخل النفس الإنسانية، وفي ثنايا الذاكرة، بعد أن كان العالم الخارجي حكرا على الرجل، نظرا لطول تجربته في هذا الميدان، فعملت المرأة على تفكيك العوالم الداخلية، ونحت بالسرد العربي المعاصر من الخارج الاجتماعي والإيديولوجي إلى الداخل المجهول والغياب فأسست بذلك كتابة سردية ذاتية، ليست ذاتوية مريضة ولا رومانسية بكائية، وإنما تحليل وتشريح للمخزون الدفين[١٦٩].

وتحولت المرأة عبر الكتابة من موقع الاستلاب إلى موقع آخر أعاد للمرأة شيئا من حقوقها، وأرجعت إليها كثيرا من مكانتها التي منحها الإسلام والفطرة بكونها امرأة، ولذلك ازدادت مساهمتها في الكتابة والسرد إذ يعد "سرد المرأة كشفا لحجب الثقافة المتجذرة، وتعرية للحقائق والأشياء، وإظهار للمستور والمقنع، بل إن أصل الكتابة – عندها – هو الخروج من الديجور إلى النور، حيث الحركة مع الذات، والامتلاء الواعي بالوجود"[١٧٠].

وقد ارتبطت الكتابة النسوية بمحاولة المرأة إثبات ذاتها، والعمل على إبراز هويتها الأنثوية، إذا اجتهدت كثيرا في نقل النساء من حالة الخضوع للسلطة الذكورية إلى واقع جديد استطاعت عبره المرأة أن تعبر عن نفسها بالقلم والإبداع، ونجحت في تبني وجهة نظر خاصة اتجاه قضايا المجتمع المحيطة بها، واستطاعت أن تفصل كتاباتها عن أسلوب الرجل ولغته[١٧١].

---

[١٦٧] د. يمنى العيد، **المرجع السابق**، ص ١٤٩.

[١٦٨] محمد المعتصم، **المرأة والسرد**، ص ٩.

[١٦٩] نفس المرجع، ص ١١.

[١٧٠] د. الأخضر بن السائح، **المرجع السابق**، ص ٢٩.

[١٧١] رنا أحمد عبد الفتاح عبد الحليم، **صورة المرأة في روايات حنان الشيخ** (رسالة ماجستير: الجامعة الأردنية، ٢٠١٠م)، ص ٣.

وقد أدت المرأة في كثير من المواقف دور البطولة في السرد العربي لتبدو أنموذجا إنسانيا تعيش في حالة من التشتت والضياع، تبحث عمن ينتشلها بين تخلف الشرق الإنساني وتقدم الغرب اللاإنساني في برودته وفردانيته، كما ورد في بطلات بعض الساردات العربيات. ولذلك أصبح الحديث عن أدب نسائي أكثر إلحاحا، فالمرأة حين تكتب لا تستند إلى ذاتها بمعزول عن الموروثات والقيم الفعلية التي تمارسها وتتماهي معها[١٧٢]، وهي لا تسعى إلى إنتاج خطاب يكون مضادا للخطاب الذكوري، فكتابتها ليست إلغاء للطرف الآخر، بل هو مشاركة من منظورها في صنع الحياة، بعد أن غابت عن هذه المشاركة لأوقات طويلة، بفعل تسلط الآخر الذي أوهمته السلطة بأن لا منافس له، لذلك كتبت ضد أيديولوجيا السلطة الذكورية، فكتاباتها تضمر معنى الدفاع عن الأنا الأنثوية[١٧٣]، والكشف عن معاناتها وهمومها، وبيان تطلعاتها وأمنياتها، والبوح بمشاعرها وأحاسيسها، وبحسب وجهة نظر الناقدة "يمنى العيد" فإن المرأة تجد في ميدان الكتابة الإبداعية عملية تحرير لقدراتها الفكرية ومشاعرها، ولإنضاج رؤاها، كما أنه سبيل لإغناء وعيها، وتعميق تجربتها بالحياة، إنه إمكانيتها الوحيدة لإقامة علاقة الاستمتاع بفرح الإبداع"[١٧٤].

ولا يمكن أن نعد كتابة المرأة عن ذاتها وهمومها ومشاعرها ضعفا، فقد طرحت قضايا بالغة الدقة والأهمية عن عالم المرأة الخاص، الذي لم يتطرق إليه الرجل، وإن اجتهد في تصوير عالم المرأة، فهو رسم صورة المرأة بما يوافق أفكاره عنها، لا كما هي في الحقيقة، لذلك نهضت المرأة بمهمة كشف الستار عن خبايا عالمها المظلم، وعملت جاهدة على أن تكون المرأة في نتاجها الأدبي كما هي في الواقع، لا كما صورها الرجل[١٧٥]، لذلك اتسم السرد النسائي بمميزات خاصة، غلب عليه جانب التمرد عبر الخوض في قضية الجسد، فتم تجاوز التابوهات التي كانت تحرم المرأة من الخوض فيها، مثل (الجنس والسياسة والدين)، فأخذ الخطاب السردي الأنثوي من "الجسد إيحاءاته الرمزية وحيوية علاقاته بالعالم الخارجي، كما بالعوالم الداخلية، وهو إذ يمرر عبره الأحاسيس والعواطف، يجعل من ترابطه المرآوي بالجسد وسيلة يتمكن من خلالها من إنتاج أثره الفني"[١٧٦] حتى امتلأت الكتابات النسائية بالحديث عن الجنس بجرأة كبيرة، "وقد رأى البعض أن اقتحام النساء لمجال

---

[١٧٢] د. نادية هناوي سعدون، **السرد النسائي القصير في العراق** (بغداد: دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م)، ص ٢٨.

[١٧٣] د. يمنى العيد، **المرجع السابق**، ص ١٤٦.

[١٧٤] د. يمنى العيد، "مساهمة المرأة في الإنتاج الأدبي"، **مجلة الطريق**، العدد: ٤ (نيسان ١٩٧٥م)، ص ١٤٣.

[١٧٥] رنا أحمد عبد الفتاح عبد العليم، **المرجع السابق**، ص ٥.

[١٧٦] عبد النور إدريس، "الجسد وفتنة الكتابة"، **موقع الحوار المتمدن**،

https://m.ahewar.orgs.asp?aid=52850r=0

الكتابة الإيروتيكية إنما جاء تمردا من الهامش النسوي على المتن الذكوري الذي احتكر كتابة الجسد، ونظر إليه في الخطابات الشعبية على أنه معرفة محرمة اقترنت بالفضيحة والهامش، وكتابة مثيرة للغرائز، وباعثة على ممارسة العادة السرية، وارتكاب الفاحشة، وممارسة الرذيلة، وانتشار الزنا واللواط"[١٧٧]، فكان في المنظور النسائي جزءا من وعي تولد لدى المرأة الساردة بضرورة اقتحام ميادين التعبير المختلفة، التي كانت محرمة على النساء، ولا يسمح إلا للذكور بارتيادها.

ومن تلك النساء المبدعات القاصة سناء الشعلان التي جعلت من المرأة عنصرا أساسيا في كتاباتها الإبداعية، فسخرت جهودها الإبداعية في مناصرة قضايا المرأة المختلفة، فكانت تعي مدى المعاناة والألم الذي تعرضت له المرأة فعملت جاهدة على فضح توجهات الثقافة الفحولية، ونظرتها الجائرة تجاه المرأة، فـ"حين تدخل المرأة عالم الكتابة، تكون قد أثبتت حضورها، وكرست بقاءها، وفرضت مرحلة أخرى مختلفة، تبعا للحساسية الجديدة المتولدة عن الرؤية النسائية، التي تسهم – عادة – في إعادة صياغة الآخر، ذلك أن وجود المرأة المهمش، ومظاهر الاستلاب الواقعة عليها، قد يجعلها تتكئ على التعرية الفكرية، قصد تصحيح المفاهيم، وتوضيح الرؤى"[١٧٨]، فالكتابة تمثل تفجيرا للمكبوت والمخفي، إذ تستدعي المكبوت المتراكم عبر الزمن، لتعلنه في الميدان الإبداعي، وتمثل صراعا مع الرجل، فتعمل الذات الأنثوية في خطابها الأدبي، والسردي خاصة لتثبت مكانتها بقوة في عالم الذكورية، وبيان قدرتها على المتوقع في عالم المغامرة والإبداع، وتجاوز وضعها المهمش، وتغيير واقعها المتدني[١٧٩].

وقد اتخذت الكاتبة سناء الشعلان من الجانب السردي – لا سيما القصة القصيرة – أداة للبوح بما يعتمل بداخلها من مشاعر إنسانية، وما يدور في خلدها من أفكار ورؤى، وقد كانت مقتنعة كثيرا بقدرة الفن القصصي على إيصال رسالتها إلى المتلقي، فتذكر في أحد الحوارات الصحفية أن "لكل فن أداة ترميزية قادرة على تشكيل الخطاب الإنساني إذا توافرت فيها وجهة نظر مكتملة، وطاقة قادرة على تطويع الترميز بما يلبي الهدف والغاية، وبهذا يصبح البحث عن الشكل: الرواية أو القصة أو غيرها مسألة إفراغ مضمون في شكل،

---

[١٧٧] هويدا صالح، **الهامش الاجتماعي في الأدب قراءة سوسيو ثقافية** (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م)، ص ٢٣٤.

[١٧٨] د. الأخضر بن السائح، **المرجع السابق**، ص ٣٠-٣١.

[١٧٩] بايزيد فطيمة الزهرة، **الكتابة الروائية النسوية العربية بين سلطة المرجع وحرية المتخيل** (رسالة الدكتوراه: جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة، ٢٠١٢م)، ص ٥٩؛ نادية مباركية – عفاف هوام، **الكتابة النسوية من السلطة الذكورية إلى المخيل الأنثوي رواية (قيد الفراشة) لشرين سامي أنموذجا** (رسالة ماجستير: جامعة العربي التبسي، ٢٠١٧م)، ص ١٤.

والقصة القصيرة بما تمتاز به قدرة على الاختزال والتكثيف تعد شكلا مطواعا لخطابي الذي يعنى بالوقوف الجريء والسريع عند نشاط الإنسان الداخلي والخارجي ورصد علاقاته مع واقعه، ومن ثم التنديد بهذا الواقع الذي يستلب الإنسان، ويهدد أحلامه وإبداعه"[١٨٠]، وبذلك فإن الكاتبة تعيش الهم الإنساني لا سيما ما يتعلق بقضايا المرأة، وتعمل على تجسيده عبر خطابها الإبداعي.

وقد عملت القاصة سناء الشعلان على مسلك أبواب مسكوت عنه، وتعالجه سرديا، لذلك كان التمرد الأنثوي الميزة البارزة في منجزها القصصي، سواء أكان التمرد على الواقع الاجتماعي بكل ما يحمله من تراث ثقافي بجانب مصالح الرجل على حساب المرأة، أم التمرد على ممارسات الاحتلال الصهيوني الذي عذب أبناء الشعب الفلسطيني أنواع العذاب والقهر والاضطهاد، وكل هذا ستناقشه الدراسة في هذا الباب الذي يشتمل على ثلاثة فصول متفرعة إلى مباحث مختلفة.

[١٨٠] شيما برس، "سناء شعلان: الزمن هو البطل الحقيقي في قصصي والمحرض على التوتر"، **الرياض**، العدد: ١٣٨٣٥ (١١/٥/٢٠٠٦م)، متاح على الرابط:

https://www.alriyadh.com/153502

الفصل الأول

المرأة بين التعلم والجهل

المبحث الأول: المرأة المتعلمة

المبحث الثاني: المرأة الجاهلة

المرأة بين التعلم والجهل

لم تسمح للمرأة أن تحصل على قدر كاف من التعليم والثقافة شيئا، فالرغبة الذكورية التي تتحكم بالمجتمع العربي – في بعض الأحيان – حاولت أن تبقى المرأة تعيش في ظلمات الجهل والتخلف، وعدت دخولها إلى ميادين التعلم والثقافة خطرا كبيرا على مكانة الرجل، وقد حمل التراث العربي نصوصا كثيرة تدعو إلى إبعاد المرأة عن طريق العلم والثقافة.

وقد ترسخ هذا الخوف من تعلم المرأة وتنور عقلها مع مرور الزمن وبقيت في بركة التخلف والحرمان، وقد اصطدمت بأعداء لها كثيرين على مستويات مختلفة؛ سياسيا واجتماعيا، ودينيا، وثقافياً، واقتصاديا لذلك "فمعركتها قاسية ومريرة، وهي تخوض حربا مفتوحة على الجبهات كلها، ومع أكثر من عدو في المنزل والشارع والمدرسة وفي العمل، ومع النظام السياسي والديني والاجتماعي، وحتى الاقتصادي، والمنظومة القيمية للمجتمع"[١٨١].

وللخروج من هذا المأزق سعت المرأة العربية إلى حصول قدر من التعليم والتحلي بالقيم والثقافة للسير في هذا العصر الراهن حيث ينفجر كل يوم ينبوع المعرفة والعلم، فدخلت ميادين الثقافة عبر منافذها المختلفة، فكانت المعلمة والفنانة والشاعرة والكاتبة والصحفية والإعلامية، وقد اتخذت من عملها الثقافي وسيلة للتعبير عن معاناتها وآلامها وأحزانها، فكان سبيلا أفادت منه في إيصال صوتها إلى المجتمع من جهة، وأصحاب القرار السياسي والسلطة من جهة أخرى.

[١٨١] محمد مهدي ياسين الخفاجي، **تمثلات المرأة في الرواية العراقية والإيرانية: دراسة مقارنة** (رسالة الدكتوراه، جامعة ذي قار العراق، ٢٠١٦م)، ص ١٢٦.

المبحث الأول

المرأة المتعلمة

لقد حرمت المرأة العربية من حقها في التعلم لقرون طويلة، وفرض عليها أن تعيش أسيرة بيتها. وقد حددت لها السلطة الذكورية واجباتها ونشاطاتها، وجعلتها مقتصرة على الأعمال المنزلية وتربية الأبناء، ومساعدة الرجال في القيام ببعض الأعمال، وأعانتها في أيام الأزمات. ولكن هذا لا يعني أن المرأة العربية قد أذعنت لهذا الواقع، "ففي الربع الأول من القرن الماضي شهدت بعض البلاد العربية تحولات ثقافية واقتصادية واجتماعية هيأت للمرأة فرصة الخروج إلى الحياة العامة للتعلم والعمل، فاستطاعت المرأة بهذا الهامش من الحرية أن تخترق الحجب، وتدخل بنجاح في عديد من المجالات"[١٨٢].

وقد كان للمفكر العربي رفاعة الطهطاوي دور كبير في المطالبة بتعليم المرأة بعد أن عاش في أوروبا، وشاهد ما تتمتع به المرأة الغربية. دافع الطهطاوي عن تعليم المرأة بحماس كبير، وقد ربط دعوته هذه بما جاء به الدين الإسلامي فأدى هذا الربط دورا إيجابيا في إقناع العقل الذكوري المسيطر آنذاك لفسح مجال التعليم للمرأة المصرية، فضلا عن ذلك فقد عمل على إقناع المجتمع ألا فرق بين الذكر والأنثى في طلب العلم، وأن تعليم المرأة لا يشكل خطرا على شرف العائلة ولا على المصالح الذكورية وسلطتها.

وقد حصلت دعوة الطهطاوي صدى وقبولا من مختلف طبقات المجتمع المصري، ومن ثم انتقلت إلى بلدان عربية أخرى[١٨٣] إلا أن ذلك لم يكن كافيا لخروج المرأة من الفضاء الضيق الذي وضعت مرغمة فيه؛ لأن الأمر مرتبط بتغيير الفكر الذكوري، فـ"التحرر في المجتمع العربي ما زال ظاهريا؛ لأنه لم يتمكن من تغيير الموروثات من الأعراف والتقاليد، لذا فإن القضاء على العنف، وعلى جميع أشكال التمييز ضد المرأة لن يتم ما لم تتوفر للناس ظروف اقتصادية وثقافية يتمكنون فيها من إقامة علاقة اجتماعية سليمة، تعمق المودة والتراحم في الأسرة، وما لم تعمل المؤسسات الحكومية والأهلية على تنقية المجتمع من الأمية، وتنقية البرامج التربوية والإعلامية من الموروثات الثقافية والاجتماعية التي تصور المرأة كائنا من الدرجة الثانية"[١٨٤]، ولذلك تبقى المعركة قائمة، ويبقى الصراع محتدما بين المرأة والمجتمع.

---

[١٨٢] المرجع السابق، ص ٢٧٧.

[١٨٣] رشيدة بنمسعود، **المرجع السابق**، ص ٢٦.

[١٨٤] جمانة طه، **المرأة العربية في منظور الدين والواقع: دراسة مقارنة** (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٤م)، ص ٣٠٣.

وبما أن المرأة تعد نصف المجتمع، فإن توجهها نحو التعلم والمعرفة وتثقيف نفسها بات ضرورة ملحة في عصر شهد تطورا سريعا في مختلف المجالات، إذ لم تعد المرأة حبيسة البيت تؤدي واجباتها المنزلية، وإنما أخذت تقتحم مجالات الحياة المختلفة وممارسة نشاطات ثقافية متنوعة، وأخذ دورها بالظهور والتبلور، وصار لها حيز واضح في ممارسة أنشطة سياسية واجتماعية وثقافية كانت إرثا للرجال لفترات طويلة، وفي ظل الصراع الذي يواجه المرأة لإثبات ذاتها، صار لزاما عليها أن تتعلم وتتثقف كي تستطيع مواجهة المهام الملقاة على عاتقها، فما تقوم به المرأة من أدوار ومسئوليات في سبيل ازدهار المجتمع وتطوره، وتقوية دعاماته، عبر بناء أولى نواته وهي العائلة، فهذا لا يتحقق من دون التعليم والارتقاء بمستواها العلمي والثقافي والنفسي والمعرفي، وتحرير عقلها من براثن الجهل وظلماته القاتلة، فالثقافة والتعليم تؤمنان للمرأة قدراتها وتمكنها من تحقيق كرامتها، وتحديد مصيرها ومستقبلها بعيدا عن التبعية لغيرها[١٨٥]، فضلا عما تقوم به من دور كبير في تنشئة أبنائها على وفق المعايير العلمية الصحيحة، وهذا يسهم في بناء أسرة متحلية بالقيم الخلقية والثقافية.

وقد سلطت سناء شعلان في مدونتها السردية الضوء على المرأة المثقفة والمتعلمة، وأبرزت جوانب متعددة من نشاطها الثقافي والفكري سعيا إلى توفيرها المكانة اللائقة في المجتمع بالإضافة إلى الحفاظ على حقوقها الإنسانية.

وقد أوردت سناء شعلان في قصة "أكاذيب الحرة" في مجموعتها القصصية "أكاذيب النساء" جانبا من دور التعلم والمعرفة في مقاومة الواقع المأساوي الذي فرضته الأسرة والمجتمع على المرأة إلا أن حصولها على حقوقها المسلوبة لاسيما حقها في التعلم قد أنار عقلها، وجعلها تفهم لعبة الحياة إذ منحها القدرة على درء الأخطار ورؤية العالم بعينيها لا بعيون الآخرين. تقول الكاتبة: "هي قد حصلت أرفع تعليم في أعرق جامعات العالم على الرغم من رفض أسرتها لتعليمها وسفرها، فقد كانت أول أنثى في أسرتها تقرر أن تنتفض على منطق خنوع الدجاج، تجأر بصوتها معلنة أنها ليست دجاجة، بل امرأة كاملة الحرية والعقل، ولها حق الحياة والاختيار والرفض وتقرير المصير، واختيار مآلات ذاتها"[١٨٦].

تبين الكاتبة في هذه القصة أهم القضايا التي تخص المرأة العربية، وهي صراعها مع المجتمع في سبيل ممارسة حقها في التعلم الذي كان يهيمن عليه الرجال دون النساء. دخلت المرأة في مجال التعليم مناصرة لحقوقها،

---

[١٨٥] محمد مهدي ياسين الخفاجي، **المرجع السابق**، ص ١٢٧.

[١٨٦] سناء الشعلان، **أكاذيب النساء** (عمان: أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٩م)، ص ٣٥.

ورسمت صورة مشرقة لبطلة القصة إذ قادها تعلمها الجامعي إلى رفض الذل والخنوع. وأعانها على المطالبة بحقوقها من خلال رفض القيود المفروضة التي تعرقل طريقها نحو الحياة السعيدة.

وتشير الكاتبة إلى هذه القضية في موضع آخر من نفس القصة كما تقول: "لم يعجب هذا الأمر أسرتها أو سكان عالمها، ولكنها تحدت ذلك كله، وطارت نحو سماوات الحرية، وأخذت حريتها، وحطمت أغلالها، وباتت كاتبة شهيرة وحقوقية لها بصمتها في المجتمع الدولي، وصوتا حرا له خياره الكامل"[١٨٧]. لم تقف الكاتبة عند تعلم المرأة للمرحلة الابتدائية، بل أرادت لها أن تصل إلى أعلى المستويات، وتنال أعلى الدرجات في هذا المجال، وأن تكون مؤثرة وفاعلة في المجتمع تستطيع أن تسهم في تحمل أعباء المسؤولية بطريقة صحيحة، وستكون قادرة على شق طريقها بنفسها وتصحيح النظرة الخاطئة التي حرمتها من حقوقها في التعلم فمعركة استعادة الحقوق كبيرة وطويلة ما يحتم على المرأة أن تتسلح بالعلم والمعرفة، فهما الوسيلة الوحيدة القادرة لمواجهة الواقع المظلم الذي رسم المجتمع لها.

تتحدث الكاتبة هنا عن سلسلة ممارسات قامت بها البطلة فقد "بدأت تكتشف حقوقها وقدراتها، وآمنت بنفسها، وحققت كل ما حلمت بتجريبه، لقد تعلمت أكثر من لغة، وصرخت في المظاهرات ضد قوى الظلم، وجاعت لتتبرع للجائعين ببعض طعامها، ورقصت تحت المطر، ورأت الله يتجلى في العدل والحرية، وقرأت الكتب دون توقف، وسمعت أصوات المعابد والكنائس والمساجد، وضحكت في الطرقات دون خوف أو تخويف من عورة أو فتنة أو عقاب أو جلد"[١٨٨].

كل ما ورد في هذه القصة يشير إلى حقوق تم تجريد المرأة منها، ومنعت من الحصول عليها، وهذا إنما يدلل على أنها تعاني كثيرا من الظلم الذكوري بأشكاله وأساليبه المختلفة، لذلك حان الوقت أن تسترد الحقوق، ويرفع الظلم، وتتحطم القيود والحواجز التي أثقلت كاهل المرأة كثيرا، وعطلت من حركتها، وحرمت المجتمع من طاقاتها وإبداعاتها، فأعلنت القاصة في ختام القصة أنها أصبحت "حرة تماما، حرة كما أرادت، وحرة كما يراها كل من حولها، ولها أن تصيح متى تشاء، وكيفما تشاء، وفي وجه من تشاء، أنا حره، ولست دجاجة في قن أي ديك كان"[١٨٩].

---

[١٨٧] المصدر السابق، ص ٣٥.

[١٨٨] المصدر السابق، ص ٣٥.

[١٨٩] المصدر السابق، ص ٣٦.

وهنا شكلت الكاتبة حرية المرأة لأنها كانت وما زالت الشغل الشاغل للمثقفات والناشطات في مجال حقوق المرأة فحينما "تتمتع المرأة المثقفة المتعلمة باستقلالية تامة في اتخاذ قراراتها، فهي تسعى دائما للتخلص من كل المحددات التي تحجم قدراتها وطاقاتها، وسعيها الحثيث لبلوغ غاياتها ودائما ما يتكلل هذا السعي بمزيد من الاستقلالية والتحرر واستقلال القرار"[١٩٠]، وذلك ما سعت الكاتبة إلى تأكيده، وبثه في المجتمع، لتكون المرأة هي صاحبة القرار في ممارسة حياتها.

ويبدو أن استرداد المرأة لقرارها لم يكن أمرا يسيرا بل كان قضية معقدة، ولذلك جعلتها الكاتبة قيمة عُليا تستحق التضحية، وممارسة مختلف أنواع الوسائل للوصول إلى الهدف المنشود، ومن تلك الوسائل التعلم الذي جعلته مفتاحا للخروج من هذا المأزق.

وقد تطرقت الكاتبة إلى بيان معاناة المرأة الفلسطينية في مجال التعليم كما أوضحت في مجموعتها القصصية "تقاسيم الفلسطيني" ذلك المعاناة التي تقاسيها المرأة الفلسطينية في طرق التعلم. واتضحت في قصة "منهاج جديد" قدرة المرأة على مقاومة طبيعة التعلم المفروض عليها فهي تملك قرارها الذي يتجلى في إصرارها على التعلم الذي يتلاءم مع تطلعاتها وهمومها الوطنية. تشير الكاتبة إلى أهمية العلم وأثره في الحياة البشرية في هذه القصة: "يوبخها والدها بشدة كما يوبخ سائر أخوتها إن لم تحصل العلامة النهائية الكاملة في المواد التي تدرسها في مدرسة (الأونروا) التي يدرسون فيها بالمجان، ويكرر على مسامعهم دون كلل أو ملل، ليس للفلسطينيين ثروة سوى العلم، إياكم والجهل، عليكم جميعا أن تواصلوا دراساتكم العلمية حتى لو بعت ملابسي وملابسكم لأجل ذلك"[١٩١].

وفي نص آخر تقول الكاتبة: "حصلت على كتابي تاريخ وجغرافيا جديدين، تفوح منهما رائحة الورق الجديد الذي لم تعبث به الأيدي الآدمية، في كتاب الجغرافيا بحثت عن خارطة فلسطين، فوجدت اسم إسرائيل يتربع في وسطها، وفي مادة التاريخ وجدت اسم إسرائيل كدولة من دول الجوار، أطبقت الكتابين دون اهتمام بأن يتمزقا، وما عادت تبالي بأن تأخذ أصفارا في مادتي الجغرافيا والتأريخ؛ لأنهما مادتان خائنتان"[١٩٢]، وهنا يتضح أن التعلم كان مشروطا، فما كان سببا في مأساة شعبها لا يدخل في حساباتها، فالمادة الدراسية التي تثير شجونها، وتذكرها بالهزائم والانكسارات لا يمكن أن تعرفها، فهي تتطلع إلى استكشاف عن المادة

[١٩٠] محمد مهدي ياسين الخفاجي، **المرجع السابق**، ص ١٣٣.

[١٩١] سناء الشعلان، **تقاسيم الفلسيطيني**، ص ١٢٨.

[١٩٢] نفس المصدر، ص ١٢٩.

الدراسية التي تفتح لها بابا للحرية والاستقلال والأمل بالمستقبل المشرق، وتعيد لها وطنها الذي سلبه الاحتلال الإسرائيلي وكان فيه دمار وخراب، وشرد أهله.

وفي مجموعة "الذي سرق نجمة" تتجلى صورة أخرى للمرأة المعلمة التي تتسم بالقدرات العقلية الواسعة، فهي "تتعلم الكتابة والقراءة في أشهر قليلة، المعلمات يسمين هذا ذكاء، أمها تسميه وراثة جينية، ولكنها تعلم أن الحكاية هي السبب"[١٩٣]، فمهاراتها في القراءة والكتابة كانت موضعا للخلاف بين معلماتها وأمها، وفي ظل هذا الاختلاف في الرؤى أعلنت البنت عن مصدر مهارتها في التعلم أن العنصر الإبداعي المتمثل بالحكاية التي تسمعها، فتح أمامها طريق العلم والمعرفة، ونور عقلها، لذلك كانت مواظبة على الحكايات.

وفي مشهد قصصي آخر "تريد أن يتحرر قلمها من سيطرة أمها، لتكتب ما تشاء ومتى تشاء دون أن تنتظرها بفارغ الصبر حتى تنتهي من أعمالها المنزلية الموصولة، لتملي عليها ما تحاصره طوال النهار وفي نفسها من حكايات قد تتفلت منها، وتهرب بعيدا قبل أن تحبسها في ورقة أثيرة تجيد أن ترتبها في مكانها في الدرج الوحيد في خزانتها الخشبية الخضراء القديمة"[١٩٤].

اهتمام البنت بالحكاية يبدو أنه كان ملازما لها ويعتبر جذوة النار التي أوقدت بداخلها حب التعلم والإبداع، الأمر الذي جعلها تكتشف أسرارا كثيرة في العالم، وتتطلع على خفاياه وماهيته، لذلك فحينما تمسك بقلمها، وتستعد لممارسة طقوسها الكتابية، ينفتح أمامها الأفق بكل رحب، فيزداد وعيها وتتوسع مداركها وينهمر إبداعها، فـ"العالم يصبح أرحب عندما تمسك بالقلم، تبدأ بالكتابة، تكتشف أن العالم كله مصنوع من مادة الحكاية، لذلك تفهم العالم بمنطقها وتتعامل معه وفق منطق الشخوص والزمان والمكان والعقد والتأزم والحل والرؤية واللغة، كل شيء في عرفها له حكاية، وهي تتقن فن الحكايا"[١٩٥].

صورة المرأة لم تكن الصورة النمطية المعتادة، التي لم تخرج في أغلب الأحايين عن إطار اليأس والقنوط، فهي تبحث عمن يسمع شكواها وهمومها فتبوح له بأحزانها وآلامها، إلا أن القصة عملت على تغيير النظرة الشائعة عن المرأة، واستبدلتها بصورة ظهرت فيها المرأة ذات قدرة وفاعلية في ممارسة أنشطتها الإبداعية وبيان قدرتها في قراءة العالم بمنظارها، وأداء واجباتها والإفصاح عن إمكاناتها في التعلم، وهو ما قادها إلى التفوق

---

[١٩٣] سناء الشعلان، **الذي سرق نجمة**، (عمّان: أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٦م)، ص ١٠٥.

[١٩٤] نفس المصدر، ص ١٠٥.

[١٩٥] نفس المصدر، ص ١٠٥.

والنجاح، فكانت "تأخذ علامات كاملة في المواد جميعها؛ لأنها تجيد الحكايا، أما مادة الرياضيات فتخفق فيها دائما؛ لأن الأرقام لا تحب الحكايا، ولها منطق آخر لا تفهمه"[١٩٦].

أما في مجموعتها القصصية "مذكرات رضيعة" فقد برزت في قصة "نوارس البحر" صورة للمرأة المهاجرة التي تبحث عن العلم والمعرفة، وتتحدى ظروف الغربة وبعد الأهل والأحباب فالطالبة البحرينية "إيمان عبد الغفار" قد تقاسمت بطولة القصة مع ابن بلدها "حمد جناحي"، وهما "من نوارس البحرين التي شدت الرحال إلى الأردن بهدف الدراسة، لم يجتمعا يوما، ولم يعرفا بعضهما على الرغم من أنهما مواطنان بحرينيان، لكن طموح العلم وحد طريقهما، وشابه بين هدفيهما"[١٩٧]، فإيمان هدفها هو العلم الذي يحقق لها آمالها، فما تطمح له لم تجده في بلدها، وقد وجدته في الأردن، على الرغم من بعد المسافة، والعيش تحت وطأة الاغتراب، إلا أنها كانت تمتلك إرادة قوية وإصرارا على مواصلة الدراسة، واكتساب العلم، فهي "تقبل على الحياة الدراسية والاجتماعية في عمان، وتجتهد كي تثبت جدارتها واستحقاقها لشرف جهاد العلم"[١٩٨]، وعلى الرغم من الدافع الذي كانت تحمله "إيمان" للحصول على العلم، إلا أن أحلامها وأمنياتها واجهت بآلة القتل التي يملكها صناع الموت من الإرهابيين، فماتت في أحد التفجيرات التي ضربت العاصمة عمان فذهبت أحلامها أدراج الرياح، ولم تتحقق أمنياتها في الحصول على الشهادة التي ترغب فيها.

قدمت الكاتبة في مكان آخر مثالا للمرأة التي تلعب دورا حيويا لتعليم الأجيال، وزرع القيم الإنسانية الرفيعة في نفوسهم، وحثهم على الإصرار والتحدي. وقد تظهر ذلك في قصة بعنوان "عائشة ألوان" في مجموعتها القصصية "تقاسيم الفلسطيني" المعلمة الرزينة التي عملت على تحويل البيئة البائسة التي كان يمارسها الأطفال في مخيم اليرموك بفعل العوز إلى حياة مليئة بالسعادة والأمل والجمال، على الرغم من معاناتها والتعذيب الذي تسبب إلى التهلكة، وكان سلاحها في ذلك هو تعليم الأطفال على الرسم، "هم يثقون فيها لأنها هي معلمتهم الجميلة التي عملتهم الرسم، كانت تشتري الألوان والأوراق لمعظم الأطفال في مخيم اليرموك، إذ إنهم لا يستطيعون أن يدفعوا أثمان شرائها بسبب عوزهم، هي من علمتهم أن يرسموا الحياة جميلة متسعة فرحة على عكس الحياة التي يعيشونها في هذا المخيم"[١٩٩]، وهنا أثبتت الكاتبة أن الثقافة سلاح صارم يكفى على ردع

---

[١٩٦] المصدر السابق، ص ١٠٥.

[١٩٧] سناء الشعلان، **مذكرات رضيعة** (عمان: نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي، ٢٠٠٦م)، ص ٦٨.

[١٩٨] نفس المصدر، ص ٧٠.

[١٩٩] سناء الشعلان، **تقاسيم الفلسطيني**، ص ٩٦.

الظلم والطغيان، وتغيير حالة البؤس، وصنع الحياة وإشاعة الأمل والتفاؤل، وهذا ما قامت به المعلمة "عائشة ألوان" إذ حققت عبر دورها التعليمي والثقافي ما كانت تصبو إليه في صناعة جيل قادر على بناء مستقبله حتى بعد وفاتها، والأطفال "يرفضون أن يستسلموا لفكرة موتها، ويشرعون يرسمونها على جدار المدرسة باسمة نضرة عائدة إليهم محملة بالمون والدواء، ويلبثون ينتظرونها، فهي لا تخلف ميعادها معهم أبدا"[٢٠٠].

أما في قصة "الخرافة الخامسة" ضمن مجموعة "عام النمل" القصصية، فقد ألقت سناء شعلان الضوء على صورة المرأة الكاتبة التي غيرت مجرى الأحداث، فكانت كلماتها تمهد الطريق للأحرار في مواجهة القسط والطغيان، فذكرت "كان في قديم الزمان فتاة عجيبة، منذ ولدت لا تنام ولا تأكل ولا تشرب، فتطير الناس منها، وخافوا من الاقتراب منها، وعدوها شرا يخشونه، ولذلك سجنوها في قلعة في الجبال، وأقاموا عليها الحرس والجدران، فعاشت الفتاة في سجنها وحيدة حزينة"[٢٠١].

أبرزت الكاتبة هنا بيان الظلم الذي تعرضت له الفتاة من المجتمع الذي نبذها، وأسرف في إيذائها، ولكن هذا الأمر لم يحثها على الاستسلام والضعف واليأس، وإنما اتخذت من السجن طريقا لتحطيم قيود القهر والظلم، فقامت بدور الناجي، وهي قابعة في سجنها، ولم تمتلك من السلاح إلا قلمها الذي أشعل نيران التغيير والثورة. وتضيف الكاتبة قائلة: "وفي يوم ممطر هاجم الأعداء البلاد، ودكوا الأسوار، وفتكوا بالزرع والنساء والذراري، فكتبت الفتاة السجينة قصة فيها جيش وطني جرار يسحق الأعداء، ويحقق الآمال، فدبت الحياة في الأوراق، وأصبحوا جيشا قهر الأعداء، حرر البلاد"[٢٠٢]. ولم ينته الأمر إلى ذلك، بل اتخذت الفتاة السجينة من قلمها مبعثا للأمل والتفاؤل، فرسمت صورة تملأ من الجمال والخير للمستقبل، وتعد عن قتامة الواقع ومرارته، فقد "كتبت قصة عن هناء يعمر البلاد، وشفاء يدرك المرضى فيشفيهم، وخير وبركة تحل على العباد، فدبت الحياة في كلماتها، وغدت حقيقة، عندها عرف الناس قيمة الفتاة اللغز، وأنزلوها منزلة التقدير، وأدركوا سبب استثنائيتها وغرابتها وعدم نومها، إذ لا يجوز لملكة الحق أن تنام"[٢٠٣].

وتذكر سناء الشعلان في موضع آخر من أعمالها الإبداعية القصصية قصة بطلتها فتاة مبدعة في كتابة القصة، والتي عملت على أن "تحصل على جمهور من القراء لقصصها التي تنتجها بطريقتها الخاصة من

---

[٢٠٠] المصدر السابق، ص ٩٦.

[٢٠١] سناء الشعلان، **عام النمل**، (تطوان: مطبعة تطوان، ٢٠١٤م)، ص ١٢٩.

[٢٠٢] المصدر السابق، ص ١٢٩.

[٢٠٣] المصدر السابق، ص ١٢٩.

مصروفها المدرسي، بطريقة التبادل الحر، فمقابل أن تقرأ صديقاتها ومعلماتها وزوجة خالها وأمها وأترابها في الأسرة قصصها، فهي تعطي شطائرها لصديقاتها في المدرسة، وتظل بلا طعام في الاستراحات المدرسية، وتكف عن شقاوتها في الحصص لإرضاء معلماتها، وتنظيف المطبخ الذي دمرته دمارا شاملا في بيت زوجة خالها، وتنظف سجادة الردهة في البيت إكراما لأمها، وتتنازل عن زعامة عصابة أطفال الأسرة لابنة خالها"[٢٠٤].

هذه البنت على الرغم من حداثة عمرها حققت مكانتها الإبداعية، لا في ميدان كتابة القصة فحسب، وإنما كانت تبدع أيضا وتحذق في متابعة الأساليب المتنوعة والمختلفة التي بإمكانها حث القراء على قراءة أعمالها القصصية، فأثبتت جدارتها في تكوين مجموعة من القراء، عبر ممارسات إغرائية قامت بها للإشهار عن موهبتها الإبداعية، وهذا الأمر يسلط الضوء على قدرة الأنثى وممارسة دورها في المجتمع، والتعبير عن أفكارها ومشاعرها وأحاسيسها، والبوح بانفعالاتها، وما تكنه بصدرها، وما يجول بخاطرها ليكون متوفرا أمام القراء. إن درجة الوعي والثقافة التي تمتلكها تلك الطفلة الصغيرة جعلها متمكنة على تسويق منتجها، فبدأت بالبيئة تحيط بها، فاختارت صديقاتها ومعلماتها وزوجة خالها وأمها وأخواتها ليكونن المستهلك الأول لنتاجها الإبداعي، وهي لا تمكث عند جوانب الإغراء في كسب القراء، بل تستخدم أساليب ملائمة حينما تستنفد وسائل اللين مع الآخرين، كما يصوره هذا المقطع من القصة: "ومن يثبت بالدليل القاطع بأنه لم يقرأ القصة بعد أن تهاجمه بالأسئلة عيار أرض جو، فهي تعلن عليه حربا طفولية لا تعرف هوادة أو صلح، وتصفه بالحمار الصغير أو الكبير وفق درجة غضبها منه"[٢٠٥]. إذن ما يلائمها هو تقديم أعمالها على الآخرين بمتنوع الوسائل المتوفرة أمامها، ولا هيمنة على قراءات المتلقي، ودفعهم إلى قراءة منتجها.

وتقدم لنا الكاتبة سناء الشعلان من قصة "الهاربة من الموت" أنموذجا للمرأة المتعلمة التي تجول في أقطاع الأرض المختلفة لتفقد الأوضاع الإنسانية لا سيما في أفغانستان وفلسطين، وكان شغلها الشاغل تحدي الموت في سبيل تقديم خدمات إنسانية وتعليمية في أفغانستان التي واجهت سيل حروب وصراعات واحتلال أمريكي غاشم. وقد ذكرت الكاتبة ذلك هكذا: "قابلت الموت مرارا في بلدها، حيث لا أمن في الطرقات المظلمة، ولا في قلب ظلام المساء، ودرست فنون لعبتي الحياة والموت طويلا في معهد كولومبيا لدراسات الحرب والسلام منذ أن غدت أستاذة جامعية فيه، ثم تحدت الموت علانية عندما كانت تعمل فيتطوير التعليم

[٢٠٤] سناء الشعلان، **الذي سرق نجمة**، ص ١٠٦.

[٢٠٥] نفس المصدر، ص ١٠٦.

في أفغانستان، حيث توقعت أن تصادف الموت في أي لحظة في تفجير أو في رصاصة طائشة، فتسقط قتيلة ضحية العنف أو الإرهاب أو أي شيء قد تذعيه أمريكا تعليلا لموتها"[٢٠٦].

توضح الكاتبة أنها لم تكن لتقدر على تحدي الصعاب، وتجاوز مخاوف الموت لولا أنها كانت تتزين بالثقافة والعلم، فوظيفتها كأستاذة جامعية تلقي المحاضرات على الطلبة، لما امتلكت كل هذا العزم والقدرة على عدم الخوف بالموت، وقد تجلى ذلك حينما اختارت أفغانستان، البلد الذي يعد من أبرز بور الإرهاب في العالم، وصناعة الموت، والاستهانة بأرواح الآخرين، لذلك فهي تحدت الإرهاب بقوة وصلابة، وهي بذلك تقدم نموذجا رائعا لدور المرأة المتعلمة في المجتمع، ومشاركة الرجل في أداء مهام تحيط بالمخاطر والمصاعب.

ولعل تجربتها في أفغانستان قد صقلت ذاتها، وكونتها أكثر جرأة وإقداما في ارتياد المناطق الساخنة في العالم، فشخصية "أنا" يتقاسمها طرفان هما: "الشجاعة والإنسانية"، فكانت مناصرة لحقوق الشعب الفلسطيني المنكوب. تقول الكاتبة: "جاءت "أنا" إلى الأردن لحضور مؤتمر برعاية جامعة جنيف عن اللاجئين الفلسطينيين، حضرت الكثير من المحاضرات حول أوضاع اللاجئين الفلسطينيين، وكثيرا ما ألفت نفسها تمسح بطريقة تمثيلية متقنة بعض العبرات التي عللتها بالحزن على أوضاع الفلسطينية"[٢٠٧]. وهذا ما حققته المرأة مدى قدرتها على القيام بدورها الإنساني، والدفاع عن قضايا وطنها ومجتمعها.

[٢٠٦] سناء الشعلان، **مذكرات رضيعة**، ص ٨١.

[٢٠٧] نفس المصدر، ص ٨١.

المبحث الثاني

المرأة الجاهلة

لعلنا لا نؤيد الموقف إذا قلنا إن المرأة تعرف من أكثر فئات المجتمع التي واجهت الإقصاء والتهميش، إذ ابتليت بالاضطهاد والظلم المجتمعي الذي أذاق النساء متنوع العذاب والجور والعنف، فتخلفت عن الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية، لاسيما في بلداننا العربية، فكانت النظرة الدونية للمرأة هي السائدة في جميع المجتمعات. ومسوؤلية هذه الظروف تقع على أكتاف المرأة الرجل سواء، إذ إن في المجتمعات المتخلفة تلقن الأجيال على أن الرجل هو صاحب السلطة العليا في المجتمع، فهو المتحكم بمختلف مفاصل المجتمع، وأن المرأة أقل شأنا من الرجل، فلا يسمح لها بالمطالبة بحقوقها، وليس لها سوى الظلم والقمع والاضطهاد، وقبول كل ذلك وهي راضية به، حتى أن أغلب القوانين والنظم السياسية على مر التاريخ، كانت تضفي صيغة الشرعية والقبول على تلك الأوضاع المزرية التي يباركها الفرد والمجتمع[٢٠٨].

ومن أمثلة جهل المرأة في قصص سناء شعلان، إيمان المرأة بالخرافات، وهو ما ورد في قصة "مهرجان البصل" حيث تحدثت الكاتبة عن قضية اجتماعية كانت وما زالت توجد في أغلب المجتمعات لاسيما المتخلفة منها، ألا وهي قضية الأرواح الشريرة والجن وما يتعلق بها من معتقدات ووجدت مناخا ملائما وأرضا خصبة للنمو، وهي مثال للتخلف وقلة التفكير والوعي، ويظهر أن إيمان بعض النساء بتلك المعتقدات كان أكثر وضوحا، إذ إن قلة التعليم، وخضوع المرأة لسلطة الرجل وهيمنة المجتمع الذكورية والخضوع لطقوس القبيلة في بعض الأحيان يجعلها تبحث عن أي سبيل للنجاة من آلامها وهمومها، وهنا تقدم الكاتبة في قصتها ما جرى من أحداث بين العمة والكنة تحت غطاء الجهل، فنقلت لنا جانبا من حياة أسر هندوسية عبر المشهد القصصي، "لم تجد أن من المناسب أن تحضر مهرجانا وهي أرملة من عهد قريب، فضلا عن أنها في مزاج متعكر منذ وفاة زوجها، على الرغم من أنها من عشاق المهرجانات، ومن الذين يضفون عليها بهجة خاصة، ويورثونها طقوسا مستحدثة طريفة، ومن الذين يحدثون بها بدعا متبعة"[٢٠٩].

صورت لنا الكاتبة هنا حالة الحزن التي تعيشها تلك المرأة، فقد تمكن منها الحزن وأخذ مأخذا عظيما منها حتى بدت منكفئة على نفسها، ولم تستطع الخروج من واقعها المظلم، حتى أصبحت تنكر ممارسة هواياتها

---

[٢٠٨] محمد مهدي ياسين الخفاجي، **المرجع السابق**، ص ١٥٥.

[٢٠٩] سناء الشعلان، **الكابوس** (الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، ٢٠٠٦م)، ص ٧٣.

وطقوسها المفرحة، وقررت عدم الحضور إلى المهرجان الذي كانت تعشقه، "لكن حماتها أصرت على أن تحضر هذا المهرجان بالذات كي تبرأ من الأرواح الشريرة التي تلازمها كما تدعي الحماة المستسلمة للوساوس والخرافات، والموتورة بابنها الوحيد الذي مات غرقا في النهر المقدس بعد زواجه بأشهر قليلة، ومنذ ذاك آمنت أن أرواحا شريرة سكنت بيتها، واستوطنت جسد الكنة التي حلت الكوارث منذ أن حلت في بيتها"[٢١٠].

وهنا قامت الحماة بنشر ثقافة التجهيل والتخلف، وإشاعة المفاهيم الخاطئة في مواجهة الموت، فالتجأت إلى الخرافات والمعتقدات، وعملت على إبهام الآخرين بصحتها، فاضطرت الكنة إلى حضور المهرجان، و"كان المهرجان المقام على الحدود الشرقية للغاية، يضج بالموسيقي وقرع الطبول، وآلاف الأجساد تتداعى في هرج ومرج في لوحة فنية تضج بالحركة، تابعتها آلاف العيون البارزة من تحت أقتعة التنكر الملونة، فلا يجوز في هذا الحفل أن يظهر أي شخص وجهه خوفا من أن تعرفة الأرواح الشريرة التي ترصده، فتصيبه بشرورها وتلازمه بخبثها"[٢١١].

ويبدو أن اختيار البصل قد كان عملا مقصودا، ولغايات محددة "وهي تهجير الأرواح، الذي يعد البصل تعويذة للقضاء عليها وعلى شرورها، كل محتفل جاء مؤمنا بأن روحا شريرة حلت في حياته، وهو في سبيل ذلك سيفرك جسده بالبصل حتى يهيج بشرته لكي يجبر الأرواح الشريرة على مفارقته، والهروب بعيدا"[٢١٢]، ثم إن الكنة سرعان ما دخلت إلى أجواء الاحتفال، وقد تخلصت من ثوب الحزن الذي كان ترتديه وبمساعدة أحد المحتفلين الذي استطاع أن يوهمها أن الشيطان في مواقف كثيرة جمعتهما معا، وقد سألها "يا جميلة لماذا لا أرى لك دموعا، ألست من بني البشر؟ ألا يريق البصل دموع عينيك الساحرتين؟ ابتسمت له، وقالت بطفولية مدافعة عن نفسها: عيناي لا تدمعان أبدا من البصل، أمي تقول أن جدتي كحلتني بماء البصل بعد ولادتي بلحظات، ومنذ ذلك الوقت بت لا أتأثر بغاز البصل، ولا تدمع عيناي بسببه"[٢١٣]. وهنا خضعت الكنة للخرافات التي كانت تتحكم بسلوكها وتصرفاتها.

فيما كانت قصة "الغرفة الخلفية" تتحدث عن المرأة التي أصبحت أسيرة للجهل جعلتها تسلك سلوكا منحرفا، فقادتها كوابيسها البشعة نحو التوحش نتيجة ظروف اجتماعية قاهرة كما تبينه الكاتبة: "هذه

---

[٢١٠] المصدر السابق، ص ٧٣.

[٢١١] سناء الشعلان، **الكابوس**، ص ٧٤.

[٢١٢] نفس المصدر، ص ٧٤.

[٢١٣] نفس المصدر، ص ٧٧-٧٨.

الكوابيس المزعجة تعذبها ليلا، وتطاردها نهارا، بدأت هذه الكوابيس منذ أن رحلت أمها إلى العالم الآخر، بالتحديد منذ أن بدأت بالعسل في ذلك المجتمع التجاري، عند ذلك التاجر الشاب الوسيم الذي يفيض شبابا ونهما، الذي تشعر بأنه سيلتهما بعينيه الخلاسيتين، كم تتمنى لو إن أمها لم ترحل، وبقيت في دنياها، كانت تشعر بأن وجودها في الدنيا يلهمها سلاما ودفنا"[٢١٤].

وقد ألقى رحيل أمها بظلاله السلبية على حياتها فكان باعثا من بواعث الحزن والألم حتى أصبحت ممرا سهلا للكوابيس والأوهام التي اقتحمتها في لحظة ضعف كما تقول الكاتبة: "أحيانا تشعر بأن ذلك المجرم المتوحش، الذي يجوب البلدة، يقتل بلا رحمة، سوف يتسلل إلى بيتها، ويجعلها طعاما لنوارس الميناء، تتخيل جسدها النحيل متعفنا مهصورا تقتاده دواب الأرض، وينخر الموت عظامه الصغيرة، وفي قاع البحر تغوص جمجمتها، وتسكن السمك محجري عينيها"[٢١٥].

هذا المشهد يحيلنا إلى عالم من الجهل والتخلف والضياع الذي كانت تعيشه تلك المرأة المنكوبة، حتى أصبحت صيدا سهلا لكوابيسها، وباتت مسرحا للأوهام بسبب جهلها وفقدانها للمعرفة التي قادتها إلى التخبط والتيه في عوالم الضلال، فقد "قررت أن تتناول فطورها، ثم تذهب إلى عملها، كم شعرت بأنها متعبة ومنهكة، على رجليها كدمات كثيرة، وعلى صدرها كذلك، خمنت أن السير الطويل البارحة إلى بيت الغرافة الفجرية قد استهلك قواها، الحق أنه قد استهلك الكثير من صبرها ونقودها أيضا، كم كانت سخيفة عندما فكرت في اللجوء إلى تلك الدجالة التي قالت لها: إن روحا شريرة قد سكنت جسدها، وإن هذه الروح تزعجها، وتسبب لها القلق والخوف، ولذا عليها أن تقدم النذور والقرابين لهذه الروح كي تغادر بسلام"[٢١٦].

وهنا كان اللجوء إلى الغرافة نوعا من أنواع الجهل والخواء الفكري والثقافي، وهو علامة على عدم تمكنها لمواجهة هذه الأوضاع، مما سهل من استباحة الكوابيس لها بعدما وجدت الأجواء مهيأة لها، إذ لم تتحصن بسياج معرفي وفكري يقيها من الأوبئة الاجتماعية الضارة، فقد بلغت من الاندحار أمام هجوم الكوابيس، وتمكنها منها أنها وصلت إلى مرحلة عدم التفريق بين الأحلام والكوابيس، "لطالما تحققت أحلامها، أعني كوابيسها، فقد عرفت بموت كثير من معارفها قبل أن تعلم بذلك رسميا، لقد كانت كوابيسها المرأة لروية ذلك

---

[٢١٤] سناء الشعلان، **الهروب إلى آخر الدنيا**، ص ٧٨.

[٢١٥] نفس المصدر، ص ٧٨.

[٢١٦] نفس المصدر، ص ٧٩.

مسبقا"[٢١٧]، فالخضوع للخرافات عند بعض النساء لا شك أنه يمثل مظهرا من مظاهر الجهل والتخلف، التي تقود المرأة إلى الهروب من مجابهة الواقع، والتمرس بوسائل واهية لا تصمد كثيرا أمام منطق العقل، وسلطان العلم.

[٢١٧] المصدر السابق، ص ٨٠.

الفصل الثاني

علاقة المرأة بالآخر

المبحث الأول: علاقة المرأة بالآخر القريب

المبحث الثاني: علاقة المرأة بالآخــر البعيد

المبحث الأول

علاقة المرأة بالآخر القريب

واجهت المرأة العربية كثيرا من الاضطهاد والإهمال، وبقيت على هامش الحياة حتى في أسرتها لأن "القوانين العديدة المدنية والدينية التي تقيد المرأة في حريتها، وقدرتها على الاختيار، وفي حركة جسدها، وإمكان التصرف به، تخدم في آن معا أغراض السيطرة الاجتماعية عليها كأداة للإنجاب والإمتاع والإنتاج، وأغراض السيطرة الهوامية على كيانها الذي هو محط الرغبات اللا واعية وملتقى اضطرابها. وفي الحالتين تستخدم المرأة كوسيلة للتعويض عن المهانة التي يلقاها الرجل المقهور اجتماعيا، وللتعويض عن قصوره اللا واعي بإسقاطه على المرأة"[٢١٨].

وكذلك حث المرأة على طاعة الرجل ذات التوجه الديني هو في الواقع دعوة عامة في المجتمع المنجرح ذكوريا تحت تأثير الطعنات المتكررة التي يتلقاها الرجل، وفي أغلب الأحيان يكون عاجزا عن مقاومتها والتصدي لها، فيلجأ الرجل المنجرح إلى ممارسة سطوته على المرأة[٢١٩]. ولذلك حتى عملية الإنجاب نجد أبعادا اجتماعية وثقافية ترتبط بالمرأة أكثر من الرجل، وتنم عن تجاوز هامشيتها في المجتمع، وهي بذلك "تعوض نقصها وتهميشها بإنجاب الأبناء الذين قد يسعدونها مستقبلا، فإنجاب الأبناء ضمان للبقاء، وطرد لشبح التطليق، وفيهم المتعة والعون على مصاعب الحياة مستقبلا"[٢٢٠].

وقد سلطت الكاتبة سناء شعلان الضوء على تداعيات هذا الإرث الثقيل، فقامت على تضمين منتجها القصصي ومثلت فيه صورا متعددة للمرأة في المجتمع، حيث توجد العلاقات اللاتي كانت تربط المرأة بالآخر الذي يمت لها بصلة قرابة، إذ احتوت قصصها على طبيعة تعاملها مع الزوج مرة، والأب والأم مرة أخرى، عدا علاقتها بالأخ والأخت.

---

[٢١٨] الدكتور مصطفى حجازي، **التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور** (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م)، ص ٢٠٠.

[٢١٩] نصر حامد أبو زيد، **دوائر الخوف قراءة في خطاب المرأة**، (المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٤م، ص ٤٤.

[٢٢٠] مفقودة صالح، **المرأة في الرواية الجزائرية** (القاهرة: دار الشروق للطباعة والنشر التوزيع، ٢٠٠٩م)، ص ٧٨.

علاقة المرأة بزوجها

المرأة في سلك الزواج

مما لاريب فيه أن وجود المرأة تعتبر في بعض الأحيان كائنا جانبيا أمام الزوج الذي يمتلكها مثل سلعة يستخدمها كما يشاء، ولا يعطيها مقاعد الإدارة بالبيت، فالزوج هو الآمر والناهي. و"سلطة الزوج متوارثة أبا عن جد، يتدرب عليها الرجل منذ النشأة إذ يحثه الأهل على إبراز سيادته على أخواته وأحيانا على أمه، وهي سلطة مستمدة من الشرع ومن المجتمع ومن الانتماء إلى الذكورة الذي يسمح له بالتمتع بعدة امتيازات وصلاحيات نحو قوة إلزام الزوجة بالتنفيذ والقدرة على العقاب والجزاء وفرض الطاعة والتعظيم، فتتجمع لديه سلطة الهوية الذكورية وسلطة الموقع الاجتماعي، وسلطة المعرفة وسلطة السن، وكل هذه العناصر ترشحه لأن يكون السيد الذي يشيد علاقاته التبادلية على التسلط"[٢٢١].

والعلاقة الزوجية نظرا إلى هذه الأسباب تبدو على قدر كبير من التفاوت، فالزوجة تخدم زوجها وتطيعه وتسليه، وتحفظ سره. أما الزوج فتعد الزوجة جزءا من مشاغله، فيكون فحلا حينما لا يطيعها، وهذه هي القاعدة التي يسير عليها في حياته، كذلك يتعين عليه أن يكون ضابطها وحارسها وراعيها الذي يقودها، وبذلك فالمجتمع يمنح الرجل قيمة اعتبارية على حساب المرأة[٢٢٢].

وقد اتجهت القاصة سناء الشعلان إلى ذلك فنظرت إلى عالم المرأة في بيتها، وقامت بمطالعة تفاصيل العلاقة القائمة بين الزوج وحرمه، ورصدت جوانب من حياتها فاطلعت على بعض المعاناة النفسية التي كابدتها المرأة بداخلها، وذكرتها في بعض قصصها، فأشارت في قصة في مجموعة "ناسك الصومعة" إلى جانب من معاناة بعض النساء في المجتمعات العربية. تذكر القصة: "امرأة هي وفق كل معايير الذكورة والمجتمع الأبوي، هادئة مطيعة، لا تحتج، لا تبكي، لا تطلب، تجيد فنون الطبخ والحكاية، وتعد بأن تقدم نفسها شهية في كل ليلة بعد طبق الحلوى المفضل عنده، وتوفق على الزواج به؛ لأنها دجاجة أو عنزة بيتية مطيعة، وتذهب زوجة مع الرجل الذي يريده والدها وأخوتها"[٢٢٣].

---

[٢٢١] آمال قرامي، **الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية** (بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٧م)، ص ٦٤٢.

[٢٢٢] نفس المرجع، ص ٦٤١.

[٢٢٣] سناء الشعلان، **ناسك الصومعة**، ص ٤٤.

وقضية طاعة المرأة وصمتها وقبولها بما يفرض عليها تعد القضايا الاجتماعية الشائكة، وفيها شيء من الإجحاف والظلم في حالات كثيرة، إذ إنها تدرك جيدا أن الزواج هو المصير الوحيد المقبول لها اجتماعيا، فيجب عليها أن تتزوج؛ لأن المجتمع لن يقبلها ولا يحترمها، ولا يعدها امرأة صالحة إلا إذا كانت متزوجة، مهما بلغت من الذكاء، وتفوقت في علمها. وقد أفسدت عدد من الرجال مفهوم العلاقة الزوجية فمفهوم الرجولة أصبح يعني امتلاك القوة والهيمنة وسلب الزوجة حقوقها، ويحاول أغلب الرجال أن يثبتوا رجولتهم حتى وإن مارسوا العنف والترهيب بحق زوجاتهم[٢٢٤].

ما ذكرناه في الأعلى من مقتبس قصة الكاتبة سناء الشعلان دليل على معاناة المرأة، ولذلك إنها تمكث محبوسة في بيت زوجها، وقد تكون كأي ماكينة يمكن تغييرها أو إتلافها وهو ما جسدته القصة المدروسة، فقد لاقت كثيرا في علاقتها مع زوجها من الظلم الذي أرهقته العقد النفسية والخلافات المتراكمة. تذكر القاصة: "لكن الزوج رأى في عينيها أشباح فضيعة، وابتسامة هازئة تندت من صمتها المخيف، ولمح في غض بصرها قرفا من عجزه، وتلويحا بكشف ستره، ومعرفة سبب فشله مع تلك الأجنبية الشقراء التي طلقته سريعا، وأخذت شطر ما يملك وجل كرامته"[٢٢٥].

وقد سقطت المرأة في هذه القصة ضحية لظلم آخر وهو عقدة النقص التي كانت قد ولدت بفعل عدم مقدرة الرجل على إكمال متطلبات العملية الجنسية، فالخلل في رجولته الذي عززته التجربة السابقة مع الشقراء الأجنبية، لذلك ما كان من المرأة إلا القبول بما اختارته لها أسرتها، وما عليها إلا الانسجام مع الواقع الجديد مهما كان عنيفا، وفيه التجاهل عن مشاعرها وأحاسيسها وكيانها بشكل كبير، وقد تطورت الأحداث المؤسفة إلى أن قام بتصفيتها جسديا، انتقاما لشخصيته المنكوبة التي استولى عليها النقص والشك، وغاب عنها الصواب والاتزان واحترام مشاعر شريكة عمره، "كان عليه أن يسكنها إلى الأبد، حاول أن يسكتها بالأشباع فأعياه عجزه، حاول ذلك مرارا ولأيام كثيرة، لكن دون فائدة، غاضه صمتها، واستفز جسدها المثير رجولته الراكدة المتخاذلة، فانقض عليها في لحظة غضب، وقتلها، ومزق عذريتها ورقبتها بسكين؛ لأنه قرر أنها قد وهبت نفسها لغيره، ولا أحد يستطيع أن يكذبه، فهو الزوج الرب، وإذا قال صدق، وما لأهلها إلا أن يأخذوا جسدها المكفن بالعار، ويدفنوه بعيدا عن الزودج الفحل الشهم"[٢٢٦].

---

[٢٢٤] نوال السعداوي، **الأنثى هي الأصل** (القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧م)، ص ١٧٨.

[٢٢٥] سناء الشعلان، **ناسك الصومعة**، ص ٤٤-٤٥.

[٢٢٦] نفس المصدر، ص ٤٥.

وقد لقيت المرأة مصيرها المحتوم الذي ألزم عليها فحتى طريقة نهاية مطاف حياتها كانت مكتوبة مسبقا؛ لأن التهم وأدلة الإهانة جاهزة، ويسهل استخدامها في أي وقت، وهذا كله باسم طقوس المجتمع التي تجانب إلى الرجل، ويعذره على أي عمل يقوم به حتى وإن كان الفتك والقتل، ولذلك استغل الزوج العاجز "الغطاء" الذي وهبه المجتمع، وأقدم على إعدام زوجته، وإبعادها عن مسرح الحياة، وما ارتكبه يمثل وجها من أوجه ثقافة الظلم الموجهة ضد النساء "التي تجعل الناس يعتقدون أن العنف ليس عنفا، وهي التي تسمي العنف بأسماء أخرى هي حماية المرأة أو تهذيبها، أو الدفاع عن الشرف والعرض والخصوصيات الثقافية، فثقافة العنف هي التي تجعل النساء والرجال لا يعتبرون العنف عنفا، وهي التي تنتج احتقارا منظما للمرأة ولجسدها، وحدا لحريتها وطموحاتها"[٢٢٧].

وما دامت السلطة بيد الرجل بصورة مطلقة فذلك يعني أنه يمتلك الإرادة الكاملة في توجيه الأمور لصالحه، وعلى وفق رغباته وميوله، وقد ساعدت على ذلك التقاليد والأعراف الاجتماعية التي وضعت الرجل موضعا أعلى من المرأة، ومنحته التحكم بمقاليد الأمور. وفي ذلك كله شعور بأنها أقل مرتبة من الرجل، إذ لا يحق لها الحديث عن القضايا المصيرية، وتحرم من الاستئناس برأيها، وقد أسهم ذلك إسهاما مباشرا في طمس كيانها، وتغييب هويتها[٢٢٨]، وإنهاء وجودها من الحياة في بعض الحالات، سواء كان إنهاء ماديا عبر الموت أو إنهاء معنويا عن طريق إقصائها عن مجرى الأحداث.

وهذا كل ما ذكرناه في الفقرة السابقة يحدث ويقع بلا بأس لأن المجتمع الذكوري يتعمد إبعاد المرأة عن صنع القرار والمشاركة في تطبيقه، عبر جعل دورها مقتصرا على خدمة زوجها في البيت، وتربية أبنائها، لذلك "فالثقافة العربية والغربية تحيزت ضد المرأة، وانتقصت من قيمتها جسدا وخطابا"[٢٢٩]، وأعلت من شأن الرجل، إذ منحته حقوقا وامتيازات لا حصر لها، لذلك فالمرأة في مجتمعاتنا غالبا ما تعيش أوضاعا مزرية، تخضع فيها لمؤثرات ثقافية أنتجها العقل الذكوري "من ذلك تفوق الرجل على المرأة لفرض سيطرته عليها،

---

[٢٢٧] رجاء بن سلامة، **بنيان الفحولة: أبحاث في المذكر والمؤنث** (دمشق: دار بترا للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م)، ص ١٠١.

[٢٢٨] د. مشتاق طالب منعم، ود. ياسين طاهر عايز، "الأنثى بين التمرد والاحتجاج – دراسة تحليلية بلاغية في الشعر الجاهلي"، **مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية**، العدد: ٢٨، ج ٢، (٢٠١٨م)، ص ١١٥.

[٢٢٩] مريم عزوي، "**النسق المضمر في ديوان (النبية تتجلى في وضح النهار) لربيعة بلطجي: دراسة في ضوء النقد الثقافي**"، (رسالة ماجستير، جامعة باتنة، ٢٠١٦م)، ص ٧٦.

ويضعها باستمرار تحت طائلة العار والفضيحة، إذ يتم تحقيرها وتبخيس كيانها ما لم تكن في حماية رجل يكسبها إنسانيتها، فتصبح من خلال خدمتها له محل اعتراف الجميع"[٢٣٠].

وقد أصبح الاضطهاد حالة ملازمة للمرأة، فأرقها ذلك كثيرا، وزاد من آلامها ومعاناتها، إذ "إن المرأة منذ فجر الحضارات الأولى في التاريخ كانت ضحية المجتمع الأبوي – البطريركي – الذكوري لأن قيما وأعرافا وتقاليد جعلت المرأة أدنى من الرجل درجة، وهو ما جعلها مضطهدة، ومن يضطهدها هو الرجل، مع أن الحياة لا تكتمل إلا بهما"[٢٣١].

وقد قدمت القاصة عن هذا الواقع المؤلم في مواضع قصصية شتى، ومن ذلك ما يتعلق بهيمنة الزوج تارة، وخيانته لها تارة أخرى. ويظهر ذلك في قصة "مقام الخيانة" في مجموعة "مقامات الاحتراق" التي كان عنوانها موضحًا ملامح الخيانة الزوجية، فللقارئ سهولة ليفهم شكل الخيانة التي تضمنتها القصة، فيطلعنا فيها الراوي على الواقع المؤلم الذي ذاقته المرأة مع زوجها، وهي لا تعرف الأسباب التي تجعله يمارس فعل الخيانة، إذ إنه لا يستحيي عن الإعلان حول ممارسته الجمسية مع النساء، ولا يبال عن أحاسيس زوجته، ولا يتفكر لما سيصدر عنها من ردود أفعال على حماقاته وفواحشه، فما يهمه هو إشباع رغباته وملذاته الحيوانية، وتلبية شبقه، فيسارع خلف أهوائه وتدفقه نحو المتعة، فقد "انتصب أمامها كعملاق أعرج، اتكأ على آلاف الحجج، وعلل خياناته، لها بمئات الأسباب، برم شفتيه اللتين لاكتا شفاه معظم عاهرات المدينة، ثم بصقتها بتقزز، وقال: هناك يا زوجتي الكثير من الأسباب التي دفعتني لخيانتك"[٢٣٢].

نقلت القاصة هنا وصفا لحال الزوج الخائن الذي لا يهتم بقدسية العلاقة الزوجية، ويبدو أن اهتمام القاصة كان واضحا بالوصف. وهذا لا يأتي من منظارها فحسب، بل من خلال منظار الشخصية التي تتعامل مع غيرها من شخصيات القصة؛ الأمر الذي يساعد الحدث القصصي على التطور والنمو شيئا فشيئا، حتى يصل إلى نهايته[٢٣٣]. والزوجة كانت تعرف بخيانته ولم تقتنع بالتبريرات التي يسوقها في أكثر من موقف، فقد

---

[٢٣٠] محمود محمد أملوده، **تمثلات المثقف في السرد العربي الحديث: الرواية الليبية أنموذجا دراسة في النقد الثقافي** (أربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م)، ص ١٦٢.

[٢٣١] إبراهيم الحيدري، "استلاب الأنوثة"، **الحوار المتمدن**، العدد: ٣٢٨٩ (٢٦ فبراير ٢٠١١م)، متاح على:
https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=248083

[٢٣٢] سناء الشعلان، **مقامات الاحتراق**، ص ١٠.

[٢٣٣] عبد اللطيف محمود حمزة، **المدخل في فن التحرير الصحفي** (مصر: دار الفكر العربي، ١٩٥٦م)، ص ٣٨٩.

"قالت بلا مبالاة ممزوجة بالسخرية وهي تلمع أرض الكنيف: أعطني بالله عليك سببا واحدا من هذه الأسباب الكثيرة"[٢٣٤].

المقطع القصصي يشير إلى حالة من التفكك التي تحكم العلاقة الزوجية، إذ إن التوجس وفقدان الثقة كانا الطابع السائد بين الزوجين، فالزوجة غير واثقة بما يقول، والزوج يحتال عليها، ليبعد عنه الشك، ويخلص نفسه من تبعات أفعاله القبيحة، فـ"قال بثقة: وهو يذب لثاثته: لون صبغة شعرك التي اشتريتها لك على سبيل المثال لا يعجبني"[٢٣٥]، وفي موقفه هذا انعكاس لسلوكه الذي يبحث عن الأعذار الخفيفة، لعله يفر من الموقف الذي يكون عليه حينما يواجه زوجته.

ويجدر بالذكر أن الخيانة الزوجية تمثل قضية اجتماعية، وتهدد النظام الاجتماعي والأسري الذي من اللائق أن يقوم على حسن العلاقة، والتعاون، والتفاهم، والوفاء، والمحبة بين الزوجين. وربما يدفع المجتمع المرأة إلى الانحراف بفعل ممارسته القمعية، ووسائل التهميش التي يتبعها في سبيل النيل من المرأة مثل ضربها مبرحا أو خطابها بما يليق بها وبمكانتها إذ "لم يدر في خلد المجتمع الذكوري أن تسلطه على المرأة، وتعامله معها باعتبارها كائنا ناقصا، حال دون إفصاحها عن رغباتها، فالتجأت إلى أساليب أخرى لتحقيق مقاصدها، كما أن المرأة الشديدة المضروبة عليها فرضت عليها استعمال آليات دفاعية متعددة، وحيلا مختلفة للوصول إلى بعض ما تصبو إليه"[٢٣٦].

وفي هذا الأمر نوع من التمرد والثورة، والاحتجاج على قهر السلطة الذكورية الصارمة، ومن ذلك توظيف الجسد الأنثوي في عملية التمرد، بوصفه وسيلة إغرائية تجذب أنظار الرجل، إذ "إن الجسد يمثل – في نظر المرأة – أفضل وسيلة للبوح عن مشاعرها، كما أنه أحسن أداة تمكنها من الانخراط في علاقة مع الآخرين ومع الكون"[٢٣٧]. ويختلف هذا الموقف من امرأة إلى امرأة لكن الأمر يبقى سواء ولو كانت المرأة محرما أم غير محرم.

وقد كانت قصة "دعوة زفاف" الواردة في مجموعة "الهروب إلى آخر الدنيا" دليلا على خيانة الزوجة، وانجرافها خلف نزواتها وأهوائها من دون أن تراعي الضوابط الزوجية، فوقعت في شباك أستاذها كما تذكر القاصة:

---

[٢٣٤] سناء الشعلان، **مقامات الاحتراق**، ص ١٠.

[٢٣٥] نفس المصدر، ص ١١.

[٢٣٦] آمال قرامي، **المرجع السابق**، ص ٦١٥.

[٢٣٧] نفس المرجع، ص ٥٣٣.

"لأول مرة يلتقيان دون خوف، دون أن يخشى من عين فضولية تشي لزوجها بعلاقتها مع أستاذها العتيد، ودون أن يخشى من أن تفضحه الألسن، وتلوك قصته الأفواه"[٢٣٨].

ويبدو أن هذا الحال قد تقدم طويلا من دون خوف بعيدا عن عين الزوج والمجتمع حتى صارت العلاقة المشبوهة عملا روتينيا، ممارسته تكمل بصورة طبيعية، إلى أن بلغ الأمر ذورته فوجدت الزوجة الخائنة أنها قد أصبحت محبوسة لإفرازات الواقع الجديد المليئ بمعاني الخيانة، وأصبحت تقطع حياتها مع عشيقها، وتلبي على شهواته، وتحاول أن ترضيه بأي طريقة كانت، فقد كانت "تلبس الأبيض الذي تحبه ويحبه، وإن كان زوجها يبدي تبرما به تغرز كوعها الصغير في زجاج الطاولة التي أمامها، وتقرأ له طالع يومه في فنجان القهوة الذي تطلبه له قبل أن يأتي. وفي النهاية يكون في انتظاره بعد تحديق في قعر الفنجان الموشى بليل القهوة، تقول له بابتسامتها: كالعادة في طريقك واحدة تلبس أبيض تحبك حد اللاحد، وهي أمامك الآن تنظر في عينيك"[٢٣٩].

والمرأة الخائنة قد استخدمت متنوع الوسائل، وباشرت باستخدام أساليب عديدة مختلفة المستويات من أجل اصطياد حبيبها في شراكها. ومن ذلك قراءة الفنجان الذي كان وسيلتها الأحب في إغرائه وجذبه نحوها، وقد نجحت في ذلك كما يبينه قول الكاتبة: "جاء إلى عالمها، فنسف زوجها من قلبها، ولم يبق منه إلا الاسم والجسد. وجاءت إلى عالمه، فأصبحت زوجته وبناته الثلاث خيالات تجوس في دنيا نورها الذي يغشاه"[٢٤٠].

وهنا أصبحت الخيانة مرضا يحيط على المجتمع كله، لم يبق عند حدود الزوجة الخائنة، بل شاع خطره ليأكل عائلة حبيبها الذي كان متزوجا ولديه ثلاث بنات، إذ لم يحترم حقوق زوجته وبناته عليه، ومشى في طريق الخيانة المحفوف بالمخاطر وما يترتب عليه من نتائج مدمرة في الوقت نفسه، فالخائنان "عاشا ملحمه طويلة من التخفي والهروب، ولكن السر انكشف في النهاية، طالبت زوجته بالطلاق، فطلقها معتذرا لها، وإن كان يعلم أن الاعتذار لن يعيد لها السنوات الضائعة، ولمن يعوضها عن زوجها، الذي هجر بيته، وانزلق في حضن أخرى، كان حزينا، وموزعا؛ لكن متأكدا من أنه لأول مرة يختار ولا يختار له"[٢٤١].

---

[٢٣٨] سناء الشعلان، **الهروب إلى آخر الدنيا**، ص ٣١.

[٢٣٩] نفس المصدر، ص ٣٢.

[٢٤٠] نفس المصدر، ص ٣٢.

[٢٤١] نفس المصدر، ص ٣٣.

وتشير القصة إلى الحالة المؤلمة التي وصلت إليه الزوج الخائن الذي تم اصطياده وجره إلى ممارسة فعل الخيانة. أما حبيبته فلم تكن صورتها أفضل من حال حبيبها الخائن، وكان فاحشها وبالا عليها؛ "أما هي فقد وصفت بالخيانة والغدر والتردي، طلبت الطلاق، فرفض زوجها المكلوم بكرامته وشرفه أن يفعل ذلك نكاية بها، ولكنها أصرت على الطلاق على الرغام من تنكر عائلتها لها، وتوجهت إلى المحكمة تطلب حكما يرأف بقلب امرأة خانت أعراف المجتمع، ولكنها وفت لمشاعرها ولحبها"[٢٤٢].

ومن هنا يتضح أن الخيانة الزوجية تكون في بعض الأحيان فعلا مقصودا، بعدما ضاقت ذرعا بقيم المجتمع وعاداته وتقاليده التي لا تمنح الفرصة للمرأة أن تبوح بمشاعرها، وتختار شريك حياتها القادمة، فكل شيء مفروض على المرأة في أغلب المجتمعات العربية، ولا يحق لها إبداء رأيها، والدفاع عن موقفها وإظهار ميولها، لذلك لم تقطع علاقتها عن حبيبها الذي اقتطعته من عائلته، وقررا أن يتزوجا، ويكونا عائلة جيدية ليمارسا حياتهما بعيدا عن ظلال الماضي.

"قال لها: هل أوصلك إلى البيت؟

ردت بقلق: لا أخشى أن يكون زوجي بالقرب من البيت فيلمحني.

قال على استعجال وهو يضع الحساب في أحد الأطباق الفارغة:

إذن نلتقي غدا.

قالت بنبرة حالمة: نعم نلتقي غدا.

قال وهو يغادر: غدا سنتخيل أنك في مخاض الولادة تضعين مولودنا الأول.

ابتسمت، وقالت وهي تتحس بطنها: لكن يجب أن تختار مكانا بعيدا ومعزولا كي ألد وأصرخ على راحتي"[٢٤٣].

وعلى الرغم من أن المبررات التي دفعتها الزوجة، تحت رأية الحرية، إلا أن ذلك يعتبر هدما للعلاقات الزوجية، والبحث عن سعادة لا وجود لها، تكون من خلال الرقص على جراح الآخرين الذين وقعوا ضحية لنزوات عاطفية.

---

[٢٤٢] المصدر السابق، ص ٣٣.

[٢٤٣] المصدر السابق، ص ٣٤-٣٥.

وفي قصة "الرازي: زائر" يوجد أنموذج قصصي للمرأة المحتلة على زوجها في ظل مفارقة قصصية تتعلق بشخصيات القصة، فالزوج مسؤول أحد المعتقلات المعروف بأبي الفوارس، وعلى الرغم من شدته وبطشه في تعذيب المعتقلين إلا أنه يبدو حقيرا أمام زوجته، ويترشح ذلك من المشهد الوصفي الذي يبين طبيعة عمله، فهو "نذر نفسه لاستقبال زواره من الحمقى الثائرين والسياسيين، يجردهم من ثيابهم، ويوثقهم بذل ... فيسعد إلى حد الثمالة بصراخ ذكورتهم المذبوحة، ورجولتهم المسلوبة في حربهم لاستردادها"[٢٤٤].

وهنا يبين النص عن مدى الصراع النفسي الذي يواجهه أبو الفوارس، فهو يتلذذ بإيذاء المحبوسين عبر القيام بأعمال عنيفة، وبعيدة عن القيم والأعراف الاجتماعية. وتكشف أحداث القصة أنه يواجه ضغوطا نفسية جعلته يظلم بقساوة على الآخرين، فهو بعد أن يقوم بتعذيب المحبوسين "يعود منشيا إلى رئيسه الأعلى الذي اعتاد على أن يسافده في كل ليلة، بعد أن يعريه، ويجلده، ثم يدس في جيبه المال وفق متعته في تلك الليلة"[٢٤٥]. ويبدو أن هذا النقص في أعمال أبي الفوارس وممارساته قد ترك أثرا سلبيا على وجوده في البيت، فافتقد احترام زوجته، ليعيش معها ذليلا حقيرا يتلقى الإهانات منها، وقد قدمت القصة صورة ذلك "ثم يعود أبو الفوارس إلى بيته لينزوي في زاوية منه، ويبكي بحرقة من زوجته التي توسعه إهانة وتهميشا، وتجبره على تقبيل مداسها، وتتجاهل بلؤم أنه أبو الفوارس!!!"[٢٤٦]، وبذلك زالت رجولة الزوج الذي يحاول دائما أن يفرضها على المعتقلين، وتحول إلى ذليل أمام زوجته، التي تنزله من تعاليمه ومركزيته، ليتنفس في منطقة الهامش.

---

[٢٤٤] سناء الشعلان، **تراتيل الماء** (عمان: وزارة الثقافة الأردنية، ٢٠١٠م)، ص ٨٧.

[٢٤٥] نفس المصدر، ص ٨٧.

[٢٤٦] نفس المصدر، ص ٨٧.

المبحث الثاني

علاقة المرأة بأبيها

لقد اهتمت الكاتبة سناء الشعلان في منتجها القصصي بتقديم صورة المرأة في ضوء الأسرة والبيت، لاسيما في علاقتها مع والديها، وهي تواجه ظلم أسرتها وإهمالها لها في أغلب الأوقات، لا سيما من طرف الأب أحيانا، إذ إن "سلطة الأب متجذرة في نهاية الأمر في البنية التسلطية للمجتمع برمته"[٢٤٧] حتى أصبحت حالة متوارثة شاعت في مجتمعاتنا وانتعشت كثيرا بفعل عوامل متعددة؛ سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية.

وفي قصة "عروس مولانا الماء" في مجموعة "عام النمل" تبرز لنا الكاتبة معاناة المرأة، فهي من يجب عليها أن تضحي في سبيل إنقاذ الآخرين، وهو ما جسدته "البنت" من أجل تخليص أبيها من غضب الماء، وقد صاغت الكاتبة رؤيتها الاجتماعية بعيدا عن الواقع، فحلقت في عالم الخيال، وغاصت في عوالم عجائبية بهدف خلق نوع من الإثارة التي بإمكانها إيصال رسالتها إلى المتلقي، ودفعه إلى التفاعل معها والإقبال عليها، فمنحت الماء بعدا رمزيا أسطوريا يثير الرعب والدهشة في قلوب الناس، وحذرت من غضبه العارم، فوصفته بقولها: "يغضب ويرعد ويزبد ويغور يفور إذا ما حرم منها"[٢٤٨] أي من الدماء، فهو قد اعتاد على شرب دماء الناس، ويغضب إن لم يجدها، ويرضخ المؤمنون لمطالبه بتقديم دماء المجرمين والخارجين عنهم من دون أن ينال منهم شيئا إلا أن هذا الحال لم يدم طويلا بعد أن نفدت الدماء فـ"استسلموا للعجز، فغضب مولانا عليهم، وأمر البحار والأنهار أن تفيض وتغرق كل البشر، فلبت البحار والأنهار ما أمرت به، وصبت غضبها ابتداء على الصيادين المساكين الذين قلبت قواربهم، وأغرقتهم في الماء، وحاصرت رهطاص من الناجين منهم في الجزر وعلى أعشاش السواحل وهددت بإغراقهم والشواطئ إن لم يعط مولانا الماء بغيته من الدماء"[٢٤٩].

---

[٢٤٧] أحمد صالح أحمد داود، "الرجل والمرأة في العقل العراقي الريفي: إشكالية الهيمنة المزمنة"، **مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية**، العدد: ٢٦ (٢٠١٩م)، ص ٣١٩.

[٢٤٨] سناء الشعلان، **عام النمل**، ص ١٠.

[٢٤٩] نفس المصدر، ص ١٠.

وفي ظل هذه الأحوال المؤلمة، لم يهتم معظم الرجال بالأمر، ولم يبال لهول المصيبة وعظم المأساة التي نزلت عليهم، وتتصلوا عن مسئولياتهم، ولم يسارعو إلى فعل أي شيء يمكن أن يبعد عنهم خطر الماء المحدق بهم، واكتفوا بالتركيز إلى الخراب والدمار الذين حلا بهم إلا أن المرأة كانت هي صاحبة التقدم حتى وإن كانت حياتها في خطر لبقاء الآخرين، فتقدمت البنت وقدمت نفسها من أجل إنقاذ أبيها كما تبين الكاتبة الحدث فتقول: "فتقدمت هي الحسناء السمراء الحافية من مولانا الغاضب، وعرضت عليه جسدها وروحها ودماءها مقابل أن يرحم والدها الصياد العجز الستيني، ولا يغرق سنين شقائه في تلك الجزيرة القزم التي اعتصم بها"[٢٥٠].

وبهذه الصورة من التضحية أعطت المرأة صورة رائعة في التضحية والإيثار والوفاء، وهو الأمر الذي عجز عنه الكثير من الرجال، وقدمت مثالا في كيفية التفاني وعدم الأنانية، فلا بد أن تستمر الحياة حتى وإن كلفها ذلك إراقة دمها، فهي تعني أن "ضياع الأب يوازي ضياع الأصل، وضياع الذات، وفقدان مصدر التلاحم والاطمئنان الذاتي وتوجد الكيان، إن الأب عنوان على الهوية المستقرة، وضياعه عنوان على تشظي الذات وانشطارها"[٢٥١]، وقد انتهت الأمور إلى أن يقبل الماء بالعرض الذي تقدمت به البنت، وقام بقتلها وشرب دمها، فـ"فكر مولانا الماء قليلا، ثم وافق على عرض لسمراء فعروض النساء الجميلات لا ترفض، وابتلعها بشهوة، وامتص دماءها حتى النخاع، ثم هدأ وركن إلى جلال صمته، وفك حصاره المالي عن السواحل والشواطئ والخلجان والجزر، وعلت صفحات ماءه زهورا بيضاء جزينة"[٢٥٢].

وهذه هي صورة المرأة في بعض المجتمعات العربية التي تتطلب منها أن تضحي دائما من أجل متعة الآخرين؛ وإرضاء أذواقهم ورغباتهم ونزواتهم، عدا أن يكون هناك إحساس لمشاعرها احترام لحقوقها، فهي لا تكسب أهمية في بيئة يخلقها الرجال ويديرها ويهيمن عليها.

وفي قصة من القصص الواردة في مجموعة "الجدار الزجاجي" تتجلى صورة أخرى من معاناة المرأة البنت التي فقدت أمها، ووبقيت تعيش تحت رحمة زوجة أبيها، فتلقت هي وأخوها على يديها أشكالا من العنف والظلم، وكل ذلك كان يحدث بحضور أبيهما الذي كان يعمل ما بمستطاعه من أجل إرضاء زوجته، إذ أبدى

---

[٢٥٠] المصدر السابق، ص ١٠.

[٢٥١] محمد المعتصم، **الرؤية الفجائعية في الرواية العربية في نهاية القرن العشرين**، (عمان: دار أزمنة، ٢٠٠٤م)، ص ١٢٧.

[٢٥٢] سناء الشعلان، **عام النمل**، ص ١٠-١١.

"لا مبالاته بمصيرهما ما دام يستمرئ دفء جسد ... عايشة"[٢٥٣]، فقد كان قاسيا في معاملته معهما، ولم يرأف بهما يوما، بل جعلهما فريسة لزوجته التي كانت توسعهما ضربا وإهانة وتعنيفا مستمرا. تذكر القاصة: "لطالما شاهد تعذيب عيشة التي بقيت من دون منديل منذ رحيل أمها، تمنى أن ينقذها"[٢٥٤].

هنا يروي الأخ معاناة أخته على يد أبيهما وزوجته، فهما قد وقعا تحت جحيمهما، لذلك لم يكن بمقدوره إنقاذ أخته من تسلط أبيه، وقسوة زوجته، ورضخ للواقع المؤلم الذي عاش لحظاته المدمرة هو وأخته، "ولكن الله لم يستجب له، ولو لمرة واحدة، وبقي يشاهد تعذيب عيشة"[٢٥٥]، وبذلك عاشا معا حياة قاسية مليئة بالوجع والحزن وشظف العيش، من دون رادع بعيد لهما حقوقهما المهدورة، "بدأت تكتسي بجلد خشن كما جلد وزغة من كثرة العمل والشقاء، كانت تتكور بذل إلى جانبه، فيضم صباها المسكوب بدمعة رجل لا طفل، ويعدها بالخلاص، لكن الخلاص لم يأت"[٢٥٦].

وقد تواصلت معاناة عيشة، وازداد همها إلى أن اتخذت قرارا مصيريا تنهي به مسيرة العناء والاضطهاد، وتودع مأساتها مع أبيها فقررت الانتحار، وطي هذهِ الصفحةِ المظلمة التي عاشتها، فقد "دلقت عيشة الكاز على نفسها من الوابور النفطي، أحرقت بجسدها كل جدران الدنيا، وأطعمت نفسها للنسيان"[٢٥٧]، وبذلك آلت الأمور إلى نهاية مأساوية تثير البكاء، وتبعث على الحزن والألم، فغادرت البنت عيشة عالمها المشوه المليء بالظلم والكراهية والعنف، فكان رحيلها يمثل صرخة احتجاج على هذا التشوه، لعلها تنقذ بنات جنسها ممن يعانين الظروف ذاتها في أمكنة وأزمنة مختلفة، ويتعرضن للعنف ذاته، لذلك فإن العنف الموجه ضد النساء ليس "فعلا لا اجتماعيا منافيا للأخلاق السائدة، بل قد يكون فعلا مغرقا في الاجتماعية، وفي الانسجام مع الأخلاق السائدة"[٢٥٨]، التي هي من صنع الثقافة الفحولية، وتوجهاتها الأقصائية بحق المرأة.

---

[٢٥٣] سناء الشعلان، **الجدار الزجاجي**، (عمان: دائرة المكتبة الوطنية، ٢٠٠٥م)، ص ٨٧.

[٢٥٤] نفس المصدر، ص ٨٥.

[٢٥٥] نفس المصدر، ص ٨٥.

[٢٥٦] نفس المصدر، ص ٨٧.

[٢٥٧] نفس المصدر، ص ٨٨.

[٢٥٨] الدكتور رجاء بن سلامة، **المرجع السابق**، ص ١٠٦.

المبحث الثالث

علاقة المرأة بإخوتها

إن معاناة المرأة لم تكن شيئا طارئا في إطار البيت والأسرة في العصر الراهن، بل هو شيء شائع في مجتمعاتنا منذ زمان، ولقد جاء نتيجة لظروف التنشئة الاجتماعية، وتقسيم الأدوار في البيت إذ يتم تربية الولد على ممارسة السلطة الذكورية، وهي فرصة توفرها الثقافة لكي يتمكن الذكر من اكتساب خصائص الذكورة، وحثه على ممارسة سلطته على الآخرين، ويثبت قوته أمام الجميع ويتعزز لديه الشعور بفخر الانتماء إلى عالم الفحولة[٢٥٩].

وقد ألقت الكاتبة في قصة "الحكاية الأم" من مجموعة "ناسك الصومعة" الضوء على صورة محزنة للمرأة من صور الاضطهاد الأسري، والمؤلمة الوحيدة في ذلك هي المرأة، فقد ذاقت طعم العنف على يد أخيها الذي كان قاسيا في التعامل معها ولا الرأفة والرحمة في قلبه، حتى بلغ الأمر إلى محو كيانها، تلبية لحالته النفسية المكروهة التي سيطر فيها الكبر والتعالي والغطرسة. والنقطة المهمة في القصة هي أن الكاتبة قد أجرت مقارنة مع الجريمة الأولى التي وقعت على هذه الأرض، وهي إقدام قابيل على قتل أخيه هابيل، وتكشف أن هذه النزعة العدائية لم تغب ولم يزل أثرها، بل أنها تتولد في أماكن عديدة بأزمان مختلفة، لذلك اجترأ الأخ على قتل أخته إرضاءً لأهوائه الشريرة. تقول الكاتبة: "لا يستطيع الادعاء بأنه يحبها، ولذلك سيقتل أي رجل يقترب منها، كما فعل أخوه قابيل الذي قتل أخاه هابيل ليخلو له قلب أختهم راحيل، ولن يخدع نفسه، فيقول أن أخته جميلة إلى حد لا يقاوم، ولذلك يزعم كذلك أنه يريد أن يصطفيها لنفسه لأنها أثيرة أبويه، أو صاحبة مال أو موهبة نادرة"[٢٦٠].

والملاحظ في المقتبس القصصي أن الأخ امتلأ قلبه حقدا وعداوة لأخته التي لا مرد لها، وهي تقشعر تحت سلطة أخيها المهينة، وإن التبريرات التي اتخذها لبيان سبب اقتدائه بأخيه قابيل، والتحلي بالنزعة الأقصائية، لم تكن تقتنع لشدة البغض الذي كان يسيطر على قلبه ومشاعره، ويتجلى على تصرفاته، فذكر الدافع الحقيقي الذي كان يشعل غضبه. "لكنه يريد أن يحصل عليها كي يكسر أنفها الأفطس الذي يشبه أنفه تماما، ولا عجب فهي توأمه، ولكنه يمقت أنفها المتعالي الذي كان يزحم عليهما المكان في رحم أمه حواء،

---

[٢٥٩] آمال قرامي، **المرجع السابق**، ص ٢٦٣.

[٢٦٠] سناء الشعلان، **ناسك الصومعة**، ص ٤١.

وهو الآن معنى بذل كبريائه، ولو كبده ذلك غضب الرب، وفطر قلبي والديه آدم وحواء من جديد بعد مقتل ابنهما هابيل منذ دهور طويلة"[٢٦١].

وهنا يذكر الأخ السبب الذي حمله على القيام بجريمته النكراء، وهو أن الغيرة قد غلبت على قلبه وعقله، وأصبح أسيرا لأهوائه العدائية، ولم يبق قادرا على التنائي من شراكها، وكان مكبا على ارتكاب ما يغلى بداخله من رغبة نحو قتل أخته. وتضيف الكاتبة قائلة: "يتربص بأخته ذات الأنف المتعالي وعزة النفس المقيتة، يحيك بمهارة خيوط المؤامرة، ينقض عليها في سكون الليل وهي تسعى لقضاء حاجة في الخلاء حيث الخفافيش والعراء والا أحد، يستعدي عليها الأخوة الجاهلين فيحز رقبتها، ويهشم أنفسها الأبي بحجر باشتهاء واضح، وبنعاها لوالديه، ويطعم جسدها للضواري والكواسر، فهي قد أهدرت شرفها وفق زعمه، فاستحقت الموت بعرف طقوس الدم المتوارثة"[٢٦٢].

وهنا أبعد الجاني الغطاء عن هويته الإجرامية، فاستخدم نوازعه وميوله القبيحة من دون أي تردد، وقد ذكرت القصة البيان الدامي الذي يحوي على أغلب النساء في مجتمعاتنا، وهو الغطاء الاجتماعي الذي يبرر قتل المرأة باسم الكرامة والشرف والنخوة، فهي من تكسب العار لأسرتها، لذلك فهي في عين المجتمع تكون عورة، ومكانا للفضائح الأخلاقية. ويبدو أن هذه الطقوس والعادات تمهد الطريق للرجل في استباحة جسد الأنثى، وفتكها وقتلها، ومع ذلك كانت وما زالت سيفا مسلطا على أعناق النساء، ودليلا لتمارس النزعة الذكورية نواياها الشريرة.

وفي قصة "الحكاية النموذج" يتكرر منظر العنف الذي يخلقه الأخ بحق أخته الضعيفة التي لا تملك من حقها شيئا في ظل وصاية أخيها صاحب القلب الشقي والبعيد من أية مشاعر الرأفة، فتهيأ بقتلها لأمر أنها اجترأت على الوقوف بوجهه، وعارضت حماثته الدنيئة وطموحاته المادية، فقد "احتاج إلى مبلغ من المال، فسطا للمرة الألف بقوة الذراع ودم الأخوة المزعوم على مالها، وعندما قررت أن ترفض استتراقه المقيت لها، وقالت لا، عاجلها بطعنة سكين بقرت بطنها، واخترقت أشلائها، فانزلق جنينها أرضا بين قدميها مطعونا بطعنة أمه التي دفعت حياتها؛ لأنها قالت لأخيها الظالم لا"[٢٦٣].

---

[٢٦١] المصدر السابق، ص ٤١.

[٢٦٢] المصدر السابق، ص ٤١-٤٢.

[٢٦٣] المصدر السابق، ص ٤٢.

وقد قدمت القصة هنا منظرا مخيفا لامرأة ماتت ومات جنينها الذي لم يكن له ذنب بما نال لأجله ولأمه الفقيدة من دون أي متابعة قانونية أو شرعية أو إنسانية، فما ارتكب الأخ من جريمة نكراء لا تجانب بأي صلة للقيم والمبادئ السماوية والأخلاقية التي تطلبت بها السماء كثيرا، يتجاوز كل الدعوات التي تعرف لحقوق المرأة وصيانتها من العنف التي أوجبها الدين الإسلامي الصناعي في مناسبات كثيرة، وحث على تطبيقها، وبقي يتابع بعض الأوهام التي تدخلت من الموروث الثقافي الذي أيدته مجموعة من العادات والتقاليد البالية والخاطئة، وذات الوجهة القاصرة تجاه المرأة، فأجازت له ممارسة جرائمه، وأيدته لتنفيذ جريمته بتهمة غسل العار لا لشيء إلا لأنها امرأة كتب لها أن تعيش على هامش الحياة تعاني العنف والقساوة والحرمان والتهميش الكامل كما تقول الكاتبة: "ولأنها امرأة وصمت العائلة بوصمة العار المزعومة، وأهدرت شرفها، كما قال خاله في محاضر التحقيق الجنائي فصدقه الناس والقانون، وكذبوا الجنين المطعون"[٢٦٤]. والمؤسف في هذا الأمر أن المرأة تركت مواجهة الظلم لنفسها، وكأنها كائن من عالم آخر وليس بشرا، وهي تشعر وتحس وتحلم وتتمنى كما يفعل نظيرها الرجل في رحلة الحياة.

وفي قصة "الحاء: حالته" في مجموعة "تراتيل الماء" يوجد فيها مثال لظلم الأخت من قبل إخوتها، وقد جسدت القاصة واقع المرأة ورمزت بـ"النور والظلام"؛ النور يراد به زمن ظل والدها، والظلام يعنى به عهد إخوتها بعد وفاة أبيها. تتناول القاصة ذلك في قولها: "دللها والدها كثيرا، ووثق بها، فاعتادت على أن تكون في النور، وأن تفعل كل شيء في النور"[٢٦٥]. ويظهر أن ذلك الزمن لم يدم طويلا، فانقلب الوضع وانتقلت من حالة النور التي تتمثل بكونها تعيش فيها مدللة في كنف أبيها إلى حالة العنف والظلام والبؤس والشقاء بعد ما لبى أبيها على نداء ربه، لتصبح تحت رعاية إخوتها الذين لم يشفقوا عليها، فأظهروا غيضهم وحقدهم عليها، وكأنها لم تضمن معهم بعلاقة الأخوة. وقد وصفت القاصة ذلك بالكفر بقولها: "فجاء عهد الكافرين بها، أسموهم أخوة، لكنهم يحفظون طقوس الشيطان، ويبرون بقسمهم له، كرهوها، وكرهوا تدليل والدهم لها، بقدر ما كرهوا قبس النور الذي تعيش متنسكة في قدسيته"[٢٦٦].

هذا المقتبس القصصي يظهر العداء الأسري، والمحروم الوحيد فيه هي المرأة، والمسيطر هو الرجل، وكأنه هناك وضع قارس يطارد المرأة، وأريد لها أن تعتبر المرأة البؤس والشقاء من قدرها، فغابت الرحمة، وحل مكانها

---

[٢٦٤] المصدر السابق، ص ٤٢.

[٢٦٥] سناء الشعلان، **تراتيل الماء**، ص ٨٥.

[٢٦٦] نفس المصدر، ص ٨٥.

الكره، وهو ما يترشح في معاملة الأخوة مع أختهم، فيشير أحد مشاهد القصة إلى أنهم "جلدوها وجوعوها وربطوها في قبو بيتهم، لكي يسجنوا فضيلتها خلف الأسوار، فهي برأيهم من تصنع شرف المرأة، ولأنهم غير مسجونين خلفها، فقد كانوا يقتاتون على شرف الآخرين، ويدفعون من عزيز مالهم ووقتهم كي يستمتعوا بدم الشرف المسفوك"[٢٦٧]. وبذلك كشفت القصة عن قيام الأخوة بإسقاط ما يعانون منه في المجتمع على أختهم فتكون ضحية فقدانهم للعفة والشرف والأخلاق بوصفها العنصر الأضعف في العلاقة الأسرية كما وصفت أحداث القصة.

أما النوع الثالث فهو الاضطهاد القانوني الذي ينبثق من الاضطهاد الأخوي، فينعكس في القوانين الوضعية والعرفية التي تضطهد المرأة في حقوقها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية[٢٦٨]، السبب الذي يحث المرأة أن تعيش في الجانب، وهو يحاط بقيود اجتماعية وثقافة فحولية قاسية، ففي قصة "الخرافة الأولى" في مجموعة "عام النمل" يبدو أن العنف هو الحاكم على العلاقة بين الأخت وأخيها، الذي لم يتردد عن ممارسة أي فعل يسيء إلى أخته، والنص التالي يوضح ذلك: "طيبة كدمعة طفل، قائمة كخيمة، لم تحلم للأكل وحاجات الحياة الأساسية بالمتبقي بعد إرسال نفقات دراسة الأخ الكبير الذي يكابد قدراته الإدراكية المتواضعة، وصعوبة تعلم لغة جديدة في بلاد الصقيع والبرد كي يعود بلقب مهندس فتفخر به الأم، ويحمل عبء الأسرة الكبيرة عن كاهل والده المعنى"[٢٦٩].

وهنا سلطت أحداث القصة على بساطة المرأة ومدى تضحيتها، فهي تحترم قرارات العائلة، ولا تعترض عليها، وقررت تأجيل أمنياتها وأحلامها إلى أن تنتهي مهمة أخيها إلا أمنية واحدة كانت تسعى إلى تحقيقها، فهي "تحلم بسن ذهبية يفتر عنها فمها القرمزي الدائري كخاتم سحري، وقلما يسمح لها أخوها الثاني بالترتيب أن تبتسم، إذ ابتسامتها تذكره قهرا بضحكات العاهرات اللواتي يسافرن بالسر في ملهى المدينة"[٢٧٠]، ومن هنا بدأ الخلاف بين الأخت وأخيها الذي لم يكن يرعى أخته، ويدعها تحقق أحلامها، لذلك وقف حجر عثرة في طريقها، وبدا غاضبا لا يتحمل رؤية أخته تبق في أجواء الفرح والسرور، حتى أنه استكثر عليها الابتسامة، ثأرا لضحكات العاهرات اللواتي كان يمارس معهن تبقى سرا في أحد الملاهي،

---

[٢٦٧] المصدر السابق، ٨٥-٨٦.

[٢٦٨] إبراهيم الحيدري، **النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب**، (بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٣م)، ص ٣٠٢.

[٢٦٩] سناء الشعلان، **عام النمل**، ص ١٢٢.

[٢٧٠] نفس المصدر، ص ١٢٢.

لذلك كان يزعجه أي مظهر من مظاهر الابتسامة، وما عدا ذلك أن هذا التبرير لم يكن يوجد من قبل ويعطيه الحق في قمع ابتسامة أخته البريئة.

وفي مطالعة أحداث القصة تبدو صورة العداء والعنف، فبعد أن تقدمت إلى "أن تلتبس إحدى أسنانها بقشرة من ذهب، ونجحت بأن تقنع والدها بأمنيتها التي تحققت على يدي أول غجري مر بالحي، فدفع والدها بعض المال له، وتحملت هي ألما جبارا، وحصلت أخيرا على سنها الذهبية، واختالت بها قبل أن يقبض عليها أخوها بجريمة الابتسام، فيضربها، ويكسر سنها الذهبية، ويفرمها ثلاث أسنان أخرى عقابا على فرحتها"[٢٧١].

يكشف النص هنا عن حالة التسلط والهيمنة التي يتمتع بها الأخ تجاه أخته، ومن دون أي عرقلة تردعه يستخدم أي شيء يمكن أن يسيء إليها، لذلك فإن ما وقع مع هذه المرأة لم يكن شيئا غريبا، بل كان أمرا عاديا في دستور الثقافة الفحولية المسيطرة على واقع الحياة، لذا فإن ما وصلها من أذى جعلها أن تعيش في حالة من الحزن والألم، وقد ألزمت على نفسها أن تبتعد عن الأحلام والأمنيات تلبية لإرادة قاهرة سلبتها حقها في الحياة، وهي إرادة أخيها لذلك أصبحت تحزن. "وما عادت تحلم أبدا، وإن كانت تسعد سرا بمراقبة أسنان أخيها تتساقط الواحدة تلو الأخرى؛ بسبب مرض عجيب أصابها، فيهزل من قلة الأكل الذي لم يقدر على ابتلاعه، ويحرم على نفسه الابتسام، كي لا يكشف عن غور فمه الأجرد"[٢٧٢] فحتى سعادتها لم تكن ظاهرة، بل كانت تبقى سرا، وتبعد عن الأنظار، بما تؤكد سلطة القمع الذي تسبب في تحطيم واقعها النفسي، وتحويلها إلى كائن جانبي يبكي فوق جبل الحزن والألم.

[٢٧١] المصدر السابق، ص ١٢٢.

[٢٧٢] المصدر السابق، ص ١٢٢.

الفصل الثالث

علاقة المرأة بالآخر البعيد

علاقة المرأة بالآخر البعيد

يبدو أن طبيعة الصمت الذي يتسبب للمرأة أن تعاني المشاكل في بعض الحالات، قد يمهد الطريق إلى إقامة علاقات مشوهة مع بعض الرجال، تكون مضادا للعادات الاجتماعية والطقوس المتوارثة، والمبادئ الدينية والأخلاقية، إذ تتلوث المرأة من دنس الخيانة فتتخبط في علاقات مشبهوة ومحرمة، تختتم بممارسة الجنس خارج الزواج. وهذا الأمر لا يحدث فجأة، وإنما له دوافعه الخاصة، وبواعثه الخطيرة. وفي بعض الأحيان تكون "الذات الإنسانية في حالة بحث دائم عن كوامن الجمال الحسي، لتعويض النقص الذي يعتريها، ويثير خمولها، فتغدو بحالة نشوة وارتياح نفسي"[٢٧٣]، فاللامودة واللاتلاعب في العلاقة الزوجية قد يدفعان أحد الزوجين إلى البحث عن علاقة جديدة لا تمت صلتها إلى الخلق والقيم والإنسانية النبيلة.

وفي المعاكس فإن حالة العشق، وهيمنة الهوى لهما أثر كبير في قيام علاقات اجتماعية تتحلى بالعفة والنقاء، تكون تمهيدا للزواج، وتشكيل أسرة سعيدة تتحد على الحب والانسجام.

وبعد متابعة النتاج القصصي المدروس وجدت أن هناك أوضاعا مختلفة لعلاقة المرأة مع الرجل البعيد الذي لا تجتمع معه في أية صلة قرابة. وما يظهر من أحداث قد تبدو سلبية ويخلطها التشويه تارة، أو إيجابية تولد منها محبة تكون سببا لأواصر التقارب والانسجام تارة أخرى، النقطة التي سنقوم بدراستها عبر مطلبين هما: "العلاقة البريئة النقية من الدنس"، و"العلاقة المشوهة المخلوطة من الدنس".

---

[٢٧٣] زينب علي حسين الموسوي، "**الأنساق الثقافية في شعر الفقهاء (٢٤٧-٦٥٦هـ)**"، (رسالة الدكتوراه: جامعة القادسية، ٢٠١٧م)، ص ٣١.

المبحث الأول

العلاقة البريئة

العلاقة التي تستأنفها المرأة مع مساعدة الرجل البعيد الذي لا تعرفه من قبل قد تؤسس بنيانها على النوايا الحسنة والحب العميق، وتبعد عن المتعة الجسدية المحضة، والمشاعر الفحولية. وفي قصة "صديقي العزيز" في مجموعة "الجدار الزجاجي" يظهر البعد البعيد ويكره على علاقة المرأة بالرجل، فبطلة القصة التي تأخذ الرسامة كشغلها، قد تعرفت على أحد الأشخاص الذي كان يساعدها، إذ توظف على تأمين احتياجاتها المالية والمادية، وكان يساعدها كثيرا في سبيل إبعاد الصعاب التي تعترض طريقها فابتدأ الأمر بالصداقة إلا أنه وصل إلى الإعجاب والشعور بالحب، وأحست بحاجتها إليه وعدم استطاعتها على التبعد منه، فنالت فيه الشخص المنقذ الذي يبعدها من هموم الماضي ومراراته، لا سيما ما يرتبط من تجاربها المسيئة مع أشخاص تعرفت عليهم، لكنهم لم يكونوا على قدر المسئولية. وقد بينت الكاتبة في أحد مقتبس القصة جانبا من أبعاد شخصيته فتقول: "فهو قوي، لا يخشى عليه لنقل إنه أقوى رجل رأيته في حياتي، دون أن ينبس ببنت شفة، أو تنهيدة احتجاج، يبتسم وكأن شيئا لم يكن، ودمعة سخية تتلألأ في عمق محجر عينيه، ولا مزيد ثم يولي قافلا"[٢٧٤].

ويظهر أن ذاك الرجل قد أحبها، ورأت فيه أفضل شخص يمكن أن تعيش معه، ويلبي لتحقيق أمنياتها، بما يتمتع به من صفات قد جذبتها، وأنارت مشاعرها حتى أصبحت تمنحه مكانا في ذاكرتها وتأملاتها ليلا ونهارا، "من جديد تقلبت في فراشها وقالت: ولكني أحتاج إليه، أحتاج إلى عونه، والي مساعدته، أحتاج إلى كلماته تضع حلولا لأشواقي، أحتاجه ليؤازرني وأنا أستقبل حبا جديدا، أحتاجه لينزل معي إلى الأسواق لأشتري هدية لرجل ما أشتهي أن يدخل إلى عالمي، وأحتاجه وأنا أودع حبي المأمول، هو الوحيد الذي يحتضنني باكيا لبكائي، حزينا لأحزاني ويضمني دون أن يوبخني، دون أن يلومني، يداعب شعري ويقول: "يا لك من صغيرة"[٢٧٥].

يتحدث المشهد القصصي مدى الإعجاب الشديد الذي سيطر على مشاعر المرأة، وأخذ يغطي على كيانها، وبدأت تقتنع كثيرا به، لعله يبعدها مرارة الماضي، ويذهب بها إلى عالم لا هم فيه ولا غم، فهي تنتظر لأحد

---

[٢٧٤] سناء الشعلان، **الجدار الزجاجي**، ص ١١٨.

[٢٧٥] نفس المصدر، ص ١١٨.

يعيد إليها الأمل، ويساعدها لتنفث في جوء يملأ بالتفاؤل، ويخلو من الفشل والبدل المادي والخيار الخاطئ، لذلك اعتبرت هذا الرجل ضالتها وهدفها الذي فرحت كثيرا بتحقيقه والحصول عليه، فلا يبعد خيالها للحظة، فهي دائما تهتم به وتخاطب نفسها بعبارة "أين هو؟" وعلى العكس من ضرورتها للمال الذي تنتظر وصوله "من تاجر العاصمة الذي تتعامل معه، ولكنها ضربت صفحا عن ذلك، فعلى الرغم من حاجتها الحقيقية إلى المال، وأنها هذه المرة بالذات، ودون سابق إنذار، وبعيدا عن أنانيتها المفرطة، وشذوذا عن كل رغباتها التي تدور حول حاجتها ومصالحها، فهي في حاجة إليه دون الحاجة إلى مساعدته؛ لأنها تشعر بأنه في حاجة إليها"[٢٧٦].

لقد تقدمت المرأة في مسار يقلل بعدها من صديقها الذي أحبها كثيرا، وأصبح سببا إلى أن تتناسى حاجاتها ورغباتها بالحصول على المال فالصديق في نظرها أهم من الأموال، فالشعور الذي فتح قلبها قد دفعها إلى أن يزداد طموحها، وبدأت تخطط الأمور بطراز جديد، فهي بحاجة ماسة إلى فرد يخرجها من همومها وواقعها الحزين، فقد كبر حلمها، فهي "تريد أن تقف قبالته، ولا تعرف أي الكلمات ستقول له، لعلها ستقول له كلماتها المعتادة التي تقولها له مازحة كلما شعرت أنها أغضبته أتحبني؟ فيجيبها بنبرة ساخرة لا تنجح في إخفاء صدق مشاعر صاحبها: أموت فيك"[٢٧٧]، وهي بذلك تحيى في حالة من التوتر العاطفي واضطراب المشاعر وعدم استقرارها، فهي تشعر بشيء من الفرحة التى ستنتج حبا جديدا، فتارة تكتفي على الإعجاب، وتارة أخرى تتقدم إلى الحب، لذلك يكون ذلك بداية تجربة إحساسية جديدة، يمكن أن تثمر في المستقبل.

وتظهر من مجريات الأحداث في القصة إلى أن حالة التوتر الذي تجدها البطلة قد ترشحت على تصرفاتها؛ النقطة التي قادتها إلى السفر بعيدا عن صديقها، ربما ذلك يكون سببا لتخفيف ألم فراقه، إذ بعد من حياتها فجأة، مما لحقها بشيء من الانهيار العاطفي والتأزم النفسي، فاحتاجت إلى الخروج للسفر إلى شمال الولاية، على الرغم من قلة الأموال التي تمتلكها، وحجزت تذكرة في أحد القطارات وفي السفر واجهت حالة من الاكتئاب والحزن كما تبين الكاتبة: "أما هي فكانت تشعر أنها وحيدة، لم تكن تعلم أن لصديقها هذا الحجم في حياتها، لاتنكر أنه إنسان رائع، ولا تستطيع أن تنسى أنه هو من دعمها ماديا ومعنويا، وتوسط لها

---

[٢٧٦] المصدر السابق، ص ١٢٠.

[٢٧٧] سناء الشعلان، **الجدار الزجاجي**، ص ١٢٠.

بعلاقاته المحدودة لكي تقيم معرضها الأول، وهو أيضا من قام بشكل أو بآخر بالتوسط لها عند أحد أكبر دور العرض في العاصمة لكي تعرض لوحاتها للبيع"[٢٧٨].

ويظهر أن البطلة وقعت في حب صديقها، واستسلمت، إذ لا تستطيع الخروج من شراك حبه، وقد ارتفعت معاناتها في القطار، وشعرت بالجوع والقلق والخوف، فلا تملك من المال شيئا تملأ به فراغ جوعها، وتسد فاتورة أجور تذكرة السفر، فعاشت تغترب وتحزن. تذكر الكاتبة هذا المشهد فتقول: "سبت في داخلها تهورها وقراراتها غير المدوسة، استأذنت بعد تفكير مطول الشرطي المناوب في المحطة لتجري اتصالا واحدا لا غير، وافق على مضض، وثم بعد بضع رنات جاء صوت صديقها، فرحت به كفرح من وجد كنزا، قالت له: أين كنت مختفيا طول الأيام الماضية؟

— قال بفخر فارس أسطوري: لقد اقتفيت آثار ذلك المهاجر اللعين إلأى أن اهتديت إليه.

— قالت بدهشة: ولكن لماذا؟

— كي أسترد منه اللوحة التي سرقها منك وها قد أعدتها معي.

صمتت بتعب مهر بري أنهكه الهرب، وقالت: أنا مفلسة في محطة ١٠٧ في شمال الولاية، هل يمكنك أن تأتي لاصطحابي.

— قال بحماس: بالتأكيد انتظريني..."[٢٧٩].

وبذلك ازدادت أمنياتها فعملت على تغيير صداقتها معه إلى حب حقيقي يمكن أن يبلغ إلى الزواج، فتنهي – بذلك – حالة القلق وعدم الثقة التي ذاقت طعمها مع أصدقاء آخرين. وبعد أن انقطع سلك الاتصال بحبيبها شعلت مشاعرها، واشتعلت عواطفها، ولم تعد تقدر على كبح جمرات انفعالاتها المتزايد، وقد ظهر ذلك حينما بدأ شرطي المحطة قائلا:

"هل هو آت؟

فاجأها السؤال، وأجابت تلقائيا: نعم .... هو آت.

قال بفضول: أهو زوجك؟

---

[٢٧٨] المصدر السابق، ص ١٢١.

[٢٧٩] المصدر السابق، ص ١٢٤.

قالت بفضول: أهو زوجك؟

قالت وهي تنزلق في الكرسي المجاور متعبة جائعة، ولكن تملك يقينا يقول: إن الحبيب المنتظر هو صديقها: لا .... هو حبيبي.

أقصد هو حبيبي العزيز .... وهو آت"[٢٨٠].

وهنا ظهرت طريقة إجابتها، والانفعال الذي ترشح على تصرفاتها عن وصولها إلى الإعجاب الكامل لصديقها، ووقوعها في حبه، إذ لم تكن بقدرتها إخفاء مشاعرها وأحاسيسها فعبرت عما يحك في صدرها، وشاءت إلى بيان مكنونات نفسها بدون أن تردد.

وأما مجموعة "عام النمل" – وفي إحدى قصصها – ففيها يشهد على عنفوان العشق وتحطيمه متنوع الطقوس الاجتماعية التي كانت ثمر التمييز الطبقي فقد اجترأت المرأة بفتك تلك العادات البالية. أما القلب الذي يمتلئ بالمشاعر والأحاسيس فلا يسهل لأي قوة أن تديره، وتحكم عليه بقراراته فتخضعه. تذكر القصة ما حصل مع ابنة الوالي بعد ما قلبها يشغف بأحد عبيد والدها، فبدأت تعشقه، فهو "يمر في كل يوم من أمامها، فيطير شيء يخضور من قلبها، حلو المذاق، هلامي التفسير ويهبط على قلبه المقيد بالعبودية، فيهش عليه بيده ليطيره بعيدا إلى قلب حر، فالحب يريد قلوبا حرة لا قلوب تضرب بالسوط غدوة وعشية، فيعود الطائر الحزين كسيفا لينام في ضلوعها التي أورقت زهورا ندية غصنة منذ أن وقعت عيناها عليه"[٢٨١].

وهنا اتخذت "المرأة العاشقة" القرار أن تبعد الحواجز من طريقها، وتخالف على واقعها الاجتماعي، وترفض رفضا تاما للعبودية واستغلال الإنسان، لذلك ألحت على أن تخلص ذلك العبد المسكين من أغلال العبودية، والذهاب به إلى فضاء العشق والحرية. تبين القصة: "كم أتعبها السير كل يوم إلى حقول الذرة والسمسم كي تحظى بمتابعته من بعد! وكم أشقاها عندما صدها! وألقى بحبها بعيدا، قائلا: إن الحب للأحرار لا للعبيد"[٢٨٢].

وهنا وجدت "المرأة العاشقة" أن لا سبيل أمامها للفتح بحب العبد إلا أن تحاول بعتق رقبته، وشراء حريته فيكون أكثر استطاعة على ممارسة دوره الإنساني في التعامل مع الناس، وأداء واجباته بحرية كاملة، إذ إن آثار

---

[٢٨٠] المصدر السابق، ص ١٢٤–١٢٥.

[٢٨١] سناء الشعلان، **عام النمل**، ص ١٠٤.

[٢٨٢] نفس المصدر، ص ١٠٤.

الرق المنكوبة قد تركت أثرا سلبيا على حالته النفسية، وحولته إلى صنم يخلو من المشاعر والأحاسيس، لذلك أرادت إلى القيام بخلع ثوب العبودية الذي أرقه من زمن فـ"حاولت طويلا أن تجد من نفوره منها مسوغا لهجره قبل وصله، لكن تلك النظرات في عينيه ما كانت تخطئ معناها أي أنثى، وكي تتأكد من حقيقة ما قرأت في عينيه اشترته من والدها الوالي، وادعت أنها ستسخره لقيادة دابتها في طريق عودتها إلى مزرعة زوجها الذي يعدها من بين ممتلكاته، وفي الطريق مزقت صك ملكيتها له، وأرخت رأسها على زنديه، وأغمضت عينيها ليسرقها إلى دنيا أخرى بعد أن تحررا"[٢٨٣].

إن "المرأة العاشقة" ابنة الوالي لم تبال بمكانتها الاجتماعية، ولم تلتفت إلى درجتها الأرستقراطية؛ لأنها لم تجد فيه ما ينعشها أو يفيدها، ويعطي فرصة لتعيش مع من تحب، وعلى الرغم من أنها كانت متزوجة، إلا أنها لم تقل شيئا عن زوجها، لكن انجذابها الشديد بالعبد الذي ملكته يشير إلى أنها كانت تواجه فقرا شعوريا، وجمودا في علاقتها معه، لذلك وجدت سعادتها مضادة عن إرادة المجتمع، واختارت لنفسها من يشعرها بالحب والحنان، ويجلب لها ذوق الحياة الجميل.

وبناء على الخلفية فالقصة تشير إلى أمر جدير، وهو علاقة المرأة بالآخر الرئيسي الذي يمثل قيد الالتزامات التي تستجيب لها دون إرادة منها، ذلك الرئيسي هو والدها الولي، وزوجها إلا أنها اغتنمت حياتها مع الآخر العبد المهمش الذي اختارته زوجا لها ووليا، فهي لم تعتق رقبته فحسب، بل أعتقت نفسها من قيودها، وأغمضت عينيها ليأخذها إلى دنيا أخرى بعيدا عن الحبس والقيود.

وفي مجموعة "أرض الحكايا" تقدم الكاتبة صورة المرأة التي تدفع عن عشقها وحبيبها، على الرغم من القيود وقسوة الظروف التي تحيطها بعد أن امتلكها السلطان بدلا من آلاف الدراهم، وجيء بها إلى قصره العملاق، فتضيف القاصة قائلة أنه "شغل القصر بجمالها لأيام، وشغلت الإماء بتطييبها وتجهيز مخدعها لأيام آخر، واعتزل السلطان لأسبوع عن نسائه ومحظياته؛ ليكون لها في ليلة اكتمال البدر، وليفترعها بشوق المحروم"[٢٨٤] إلا أنها لم تسمح سلطته وجبروته، ولم تتمكن مختلف الإغراءات أن تنال من قلبها فتبعدها عن حبيبها، لذلك أرادت إلى الهرب بمساعدة العبيد العاملين بحضور السلطان، بعد أن أخبرته بحقيقة عشقها مع

---

[٢٨٣] المصدر السابق، ص ١٠٤.

[٢٨٤] سناء الشعلان، **أرض الحكايا** (عمان: نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي، ٢٠٠٦م)، ص ٢١.

الفتى الذي تحبه. وكيف أصبحت الأمور بينهما وانتهت إلى الفراق والبعد، فتذكر القاصة أنها "كانت عاشقة لفتى ما، وقد حالت الأسوار ما بينهما .... رجته أن يساعدها، فوافق مكلوما"[٢٨٥].

وإن نقطة الوفاء لحبيبها دفعها إلى أن تقابل الصعاب، وتكون بريق أمل، غير مبالية بما سيصيبها من قبل السلطان إذا علم بما تهوى القيام به، وهو الذي يترقب الفرصة للدخول عليها، وقد ذكرت القصة في نهايتها أنها نجت منه، وعادت إلى موطنها، "في الليلة المشهودة التي أرادها السلطان مع جاريته، كان قد دبر أمر فرارها لتكون مع فتاها الحبيب"[٢٨٦]، وبذلك تمكنت المرأة العاشقة أن تكسر السلاسل والقيود، وتسربت من قبضة السلطان، فركضت حياة العز والذل التي تنتظرها في قصره، فأحبت العودة إلى عشيقها الذي لم يغب عن بالها، وتحقق لها ما أرادت.

[٢٨٥] المصدر السابق، ص ٢١.

[٢٨٦] المصدر السابق، ص ٢٢.

المبحث الثاني

العلاقة المشوّهة الدنسة

لقد لفتت القاصة سناء الشعلان أنظار الناس إلى علاقات اجتماعية اضطرت المرأة في بعض الأحايين القيام بها، لاسيما إذا واجهت الكبت والحرمان، والتضايق على مشاعرها وأحاسيسها. وربما تعتبر مخالفتها نوعا من التمرد على المجتمع فلا يفعل شيئا بل يكتفي على إدانة الظلم الذي واجهته أو المصيبة التي تنزل عليها إذ "لم تجد المرأة أمام ما تراه من قيود تفرض عليها من المجتمع، وعاداته وتقاليده التي تراها جسدا ملغما بلا أحاسيس أو مشاعر إلا التنصل عبر ما تراه حرية لها، لذلك كثيرا ما جاء خطاب المرأة مفعما ومليئا بكل صرخاتها للحرية"[٢٨٧].

وفي قصة "حيث البحر لا يصلي" التي تضمنتها مجموعة "الذي سرق نجمة" نجد هامشا من علاقة المرأة بالرجل خارج سياقات العفة والشرف، فهي علاقة يديرها قانون الهوى، وليس قانون الخلق والقيم السماوية والأعراف الاجتماعية، فتذكر المرأة العاشقة أن "الصلاة كانت على وقتها كانت فرضا علينا في صغرنا، ثم أصبحت ريحانة نفسي عندما كبرت، كنت أخالها الأجمل حتى ذقت قبلة العشق فعرفت حينها أن القلب يجيد صلوات أخر، وعندما صليت في محراب جسد ذلك الصحراوي البري الباذخ الرجولة، أدركت أن للعاشق ألف صلاة لا يعرفها غير من ذاق صلاة الإيمان بالهوى"[٢٨٨].

ظهرت المرأة هنا متحررة من القيم والتقاليد، ولا يهمها سوى ما يحك في قلبها الذي دفعها إلى الوقوع في التهلكة، إلا أنها كانت ترضى وتغرق في بحر التمتع والتلذذ، وكأنها تنفث في عالم آخر لا تجد فيه إلا حبيبها الذي يسير معه على درب الهوى، ولا تبالي بما يراه الآخرون من أن الممارسة الجنسية هي نزوة تعبر ولا تدوم إلا لحظات وثوان. تقول القاصة: "يقولون إن العشق البشري فانٍ بفناء اللحظة، ولكن الحقيقة أنه ممتد لا يعرف موتا أو رحيلا، وهو طاقة لا تفني، ولكن تتحول من شكل إلى آخر، وأجمل أشكالها هو ذلك الوجيب الذي يخفق في أحشائي منذ أسابيع، هو معجزة حبنا العظمى، هذا الجنين المستلقي في غياهب قرار مكين هو الشهادة الوحيدة على أن عشقنا قد ذاق جسدينا"[٢٨٩].

---

[٢٨٧] أ. سعاد طويل، "الرواية النسائية العربية وخطاب الذات"، **مجلة المخبر**، العدد: ٦، (٢٠١٠م): ص ٨.

[٢٨٨] سناء الشعلان، **الذي سرق نجمة**، ص ٢٣.

[٢٨٩] نفس المصدر، ص ٢٣.

وبلغ الأمر بالمرأة إلى حد أنها لم تجد عيبا أو خطيئة في الحمل غير الشرعي، بل وجدت فيه دليلا على بلوغها درجة متفوقة من العشق، فتقدمت مع حبيبها لقانون العشق السامي في نظرهما، لذلك لم يجلب الجنين العار لأنه نزل على وفق أعراف الهوى وسلطته، ولكن لم يكن أمرا سهلا كما يبدو، لأنهما سوف تصطدمان بالمجتمع وقيوده الصارمة، ونظرته إلى العلاقات المحرمة بين الرجل والمرأة، لذلك بدأت المرأة تشعر بخطر، والآثار المترتبة على جنينها، وبدأ يحيطها القلق، فهو في نظرها كما تروي قد "جاء سريعا قبل أن نرتب أمور زواجنا أو نحمل أوراقا شرعية تجهر بشرعية علاقتنا، جاء قبل أن يخطبني أبوه من أهلي كما وعدني، وقبل أن تزغرد أمي وهي توزع حساء الحريرة والسكاكر في الحمام المغربي ليلة زفافي"[٢٩٠].

وحالة الفرح للعشيقين لم تدم طويلا وبدأ الدافع النفسي يأخذ دوره في تغيير مجرى الأحداث نحو القلق والأزمة، وبدأت تظهر بوادر الخوف، فـ"هذا الجنين العاجز المتواري خلف أسابيع قليلة من الوجود أفسد فرحتنا بعشقنا، ووصم أمه بالزنا، وكبل أباه بكلمة الفاجر، وألب الأهلين علينا، وحاصرنا بالقتل، فهجرنا بعيدا عن الجبل الذي يكفر بالحب وبالعشق وبالجسد، ولا يؤمن إلا بالأوراق الشرعية وبالمأذون وبالزواج، ويصلي الصلوات على وقتها، ويعلن العاشقين جهرة وخفية"[٢٩١].

وفي بيئة الرفض لما جرى من خرق نظام الزواج والإنجاب قرر العشيقان أن يفرا إلى مكان يسمح لهما بالعشق وتكون السيادة فيه للهوى. تقول الكاتبة: "ولذلك اخترنا أن نهرب من هذه الأرض التي تئد أبنائها بخطيئة الحياة إلى أرض النور وميعاد الحياة، هناك سنتزوج، وهناك سأُلد طفلي، وهناك سنكون إيانا، وهناك سنصلي الصلوات جميعها على وقتها، فأنى كان البحر فهناك صلاة"[٢٩٢]. وقد أرادت الهرب مع حبيبها إلى إسبانيا عن طريق البحر، في رحلة تملأ بالمشاق والصعاب ضمن ما يعرف بالمهاجرين غير الشرعيين، لعلهما يخفيان عن نظرة المجتمع، "لكننا لم نصرح بحلمنا؛ لأن إسبانيا لن تسمعنا، ومن له أن يسمع مناجاة امرأة ورجل هاربين بعضهما من الأهل والوطن والذات؟ وحدهم عصابات هذه المدينة من لهم السطوة علينا لمفاوضتنا على أحلامنا"[٢٩٣].

---

[٢٩٠] المصدر السابق، ص ٢٣.

[٢٩١] المصدر السابق، ص ٢٣.

[٢٩٢] المصدر السابق، ص ٢٤.

[٢٩٣] المصدر السابق، ص ٢٥.

وقد عاشا في ظروف قاسية، في طريق رحلة تديرها العصابات وتجار الهجرة غير الشرعية وضيق الجيب، ومشكلة السكن في أسبانيا، وتوفير الغذاء والشراب، وقد أراد القدر أن يسافر كل منهما بقارب منفرد، "فاخترنا أن أسافر أولا في القارب الأول لأنتظر رجلي على الشاطئ الآخر يوافيني بعد ساعات لا غير في القارب الثاني"[٢٩٤].

ومن هذا الموقف ازداد العذاب والألم بعد أن فقدت حبيبها وتحطمت أمنيتها أن يهربا معا، ويحققا أحلاما ثنائية، ويحييا بالسعادة في بلاد أجنبية إلا أن القدر قد عاكسها، فاضطرت أن تعيش في الشقاء والحزن، وهي تتحير في أمرها، لا تعرف مصير حبيبها بعد أن تعددت الروايات في سبب عدم وصوله إليها. "والنتيجة كانت الانتظار الموصول لرجل لا أعرف من خذلني أم أن البحر غرر به، وابتلعه على حين غرة، ثم طواه في النسيان ليورثني سؤالا لا يفتر ولا يموت وهو: أين اختفى الرجل الذي أعشقه؟"[٢٩٥].

وفي ظل الضياع الذي عاشته المرأة في بلاد الغربة ازدادت هواجس الخوف والقلق، وهيمنت عليها مشاعر الوجع والألم، وهي وحيدة بلا معين يشاركها همومها وأحزانها، ويخفف عنها آلام الغربة بعيدا عن الأهل والأحبة، وعندئذ تبددت أحلامها، وفقدت الأمل بحياة آمنة، تنسيها أهلها الذين فارقتهم، فبلاد إسبانيا التي وصلت إليها على الرغم من جمالها، إلا أنها لم تكن رحيمة بها، "هذه الأرض الجميلة أم حنون على بنيها، ولكنها زوجة أب شريرة على الغرباء، هنا يهللون لحرية الجسد، ويبكون عندما يسكرون؛ لأنهم يفتقدون العشق الحقيقي، هم لا يبالون بأوراق الزواج الشرعية، ولكنهم يحرقون الغرباء بالمطاردة والتضييق عليهم في أحوال حياتهم ومعاشهم جميعها في سبيل أوراق إقامة رسمية، الحصول عليها أصعب من ركوب العنقاء، هذه الأرض لم تهلل بي، ولم تمد يديها لتلقف صغيرتي وهي تنزلق وحيدة على بلاط جحيمها الموشي بروائح نفاذة"[٢٩٦].

وقد باءت محاولاتها بالفشل في أن تجد لها عملا أو سكنا في إسبانيا لأسباب اجتماعية وسياسية واقتصادية كثيرة، فحاصرها شظف العيش، واضطرها إلى أن تعرض جسدها للبيع، وعرضه أمام الباحثين عن الجسد الأنثوي كما تبين القاصة: "الكل تخلى عني في هذه الأرض، أسبانيا وأهلي وحبيبي وأحلامي وعشقي وحريتي

---

[٢٩٤] المصدر السابق، ص ٢٦.

[٢٩٥] المصدر السابق، ص ٢٩.

[٢٩٦] المصدر السابق، ص ٢٩.

وإبائي، حتى عفافي قد تخلى عني، قالت لي رشيدة الوادي مديرة بيت الدعارة في مدينة ملقا أن المعدة الخاوية لا تبالي بالجسد العاري، عندها سببتها وطردتها من حجري حيث آوي مكرهة وحيدة"[٢٩٧].

لم تدم المرأة طويلا على التشبث بعفافها وإبائها وشرفها وحبها وجنينها لأن شظف العيش، وانعدام مصدر الرزق الحلال قد دفعاها أن ترضخ للرذيلة، وتنخرط مع بقية النساء اللواتي يعرضن أجسادهن أمام الرجال، فالجسد هو "ضحية استثمار من قبل المجتمع الذكوري ذي النظرة الاستهلاكية، تغيب فيه نظرة الاحترام لهوية الجسد؛ لأنه يرى فيه ممارسة جنسية لمتعة حسية؛ لأن النظرة إلى الجسد ليست نظرة فردانية تحدها الشروط الفردية وحدها، بل هي نظرة عامة تتبناها الحضارة أو الثقافة وتشيعها إلى الناس، بحيث يكون للمجتمع ككل نظرة موحدة للجسد بصرف النظر عن اختلاف ظروف الإرادة"[٢٩٨].

ولما شعرت المرأة المهاجرة بنظرة المجتمع إلى الجسد الأنثوي رضخت له كما تبين القاصة: "ولكنني بعد أيام قليلة من الجوع كنت أسلمها جسدي المهزول المتفتق عن بطن متكور على حمل في أشهره الأخيرة"[٢٩٩]. ولم تبال هي بالنتائج المترتبة على فعلها هذا، بعد أن يئست من العيش الشريف، بعيدا عن الانحطاط الأخلاقي، فرضخت لمطالب صاحبة بيت الدعارة، ووافقت على شروطها الظالمة فتقول: "لم أفاوضها في ثمن جسدي، فمهما دفع فيه يظل المدفوع زهيدا، ولكن مع أول يد تجرد الجسد من ستره، وتطرحه في فراش العهر يغدو رخيصا لا قيمة له أو ثمن، أصبح جسدي دنسا، وكلما انتهت مهمته الكريهة أسدر في ضحك هستيري لا ينتهي إلا جبرا، من أجل أن يقدم خدماته الإبليسية من جديد لزبون آخر مقابل حفنات من الأوراق النقدية مسبقا لرشدية"[٣٠٠].

وقد قادت الظروف المريرة هذه المرأة لتكون مومسا، وتمارس الرذيلة مع الآخرين، فتقدم جسدها لهم ليستمتعوا به، فهي "ليست إلا ضحية مجتمع ذكوري طبقي مزدوج القيم والأخلاق، ولم يدفعها إلى هذا العمل إلا المجتمع نفسه، والرجال أنفسهم، والفقر نفسه"[٣٠١].

---

[٢٩٧] المصدر السابق، ص ٣٠.

[٢٩٨] عبد الناصر مباركية، "**رواية "مثلث الرافدين" للروائية السورية سها جلال جودت –دراسة سيميائية سردية–**"، في: الملتقى الدولي الخامس للسيمياء والنص الأدبي، (بسكرة: منشورات قسم الأدب العربي، نوفمبر ٢٠٠٨م)، ص ٤٥٥.

[٢٩٩] المصدر السابق، ص ٣٠.

[٣٠٠] المصدر السابق، ص ٣١.

[٣٠١] نوال سعداوي، **الوجه العارية للمرأة العربية** (القاهرة: دار ومطابع المستقبل، ١٩٩٤م)، ص ٢١١.

يتنصل المجتمع عن مسئولياته في لجوء المرأة إلى هذا السلوك المنحرف فلا يدان الرجل على فعلته، بل توجه سهام الاتهام إلى المرأة، وتصبح هي في دائرة اللوم والعتاب، فهي من تدفع الثمن، وتؤدي الضريبة، وتتحمل تبعات العار والهوان، وقد ينالها العقاب. ولذلك فإن هذا النوع من النساء اللواتي يطلق عليهن المومسات لسن إلا حالة اجتماعية تعكس وجها من أوجه الحضارة الذكورية القائمة على الأبوية، وما كان على المرأة إلا أن تكون كبش فداء لهذا لحضارة، من أجل أن تقوم وتزدهر وتستمر[٣٠٢].

ولهذه الأسباب يعد موضوع الجنس عنصرا من عناصر كتابة الهامش والاختلاف، يراد به تصوير واقع المجتمع ومستوى اختلاله، بهدف فضحه، بما يمكن المهمش من التمرد عليه، وينهض ضده، محاولا تغييره[٣٠٣] واستبداله بواقع جديد تبتعد فيه المرأة عن الهامش.

وفي مجموعة "الضياع في عيني رجل الجبل" تبرز هيمنة الأداء الشقي على علاقة الرجل؛ العاشق والمعشوق بالمرأة؛ العاشقة أو المعشوقة، إذ نجد أن خطاب الجسد هو المسيطر عليهما. وقد جاء في أحد المشاهد القصصية على لسان المرأة: "كنت عارية إلى جانبك، وكنت عاريا تماما إلى جانبي، مسدت علي، لمستني، ما جسدك نحوي، شممتك على مهل واشتهاء، كنت أدرك أنني في فسحة من أمري، وأنك تهبني كل ما أشاء من فرحة بجسدك العاري مثل جسدي العاري"[٣٠٤].

لم تستطع المرأة العاشقة هنا إخفاء البعد الغريزي الذي اجتاحها في أوج لحظات العشق والهيام، فكانت تتلذذ بالالتقاء الجسدي مع حبيبها، وتعيش في أجواء الفرح والسعادة، وكأن ذلك هو مرادها وغايتها، وقد حققتهما، فكان جموحها مسيطرا عليها، ولم تكتف بذلك بل أعلنت عن رغبتها بالممارسة الجنسية بما يطفئ لهفتها وشوقها لذلك.

ونجد في أحد المقاطع القصصية أن المرأة العاشقة تعلن عن ذلك صراحة، فتذكر القاصة على لسانها: "أنا أريد في هذه اللحظة أن تكون رجل غابة متوحش بربري، لا تعرف لغة أو منطقا أو مقدمات، أريد أن تعريني دون أن تنبس بكلمة لتحتلني إلى الأبد. ما قيمة الأجساد العاشقة إن لم تكن أرضا محتلة"[٣٠٥].

---

[٣٠٢] نوال السعداوي، **الأنثى هي الأصل**، ص ٢١٠.

[٣٠٣] هويدا صالح، **المرجع السابق**، ص ٢٣٦.

[٣٠٤] سناء الشعلان، **الضياع في عيني رجل الجبل** (العراق: فضولي للطباعة والنشر، ٢٠١٢م)، ص ٩.

[٣٠٥] نفس المصدر، ص ١٤.

وبذلك أصبحت الرغبة الجسدية هي الطاغية على المشهد القصصي، وغابت الأصوات الأخرى ليعلو صوت الجسد بعيدا عن قيم البراءة والعفة والشرف مما أدى أن تكون علاقة العشق هنا علاقة مشوهة.

الباب الرابع

القضايا الرئيسية للمرأة العربية

الفصل الأول: القضايا الاجتماعية

الفصل الثاني: القضايا النضالية

مدخل

سبق الباب الثالث ببيان صورة المرأة في الأعمال القصصية للكاتبة سناء الشعلان التي تقدم صورا مختلفة للمرأة مع التركيز على بيان أنواع الظلم الذي تواجهه المرأة العربية. وهذا الباب يتناول القضايا الرئيسية للمرأة العربية؛ وهي عبارة عن قضايا اجتماعية وقضايا نضالية.

القضايا الاجتماعية كثيرة لكن عمل المرأة وزواجها تترأسان القائمة لأنها تتطلب الحرية فيهما أساسا فإذا منحت الحرية عملت حيثما تشاء وتزوجت بمن ستختار لها زوجا لائقا بها في حين المجتمع العربي لا يسمح بالمرأة أن تكسر تلك القيود فتعمل حيثما تشاء وتتزوج بمن تشاء خروجا على الوالي وبدون إذن مسبق منه في هذا الصدد. ولذلك نرى في قصص سناء الشعلان أن المرأة تسعى وتجاهد بكل ما وسعها لتنال حريتها فتعيش بلا سيطرة جائرة من الرجال.

والقضايا النضالية تتلخص في الأعمال التي تتطلب جهودا جبارة لكن المرأة تقوم بها جنبا بجنب الرجال، وأبرزها النضال لأجل استقلال الوطن وتحريره من الاحتلال الصهيوني الغاشم. والمرأة في قصص سناء الشعلان أساسيا تناضل للحرية من كل قيد تقيدت به منذ قرون لتخرج من سيطرة الرجل عليها وتعيش بحرية كما تشاء ولذلك إنها تثور في تلك القصص على القيود البالية والخرافات السائدة في المجتمع.

الفصل الأول

القضايا الاجتماعية

المبحث الأول: عمل المرأة

المبحث الثاني: زواج المرأة

المبحث الأول

عمل المرأة

بعد الاطلاع على المنجز القصصي للكاتبة سناء الشعلان وجدنا أنها اهتمت كثيرا بالمرأة، وقدمت لها صورا عديدة. وقد أبدت انحيازها التام لقضاياها المختلفة، لاسيما في التعلم والزواج والعمل. ذلك لأنها تعتقد أن المرأة العربية "تعيش مأزقا على كل مستويات التحقيق والإنجاز، وهي في الوقت نفسه تبذل جهودها لتكريس نفسها، وتحقيق إنسانيتها إلا أن التحديات كبيرة"[٣٠٦]. ووقفت عند الدور الكبير الذي أدته المرأة في سبيل نيل حقوقها، وممارسة نشاطاتها المختلفة بعيدا عن ضغوط الرجل والأسرة والمجتمع، فأفادت من التطور الكبير والمتسارع الذي طرأ على المجتمع، واستطاعت أن تحقق بعض أهدافها، فكانت هموم المرأة العربية ومعاناتها وأحلامها قيمة أساسية في مدوناتها القصصية. ويمكن أن نعد ما قامت به المرأة العربية نوعا من التحدي، ورفض الاستسلام للثقافة الذكورية التي كبلتها قرونا كثيرة.

توضح الكاتبة هذا الوضع المؤلم للمرأة بقولها: "وإذا كانت المرأة العربية قد نجحت إلى حد ما في كسر الطوق الذي يؤطر علاقتها بالرجل، فإن هذا لم يحقق لها ما تصبو إليه، ولم يضعها في المكان الذي تستحقه؛ لأن الماضي بقي حيا يتدخل في جزئيات يومها، ويمارس تأثيره المعرفي في تفكير الناس، فاستمر الحظر على كيان المرأة والمساومة على إنسانيتها، وظل المجتمع العربي ينظر – ولو بدرجة متفاوتة – إلى المرأة على أنها الضلع القاصر، والجنس الأضعف في عملية بناء المجتمع العربي، ويجب ألا يتعدى حضورها مساندة الرجل في عمله وحياته. وهذه النظرة خلقت حالة من الغبن تجاه المرأة في قوانين الأحوال الشخصية العربية، وفي المواقف الاجتماعية السائدة في الواقع المعيش"[٣٠٧].

وأبرز القضايا التي عالجتها الكاتبة سناء الشعلان هي تتلخص في محورين؛ عمل المرأة وزواجها كما يأتي بيانهما مفصلا فيما يلي.

يعد عمل المرأة من القضايا الاجتماعية الهامة التي شكلت مادة أساسية في أعمال سردية كثيرة، بوصفها قضية جدلية، لأن ممارستها العمل لم يكن أمرا يسيرا بل كان يصطدم بعوائق كثيرة. تقول الكاتبة: "عمل

---

[٣٠٦] وليد شموري، "الأدب الذي تنتجه المرأة في المشهد العربي يشبه حالها وفكرها وتكوينها وظرفها: حوار مع الأديبة الأردنية سناء الشعلان"، **مجلة الشاهد**، العدد ٧٠٧ (٢٠١٤م)، الجزائر: ١٨.

[٣٠٧] جمانة طه، **المرجع السابق**، ص ٢٧٨.

المرأة يوفر لها نوعا من الحرية الشخصية؛ لأن اعتمادها على الرجل يجعل موقفها ضعيفا فتكون تابعة له، فلا تستطيع مخالفته أو الخروج على سلطانه؛ لأنه هو الذي يعمل على استمرار حياتها وحياة أطفالها"[٣٠٨].

ولم تجد المرأة الرضا من المجتمع فيما يتعلق بمسألة ممارسة العمل ومنافسة الرجل، "ولهذا يسمح المجتمع للمرأة العاملة بحريات معينة ويحرمها من حريات أخرى. إنه يمنعها من التطور الفكري المستمر أو الوعي المتزايد وإلا اكتشفت الظلم الواقع عليها"[٣٠٩]، لكن حينما يكون العمل شاقا ومتعبا لا يتناسب مع تركيبتها الجسدية والنفسية فإن ذلك يصبح وبالا عليها، ويدخل ضمن حالات امتهان المرأة وإذلالها، فضلا عن ذلك إن المسؤوليات التي تنهض بها المرأة، والأعمال التي تؤديها في البيت تحتم على الرجل التخفيف عن كاهلها، وعدم إقحامها في ميادين العمل المرهقة والصعبة، فما تتسم به المرأة من رقة القلب ومشاعر شفافة، تجعل من المناسب أن يتم اختيار العمل الذي يوفر لها قدرا كبيرا من الاحترام والعيش الكريم إلا أن قسوة بعض الظروف، وحاجة المرأة إلى العيش، وإعالة أسرتها، قد يدفعها إلى القبول بعمل قد لا تطيق تحمله بسهولة، ولكنها تضطر إلى الصبر وتحمل الشدائد والصعاب. وفي الآونة الأخيرة وبفضل ما شهدته البلدان العربية من تطور كبير، ومحاولتها اللحاق بركب الدول المتقدمة وازدهار سوق العمل وفّر ذلك عددا كبيرا من الوظائف التي أصبحت متاحة أمام المرأة فبادرت أغلب النساء إلى مشاركة الرجال في ممارسة أعمال مختلفة ومهن كثيرة.

وحين مطالعة النتائج القصصي المدروس وجدنا صورا متعددة لعمل المرأة، وقد تتنوع بحسب الظروف المحيطة بها، ومن ذلك ما تجلى في قصة "أجيرة" التي ظهر فيها ما تعانيه المرأة الفلسطينية من شقاء وبؤس بفعل ممارسات الاحتلال الإسرائيلي التي أوصلت الشعب الفلسطيني إلى حالة مزرية من شظف العيش والعوز والفاقة، فالمرأة "تجوب الحقل بثوبها الفلسطيني المهترئ الذي نجا وحده من محرقة الاحتلال الصهيوني التي اجتاحت أرض قريتها، فسلختهم عن حياتهم وكرامتهم وصفو عيشهم وحنون جمعتهم، وألقت بهم لاجئين ضائعين في دروب الدنيا"[٣١٠]. وهنا لم تسلم المرأة الفلسطينية من السياسات العدائية التي يتبعها المحتل الصهيوني، فوقعت ضحية لتلك الممارسات، وأجبرت على العمل الشاق الذي لا يؤمن لها العيش الكريم، ويحفظ كرامتها. وقد رمزت القصة إلى عفتها وشرفها عبر ثوبها المهترئ الذي لم يحترق بنار المحتل.

---

[٣٠٨] وائل على فالح الحمادي، **صور المرأة في روايات سحر خليفة** (عمان: دروب للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م)، ص ٤٢.

[٣٠٩] نوال السعداوي، **الأنثى هي الأصل**، ص ١٦٥.

[٣١٠] سناء الشعلان، **تقاسيم الفلسطيني**، ص ١١٢.

وفي مقطع آخر من القصة تذكر القاصة: "الآن هي تعمل أجيرة مستعبدة في قطف ثمار الطماطم في حقل ذلك الجلف النحيف ذي الأصداع المطبقة، والصدر الذي مط باتجاه تجويف البطن، ودفع أضلاعه يابسة مشينة مسيئة لعيني كل ما يلقى نظرة عليه، هو جثة متعفنة منتصبة على قدمين"[٣١١]. أحداث القصة تكشف عن مدى قوة المرأة الفلسطينية وصلابتها في مواجهة الاحتلال، وعدم الإذعان للظروف القاهرة التي فرضت عليها، من أجل توفير لقمة العيش لعائلتها، فهي "لا تبغي من هذا العمل المهين إلا أن تؤمن الخبز والماء النظيف وبعض الخضار والأرز لزوجها المقعد وحماتها المسنة وأطفالها الكثر. تعمل من شروق الشمس حتى غروبها مثل ثور مربوط العينين بساقيه ملعونة لا تتوقف عن الدوران، اللجوء القسري حولها من صاحبة أرض ميسورة الحال مصونة الكرامة إلى لاجئة فقيرة معدمة تخشى أن تطرد من عملها، فيموت زوجها وأولادها وحمايتها جوعا"[٣١٢].

والمرأة الفلسطينية تحمل رسالة إنسانية كبيرة، فهي مثال للمرأة المناضلة في سبيل عائلتها، والمتحدية للمصاعب، إذ لم تعبأ بالواقع المؤلم، فنهضت ووقفت على قدميها لتعلن عن قيامها بأمر العائلة، وتوفير متطلباتها، على الرغم من المعاملة السيئة التي كانت تتعرض لها من صاحب الحقل الذي تعمل فيه. توضح الكاتبة: "ذلك الرجل الجيفة صاحب الأرض يريد أن يهتك عرضها إلى ج انب استحواذه على عرق جبينها، وكد جسدها ثمنا لقروشه القليلة، يطاردها في أرضه ليل نهار، ويحاول أن يستفرد بها بأي شكل من الأشكال كي يسلبها عزيزها، ترفض ذلك وتسبه، وتمسح عرقها بردني ثوبها القديم ذي الحرير الأخضر المهترئ، وتقرر أن لا تخضع له حتى ولو ماتت أسرتها كاملة جوعا في سبيل أن تدافع عن شرفها، فهو ليس للبيع ولا ثمنا لحياة أحد"[٣١٣]. إذن كل محاولات الضغط وحالات الإكراه التي مورست ضدها، لم تنل من عزيمتها وإصرارها على العمل الشريف، والعيش بكرامة وعزة نفس، بعيدا عن الانزلاق في الرذيلة والفحشاء.

وفي نص قصصي آخر نجد المرأة التي تعمل راقصة، وقد تجلى ذلك في قصة "راقصة الطاغية"، إذ إن بطلة القصة كانت على درجة كبيرة من الوعي والالتزام، فهي امرأة محافظة على الرغم من أنها تعمل راقصة، فكانت تمتلك من الهيبة ما يجعلها بعيدة عن الابتذال والسقوط في هاوية المحرم، فأعطت صورة مختلفة عما هو شائع في أذهان أبناء المجتمع عن الراقصات، إذ "تسمح بأن تستباح في أي شيء إلا في رقصها، لا شيء

[٣١١] المصدر السابق، ص ١١٢.

[٣١٢] المصدر السابق، ص ١١٢.

[٣١٣] المصدر السابق، ص ١١٣.

عندها يتصف بالقداسة إلا تلك اللحظات الهنية الشهية التي ترقص فيها، جسدها عندئذ يحار في حركات علوية متصلة مع عالم روحي لا يعرف لحظة حزن أو خذلان أو مذلة أو تواطؤ إلا مع موسيقي خفيضة تخضعه بحنان غنج سرعان ما يرخي قبضته المتشبثة بها ليجري مرحا نحو رياض وزهور ونشوة لا تنقضي"[٣١٤].

وهنا جعلت المرأة من الرقص مهنة تجلب للروح السكينة والطمأنينة بعيدا عن التعري وإثارة نزوات الآخرين، فالرقص عالمها السحري الذي تحلق فيه إلى مديات واسعة تقترب فيها من عالم الصوفية، لذلك فإن ما يهمها هو أن تؤدي عملها على أكمل وجه، غير مكترثة بما يصدر عن الآخرين من ردود أفعال قد تكون محكومة بالرغبة الجنسية، فبعد أن تنتهي العزف الموسيقي المرافق للرقص "كأنها استيقظت من دروشة صوفية فجرية ندية، تغادر حلبة الرقص كحصان بري فتي يجري دون تعب، ويجفل حتى من خياله، وخصال شعرها الفضية تغيب ملامحها الحادة المعجونة بتحد هو طبع أصيل فيها، وتظل عيون الرجال الحاضرين متعلقة بجسدها المعروف بترياق الفتنة، وهي تبتعد تحجل ككائن بري يكتشفه الرجال الجائعين في صحراء جوعهم الأزلي"[٣١٥].

كانت الراقصة امرأة عنيدة ذات شخصية جادة، تملك زمام نفسها ولا تسمح لأحد من الرجال أن ينال منها استجابة لرغباته الذكورية، فهي بعيدة عن الضعف والانهزام والانكسار، ولا تنال منها عبارات المدح والثناء، أو الإغراءات، إذ "لا تسمح بيد لاسم بأن تهبط على جسدها، ولا تتريث عند كلمة إطراء أو نظرة إعجاب، ولا تستوقفها يد واهبة أو كيس عطاء، تكتفي بأجرتها المتفق عليها مع صاحب الليلة، وتغادر المكان مع فرقتها قانعة بلذتها التي تملأ نفسها بقشعريرة تستنفر حواسها ومداركها جميعها"[٣١٦].

الملاحظ في هذه القصة أن المرأة بعيدة كل البعد عن عالم الملذات والثراء، واستغلال الآخرين من أجل الحصول على أكبر قدر ممكن من الأموال، فهي لا تجعل من جسدها بضاعة تعرضها أمام المستهلكين، فما تفكر به، وما تريد الوصول إليه يجعلها تختلف عن النساء الأخريات اللواتي غالبا ما يوظفن أجسادهن في سبيل استدراج الرجال الأغنياء وأصحاب السلطة والجاه، فـ"شرطها الوحيد لكي تكترى أن تنظر في عيني من يكتريها قبل أن تقبل بالرقص في ليلته، دائما تبحث عن شيء ما، أو تخشى من شيء مجهول، عندما لا تلمح في عيني من يريد أن يكتريها ما تخشاه، توافق على الرقص له ولمن معه، وتفرض شروطها المتلخصة في

---

[٣١٤] سناء الشعلان، **الذي سرق نجمة**، ص ٨١.

[٣١٥] نفس المصدر، ص ٨١.

[٣١٦] نفس المصدر، ص ٨٢.

مكان مغلق، وموسيقي محددة، وحلقة مفرغة لها لا يقترب منها بشر، دون طرح الأكل والشراب والألعاب في حضورها حتى ينتهي عرضها الراقص، فيوافق المكتري لها على شروطها طائعا بعد أن باتت شروطها معروفة عند الجميع، وحضورها لأي حفل يضفي عليه أبهة وبهرجة، ويصفه بالبذخ والذوق والخلوة لأهل الصفوة والنخبة وعلية القوم"[٣١٧].

والمفارقة في عمل هذه المرأة أنها تقضي أغلب أوقاتها بالعبادة والتهجد، فالرقص لم يخلعها من واقعها، فما أن تنقضي من الرقص حتى تعود إلى ممارسة طقوسها العبادية، فيذكر الراوي ذلك: "لا يعرف أحد شيئا عنها سوى بعض القصص الشائعة عن قيامها الليل صلاة وتعبدا في معظم ليالي السنة، واسضافتها لحلقات رقص الصوفية، وانقطاعها في أوقات فراغها لحفظ أسفار الصوفية والنساك والعباد والمجذوبين، وبعض قصصها عن الإحسان لمن تمر بهم من الأيتام والأرامل، وولعها الكبير بالحمام الزاجل، وتربيتها له في أسراب عملاقة في أبراج بيتها الفسيح الذي لا تنطفئ ناره، ولا تغلق أبواب تكيته، ورفضها للرقص في بيوت من اشتهروا بالظلم والفساد، ولو وزنوها بالذهب، وقايضوا رقصها بالفضة والعنبر والمسك"[٣١٨].

ومن هنا فإن ما تتمتع به هذه المرأة من صفات جليلة، وما تقوم به من ممارسات عبادية، وإغراق نفسها في عالم التصوف، جعلها مهيأة للقيام برسالة كبيرة تهدف إلى تطهير النفوس، وتخليصها من ذل الرغبات والشهوات فضلا عن تحطيم نسق الغلواء والجبروت في نفس الحاكم الطاغي، فمهمتها تحرير البلاد والعباد من تسلطه وجبروته وظلمه عبر كبح جماح نزوعه نحو الهيمنة والتسلط بشتى الوسائل. وقد أجبرت على الرقص أمامه بعد أن تعرضت لأنواع مختلفة من التهديد والتضييق، فهي "ما كانت لتقبل بأن ترقص في حفل ذلك الطاغية، لولا تلك التهديدات التي تلقتها مبطنة بلطف صفيق دبق من قائد حرسه الخاص، تعترف بأنها خافت منه، وأخذت هذه التهديدات على محمل الجد، فسيرته الملطخة بقصص القتل والخطف والتهذيب والفتك والاغتصاب والتزوير والتآمر والانقلابات والاغتيالات تجيز له أن يفتك براقصة جميلة إن استفزته ولو كانت شهيرة"[٣١٩].

وقد رضخت المرأة الراقصة للتهديدات على غير عادتها، فبعد أن كانت هي من تفرض شروطها على من ترقص أمامه، فقد تغير الأمر وأصبحت منقادة لمن يملك السلطة وباستطاعته البطش بمن يشاء، واستجابت

[٣١٧] المصدر السابق، ص ٨٢.

[٣١٨] المصدر السابق، ص ٨٢-٨٣.

[٣١٩] المصدر السابق، ص ٨٣.

لقدرها المحتوم، وانصاعت لأوامر الحاكم الطاغي، ورقصت في حضرته وأمام ناظريه، وهي تعيش حالة من التشتت والضياع والإرباك حتى أنها بدأت تفقد صلتها بربها بعد أن أخذ يدقق بجسدها الراقص، ويبحث فيه عما يشبع جنوحه الغريزي، إذ أخذ "يحدث بها طويلا، يتابعها بجوارحه جميعها، تشعر بأن عينيه تعرياها، ويديه تمتدان إليها دون استئذان، وصرخة ما تتولد في أعماقها، ينقطع ذلك الخيط الذي يربطها بالسماء، ترتبك حواسها، وتشعر بحاجة مفاجئة إلى أن تحصي خطوات قدميها خوفا من أن تسقط عن حواف حلبة الرقص .... وتتضخم ملامح الطاغية حتى تطغى على المشهد أمامها، وتتعاظم قسمات وجهه حتى تكاد تبتلعها ... ثم تعجز عن الحركة، فتتسمر مكانها متصلبة لا تقوى على حراك أو إيماءة، عيناه قبالتها متحديتان بسكون راكد، تبدأ الأرض تدور بها، وفجأة تتكوم على الأرض مغشيا عليها"[٣٢٠].

الخشية من الله سبحانه وتعالى، وتأنيب الضمير، والخوف من الحاكم الطاغي الذي أفقد عليها حياتها بنظراته الشهوانية قد أصابها بالضعف والاضطراب. وتجلى ذلك حينما غشاها الدوار، وأدى بها إلى السقوط على الأرض فقد شعرت أنها فقدت عفتها وحشمتها، وأصبحت مجرد لعبة بيد الحاكم، لا تملك من نفسها شيئا لكن لم تخضع أمام الطاغية ولم تركع له. وفي المقابل فإن ما حل بها قد حل بالحاكم؛ فهو الآخر قد أصابه شيء من الضعف، جعله يهوي إلى الأرض، لتتهشم قوته وتنهال، ويبدو ضعفه أمام حركات راقصة، وتضيق به الدنيا حتى يصل إلى حد العجز والاستسلام للقدر. يذكر الراوي ما حدث به بعد ذلك: "لا طبيب يعرف له علة، ولا دواء يعرف له شفاء، ولا صديق يملك له دعاء مستجابا شافيا، وهي تنتظر دون توقف أمرا لا يكون"[٣٢١].

ولما يئس الحاكم من العودة إلى ممارسة مهماته ومسؤولياته بصورة طبيعية، وبعد أن خذلته وسائل النجاة المختلفة لم يجد غير الراقصة تعيد له الأمل، وتنعش آماله بالحياة، وعندئذ تم جلب الراقصة إليه، لعلها تخرجه من حالته المتأزمة عبر قيامها بالرقص أمامه، فعملت على أن "تقترب أكثر من الطاغية، تبتسم له لأول مرة في حياتها، تقترب خطوة أخيرة قبل الالتصاق بجسده، تخلع ثوبها الطويل الضيق الذي يستر جسدها بشكل كامل، تقف أمامه عارية تماما إلا من نظراته وارتعاشاتها الأرضية لا السماوية، لا ترقص له كما أمرت أن تفعل، بل ... ويغيبان عن الوجود"[٣٢٢].

---

[٣٢٠] المصدر السابق، ص ٨٥.

[٣٢١] المصدر السابق، ص ٨٦.

[٣٢٢] المصدر السابق، ص ٨٧.

وقد انتهى الأمر إلى أن يكون الجسد الأنثوي الراقص بلسما لجراح الحاكم، فيعيد إليه نشاطه وحيويته، وهي بذلك قد عملت على ترويضه عبر استخدام أسلحتها التي لا يمكن مقاومتها أو إخفاء تأثيرها. وهنا مفارقة أخرى في هذا النص فبعد أن كانت تلك المرأة منقطعة إلى ربها، تمارس عملها فقط، ولا تخضع للرجال، تغير الحال هنا، واستسلمت للآخر، مثلما تفعل الراقصات اللواتي مارسن مهنة الرقص.

المبحث الثاني

زواج المرأة

يعد الزواج من القضايا الأساسية التي لا يمكن إغفالها في الحياة الاجتماعية، فهو من أهم حقوق المرأة، حينما تمنح الحرية الكاملة في اختيار الزوج المناسب وما يتبع الزواج من تكوين أسرة سعيدة ومتماسكة. وهذا ينعكس إيجابا على المجتمع وتقدمه وتطوره، ويعتمد استقراره على حسن العلاقة بين الزوجين، فإذا كانت قائمة على المودة والرحمة والاحترام والتقدير والتسامح والتفاهم، ونبذ الخلافات، أدى ذلك إلى استقرار الأسرة. أما إذا كانت العلاقة الزوجية تفتقر إلى هذه القيم الإنسانية فإن ذلك يؤدي إلى تفكك الأسرة، ومن ثم تفكيك المجتمع[٣٢٣].

ولكن المرأة لم تتخلص من إفرازات التنشئة الخاطئة، إذا "قامت نظرة المرأة إلى ذاتها، وتصورها لوظيفتها ورؤيتها لطبيعة العلاقة الزوجية، على اعتقاد مقاده أن الزوجة مسئولة عن إسعاد الرجل وإمتاعه بجسد غض متنى به، وبما لذ وطاب من أصناف الأطعمة، فذاك هو دورها في الحياة، وعملت الأم على ترسيخ مسلمة في ذهن الفتاة مفادها أن الزواج أعظم مشروع في حياتها، يضاهي التفوق العلمي أو المهني الذي كان يحلم به اليافع، ونتيجة لذلك اعتقدت البنت جازمة أنها لا يمكن أن تكتسب قيمة اجتماعية إلا من خلال حسن سياسة البيت"[٣٢٤]، وقد زخرت المادة المدروسة بقضايا الزواج في عالمها السردي، وأعطت صورا متعددة لحالات زواج كانت المرأة عنصرا فاعلا في القيام بمتطلبات العلاقة الزوجية على الرغم من الصعوبات التي كانت تواجه المرأة العربية.

وفي المجموعة القصصية "تقاسيم الفلسطيني" تجلت قضية أخرى أظهرت صلابة المرأة الفلسطينية، وقد أظهرت مدى وفائها وحبها لمن تحب حتى أصبح الحب والزوج قضية وطنية ترتبط بهموم الوطن المعذب، ولم تكن قضية شخصية بين عاشق ومعشوقته، فالمرأة الفلسطينية تحمل بداخلها حب عشيقها وحب الوطن فهما عنصران متلازمان لم ينفصلا عن بعض، فالزواج في نظرها هو الوطن، والوطن الحر المستقل يوفر لها أجواء السعادة الزوجية. وفي قصة "خطبة" أظهرت المرأة إصرارا كبيرا على عدم القبول بالزواج من أي

---

[٣٢٣] حاتم يونس محمود، "الخلافات الزوجية وانعكاساتها على الأسرة دراسة ميدانية في مدينة الموصل"، **مجلة دراسات موصلية**، العدد ٣٠ (آب ٢٠١٠م)، ص ١١٦.

[٣٢٤] آمال قرامي، **المرجع السابق**، ص ٢٧١.

شخص يتقدم لخطبتها، متذرعة بحجج وأعذار مختلفة، وفاء وحبا لزوجها الشديد: "كل عريس يتقدم لها تعيبه بعيب ما، ثم ترفضه، وتغلق باب غرفتها عليها باكية لأيام طويلة، ثم تخرج بعد ذلك، وتعلن لهم أنها لا تريد الزواج بعد استشهاد خطيبها (حسان)، ثم تلين من جديد تحت ضغط أسرتها، وترى العريس الجديد الذي تقدم لها، ومن جديد تعيبه، ثم ترفضه، ثم تهرع إلى غرفتها تبكي لأيام موصولة"[٣٢٥].

يتضح من المقتبس أعلاه أن المرأة كانت تعيش صراعا شديدا، وتعارضا كبيرا بين موقفها الرافض للزواج وبين رغبات أسرتها لكنها تنتصر لموقفها، وتعلن صمودها وثباتها على رأيها بغض النظر عن مدى الضرر الذي سيلحق بها إن هي أصرت على امتناعها عن الزواج، متخذة من البكاء سلاحا لمقاومة الضغوط التي تتعرض لها، فهو ليس ضعفا أو انعزالا، بل يعد تمردا واستنكارا لمن يحاول أن يفرض عليها شكل حياتها الزوجية؛ لأنها لم تجد من يكون بديلا لزوجها الشهيد، بما ينم عن وفائها له، "تريد العريس بطول "حسان" وصوته ورائحته وقسماته ومشيته وطباعه وشجاعته وابتسامته وحبه لفلسطين وعشقه لعينيها الناعستين. لا رجل يمكن أن يحمل صفات (حسان)، وصوته ورائحته وقسماته ومشيته وطباعه وشجاعته وابتسامته وحبه لفلسطين وعشقه لعينيها الناعستين لا رجل يمكن أن يحمل صفات "حسان"، سنين مضت على بحثها عنه في وجوه الرجال دون أن تعثر عليه، وبدأت تلقب بالعانس النكدة لطول حزنها عليه"[٣٢٦].

إن هيئة زوجها الشديد وصفاته وطلعته وطباعه ومنظره وعشقه الشديد لفلسطين قد أسرها وهيمن على تفكيرها، ولم تعد قادرة على الخروج من إساره، فقد استولى على قلبها وعقلها، لذلك أصبحت حبيسة الماضية، الماضي الجميل البهيج، الذي يعج بالقيم الإنسانية والوطنية، وتختم القاصة في نهاية القصة إصرار المرأة على موقفها، فتعلن أنها لن تتزوج أبدا: "وتقول وهي تتكوم أرضا أمام صور "حسان" المعلقة فيصدر البيت: أبي أنا لن أتزوج غير "حسان"، وهو لن يعود لأتزوجه"[٣٢٧].

وفي قصة "لهاث" نجد أن الرغبة في الحب والزواج تتحدى الظروف القاسية والقاهرة التي يعيش في ظلها الفلسطينيون، فكل أشكال القمع والترهيب والتخويف والإذلال والتجويع والتهجير لم تمنع أحد الفلسطينيين من الزواج من ابنة خاله "سمر"، فأعلنا حالة التحدي والإصرار بهدف التغلب على الأزمات التي سببتها السياسة الجائرة للعدوان الإسرائيلي، وقد تجلى ذلك بوضوح في النص الآتي: "الحالمون بالزواج في غزة جميعهم

---

[٣٢٥] سناء الشعلان، **تقاسيم الفلسطيني**، ص ٣٦.

[٣٢٦] نفس المصدر، ص ٣٦-٣٧.

[٣٢٧] نفس المصدر، ص ٣٧.

أكانوا نساء أم رجالا يلهثون قسرا في مساحة صغيرة وأحلام كبيرة غدت ضيقة إلى حد اعتصارهم، هو مثلهم يعيش عذابا قاهرا موصولا اسمه توفير طلبات الزواج، ما عاد يحلم ببيت جميل وأثاث فاره وعرس بهيج وحفلة حاشدة، كل ما يبغيه الآن غرفة تجمعه بـ"سمر" حبيبته وابنة خاله، يريد سقفا يظلهم ويسير فرح وملابس ساترة وحضور مشاركين وفق ما تيسر من فتات الأحزان والانتظار المتسرب من قصف العدو الصهيوني"[٣٢٨].

المشهد القصصي السابق يعطي صورة واضحة عن مدى الألم الذي يعتصر قلوب أبناء المجتمع الفلسطيني، ويكشف عن شظف العيش، وضعف الإمكانات، فالشعب محروم من مقومات الحياة، والعيش الكريم، فالمعوقات كثيرة ومتنوعة؛ الأمر الذي يجعل من الزواج أمرا يصعب تحقيقه، وليس في متناول أغلب الشباب الفلسطيني إلا أن حبهم لبلدهم، وتشبثهم بالأمل والتفاؤل يجعل الزواج قضية مصيرية لا يمكن إهمالها أو غض الطرف عنها، فالتمسك بالحياة، ورفض جميع ألوان اليأس والانكفاء والتشاؤم قد دفعا ذلك الرجل الفلسطيني للتمسك بالزواج بمحبوبته، مهما كانت الظروف: "اللهاث يسكن روحه، ويبتلعه، ويجعل منه لعبته في عالم الوهم، لا غرفة موجودة للاستئجار، لا سلع موجودة للشراء في الأسواق المحاصرة منذ سنوات، ولا نقود لتيسير الأمور، ولا عمل متوفر، ولا مدعوين إلى عرس والدروب المغلقة المميتة"[٣٢٩].

إن حالة البؤس والفقر لم تقف عائقا أمام طموحاته ورغبته في الزواج، لذلك تعالى مع محبوبته على الجراح والصعاب والمعاناة، وبدأ بالبحث عن سبيل للخلاص من المأساة المزمنة التي ترافقهم: "يفاجئ "سمر" وهي تجلس أمام بيتها المتهاوي، وتظل على بحر غزة تطعمه حزنها، يقترب منها، ويهمس في أذنها التي تتوارى خلف جديلتها الكثاء: أتتزوجينني؟ تبتسم له، وتهتف بسرور دون تردد: نعم، أتزوجك.

— لكن لا غرفة أستطيع أن أؤمنها لزواجها.

— نتزوج هنا على ساحل البحر، ونعيش بين صخوره"[٣٣٠].

ولا شيء يقف عائقا أمام الفلسطيني في مواصلة الحياة، وإعلان حبه، والتكيف مع مختلف الأوضاع والظروف، فما يهم بطلي القصة هو الحب بوصفه المصدر الحقيقي للسعادة والطاقة اللتين يستمدان منهما

[٣٢٨] المصدر السابق، ص ٥٥.

[٣٢٩] المصدر السابق، ص ٥٥.

[٣٣٠] المصدر السابق، ص ٥٦.

القدرة على مقاومة الواقع المؤلم، وتأسيس واقع جديد تعيش فيه الأسرة بسلام وصفاء، حينما يكون المدخل إلى الزواج.

وفي موضع قصصي آخر عملت القاصة في قصة "صومعة العشق" على بيان أن العشق هو أساس الحياة الزوجية، فعبر الحب تذوب العراقيل والقيود التي أنتجتها الأعراف والتقاليد الاجتماعية، وتختفي الفوارق الطبقية والمراكز الاجتماعية والعمر وغيرها، ولم يعد للجمال الجسدي الأنثوي مكانا. وهنا تصف لنا القاصة الظروف التي أسهمت في اكتمال وتهيئة الأجواء اللازمة للزواج بين الرجل العسكري والمرأة السمراء النحيفة إذ تقول: "والده كان رجل حرب، لم يعرف من الدنيا إلا الأراضي اليباب، والجنود المعذبين بالموت، وبالقتل، وبالأوامر الصارمة، وبالإجازات القصيرة، ولكنه كان عاشقا من الدرجة الأولى، وكان يجيد أدوار الفرسان العاشقين، رأى تلك السمراء النحيفة ذات الملامح البارزة وعظام الذقن الحادة، سليلة أرض الجبابرة في صبيحة يوم صيفي قائض، كانت تكبره بسنوات من العمر والصرامة، وتشبهه بالعطش إلى ذلك المسمى بالحب، يومها أشاحت بوجهها عنه، ثم أغمضت عينيها كي لا تتسرب ملامحه المثيرة المغمورة برجولة جارفة من ذاكرة نظراتها"[٣٣١].

يبدو هنا أنهما مختلفان في كل شيء إلا أنهما متفقان في شيء واحد، وهو الحب، وقد نجح في جمعهما معا في بيت واحد، على الرغم من أن الرجل بطبيعته العسكرية ذات الغلظة والشدة والقسوة وحياته الجافة التي تخلو من الرحمة والشفقة والتعامل برأفة مع الآخرين. وكذلك الزوجة لم تكن الزوجة المثالية التي شاعت صورتها في التراث وفي الواقع؛ المرأة الجميلة ذات الجسد المتناسق الممتلئ التي تثير الرجل وتحفز مكنوناته الغريزية إلا أنها هنا كانت مخالفة لصورة الحبيبة المثيرة، إذا كانت كبيرة في عمرها، وتفتقد لشروط الجمال الأنثوي "السمراء النحيفة" ذات الملامح البارزة، عظام الذقن الحادة، لكن الحب غيب كل هذه الأشياء، ولم يعد ينظر كل من الرجل والمرأة إلى بعضهما بالعين، والتدقيق بالملامح والصفات، واصطياد العيوب، ومواطن القبح، بل كان النظر عندهما عبر القلب الذي أخفى العيوب وأظهر الجمال الداخلي، وقد قادهما الحب إلى الزواج: "وفي المساء جاء وخطبها من والدها، فوافقت على مضض، وأجادت إخفاء فرحة عارمة أصابت حواسها بإعصار، واستغرقت في بكاء عميق تنزي إلى مسمعيه، فأصابه بشهوة جارفة، إذ كان يعشق النساء الرافضات المتمنعات ومن تزاوج العشق والصرامة ولد هو فكان وليد العشق، فعاش أسير صومعته حيث

[٣٣١] سناء الشعلان، **ناسك الصومعة**، ص ١٠.

الاحتراق بشهوة التمني"[٣٣٢]. وبذلك فإن المرأة في القصة السابقة وإن لم تكن تمتلك مقومات الإغراء والإثارة الجسدية، إلا أنها استطاعت بما تكتنزه من شحنات كبيرة من الحب، أن تروض ذلك الرجل الفض الغليظ، وأن تخفف من غلواء تسلطه وتجبره، بفعل موقعه العسكري، وما عكسه ذلك على تصرفاته وقراراته، إذ جعلت الحب هو صاحب السلطة والقوة، الأمر الذي دفع الرجل إلى الإذعان لتلك السلطة إيمانا منها أن الحب هو من يصنع الحياة الزوجية السعيدة، وتكوين أسرة تنعم بالسعادة والسرور.

[٣٣٢] المصدر السابق، ص ١٠-١١.

الفصل الثاني

القضايا النضالية

القضايا النضالية

لقد كانت القضية الفلسطينية حاضرة في وجدان الكثير من المبدعين العرب، فأخذت حيزا كبيرا من اهتماماتهم، وتجلت بصورها المختلفة في نصوصهم الإبداعية، إذ صوروا المواضيع المشرقة التي تشير إلى بسالة الشعب الفلسطيني وشجاعته في مقاومة العدوان الصهيوني المستمر. وفي المقابل لم يغفلوا الحديث عن إبراز الأوجاع والأحزان التي نتجت عن سياسات الاحتلال التدميرية، وأفعاله القمعية فضلا عن الإشارة إلى تخاذل الحكام وأصحاب القرار في الأقطار العربية، وعدم جديتهم بمناصرة القضية الفلسطينية.

والقاصة سناء شعلان كانت من بين أبرز الكتاب العرب الذين اهتموا بتناول واقع الشعب الفلسطيني في ظل الاحتلال الإسرائيلي، وبما أنها تنحدر من أصول فلسطينية، وهي امرأة عربية ترأست العديد من المنظمات الإنسانية، ومنظمات الإغاثة الدولية، فقد جعلت من النص الإبداعي بإجراءاته السردية عدسة تصويرية لتوثيق جوانب مختلفة مما يتعرض له الشعب الفلسطيني، فرسمت صورا لأحداث واقعية غلفتها بلغة فنية ذات جودة عالية في أغلب الأحايين[٣٣٣] من أجل إيصال رسائل محددة الأهداف والغايات تحمل في طياتها معاناة الشعب الفلسطيني المضطهد.

وقد منحت المرأة الفلسطينية المناضلة مساحة كبيرة في أعمال الكاتبة السردية، فاستوحت الكثير من الوقائع والأحداث التي تشير إلى صلابة المرأة الفلسطينية وثباتها على موقفها الوطني الرافض للوجود الصهيوني على أرض فلسطين، باذلة الغالي والنفيس في سبيل تحرير الوطن المسلوب، فهي لم تقف عاجزة عن أداء دورها، بل عملت على تحدي كل آلات البطش والقمع التي مارسها الاحتلال الإسرائيلي، فوقفت إلى جانب الرجل في مواجهة القتل والتهجير وسياسة الإلغاء، التي اتبعها الصهاينة تجاه الشعب الفلسطيني، ولم يثنها عن عزمها اعتقال زوجها أو ولدها أو أخيها أو أبيها، بل ازدادت عزما وإصرارا على الثبات والمقاومة والفداء، فسجلت حضورا لافتا في الدفاع عن قضيتها عبر ممارسات وأفعال مختلفة، سواء بالإفصاح عن آرائها ومواقفها الرافضة للمحتل، أو عبر إيمانها بالعمل الجهادي، وتبني طريق المقاومة ومجابهة ممارسات العدو الإسرائيلي العدائية.

وقد أوردت القاصة صورا متعددة من نضال المرأة الفلسطينية في بعض قصصها، سنختار بعضا منها. ومن ذلك ما جاء في قصة "حتى النصر" في المجموعة القصصية "ناسك الصومعة" فقد تجلت المرأة الفلسطينية

---

[٣٣٣] سناء جابر العبودي، **صورة الآخر في قصص سناء الشعلان دراسة تحليلية** (سوريا: دار أمل الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٨م)، ص ٢٣٣-٢٣٤.

المناضلة "زهية" التي تحدت ظروفها القاهرة لأداء دورها النضالي، وعلى الرغم من كبر سنها وعماها، إلا أنها تخطت الصعاب، وأعلنت عن موقفها من الاحتلال الإسرائيلي الغاصب، ورفضها لكل أعماله الوحشية الظالمة، "على حين غرة داهمهم عدو أسود أعد العدة لكل شيء، على أنه مهد طريقا جبلية وعرة سراكي ينسربوا عبرها إلى رؤوس الجبال، وأرض ما وراء البحر كي تخلو له الأرض، إذ كان لا وقت عنده ولا مزاج لجمع الجثث، وحفر القبور الجماعية، وإنهاك أجسادهم المدجنة بالأسلحة والخمر وعرق البغايا بمطاردة السكان جماعات وآحادا، واغتصاب النساء وبقر بطون الحوامل"[٣٣٤].

ولما فر أغلب الناس من الموت الذي داهمهم فجأة آثرت "زهية" البقاء، وعدم الانصياع لما يريده الأعداء، فتذكر الراوية إصرارها وتحديها: "في ساعات سوداء خلت الأرضت من أهلها أولي القسمات الطيبة، والأيدي التي حفر فيها العمل المضني في الحقل خطوطا لا تندمل، وأقفرت البيوت الطيبة من أهلها إلا من زهية العمياء، فقد بقيت في بيتها متحدية بعينيها المظلمتين منذ أزل، وبثوبها ذي الرقع الكثيرة وبسنينها السبعين الشقية عدوا مسلحا بكل شيء إلا بالحق"[٣٣٥].

وهنا أظهرت "زهية" صلابة وشدة في مقاومة المحتل، إذ لم يكن الفقر والعمى عائقا أمامها في تأدية رسالتها الجهادية، والدفاع عن حقها في العيش بأمن وكرامة، في وطن خال من الاحتلال والظلم والقمع، ولم تكتف بالكلام لردع المحتل، بل اتخذت من الحجارة سلاحا لضرب غطرسة العدو، وتجبره، وطغيانه، فقد "أصلت زهية العدو كيفما اتفق بحجارتها مدافعة عن بيتها، رافضة أن يدنس بقدمي عدو محتل"[٣٣٦].

وبكفاح زهية أصبح بيتها الصغير وطنها الكبير، فدفاعها عن بيتها هو دفاعها عن وطنها، فلم تستسلم ولم تتخاذل بل كانت تمتلك من القوة والشجاعة الشيء الكثير؛ لأنها سلكت سبيل الكفاح المسلح عبر استخدام الحجارة التي لا تمتلك شيئا سواها، فتجاوزت بذلك حالة الاستنكار والشجب، إذ لم يعد لهما جدوى في ظل الممارسات الهمجية التي قام بها المحتل، معللة ذلك إلى دفاعها عن وجودها ووطنها، وإحساسها الكبير بضرورة نيل الحرية، والتخلص من عبودية العدو الصهيوني الذي أجبرته "زهية" على عدم احتلال بيتها، ففي بعض الحالات يتحول الضعف لدى الإنسان إلى قوة، تجعله يستجيب برد فعل حيوي

---

[٣٣٤] سناء الشعلان، **ناسك الصومعة**، ص ١١٥.

[٣٣٥] نفس المصدر، ١١٥-١١٦.

[٣٣٦] نفس المصدر، ص ١١٦.

نحو تعبئة طاقاته جميعها، وكشفها في دفاع مستميت عن وجوده[٣٣٧]، وذلك ما فعلته "زهية" في سبيل النصر والإغاثة.

وتقول الراوية في مقطع قصصي آخر: "احتل العدو كل الأرض خلا بيت زهية المكافحة الوحيدة دون أرضها، وطفقت توطن النفس على الصبر، وتؤملها بالثبات حتى النصر في انتظار عودة الأبناء"[٣٣٨]، فالكفاح المسلح، وتوطين النفس على الصبر، وحثها على الثبات والصمود في سبيل تحقيق النصر، وطرد المحتل، وعودة النازحين والأسرى والمعتقلين، كل ذلك يمثل مواقف سياسية تبنتها المرأة الفلسطينية "زهية"، ودافعت عنها بقوة وبسالة، بصفتها أنموذجا للمرأة الفلسطينية، إذ لم يقتصر الهم الوطني على الرجال، بل شاركت الرجل في البوح بمواقفها السياسية، والدفاع عن القضايا الوطنية.

أما مجموعتها القصصية "تقاسيم الفلسطيني" فقد كانت حافلة بالقصص التي أظهرت دور المرأة الفلسطينية في مقاومة المحتل الإسرائيلي، وقد تحملت الكثير من الألم والمعاناة، وتجاوزت المصاعب والعراقيل في سبيل أن يحيا الوطن، ويعلو شأنه بين الأمم، فكانت أحداث الحياة اليومية التي عاشها الشعب الفلسطيني في ظل الاحتلال، مادة أساسية وبؤرة أساسية في البناء السردي. ومن ذلك قصة "اغتصاب" التي أظهرت فيها المرأة الفلسطينية بسالة وشجاعة فائقة بعدما وأد المحتلون الصهاينة أحلامها وأمانيها بالزواج ممن تحب، وأن تعيش معه في بيت واحد، شأنها في ذلك شأن أغلب الفتيات في البلدان الأخرى، فجاء على لسان الراوي: "الأحلام في فلسطين محرمة على أهلها بقرار صهيوني عرفي، ولكنها على الرغم من ذلك تغازل حلمها الأنثوي ليل نهار، هي تصدق حلمها، وتنتظر أن تلبس الثوب الأبيض، وأن تتزوج من أسمر طويل وسيم، وأن تلصق العجين والورد على باب بيتها عندما تدخله عروسا مجللة بعباءة جدها المقصبة لتجعل وجودها في بيتها أبديا وولودا وهنيئا، فتمطرها زغاريد النسوة مشفوعة بالملح المنثور في عيون الحاسدين"[٣٣٩].

يشير المقطع السردي بأعلاه إلى حب المرأة الفلسطينية للحياة، رغم عمليات القتل والقمع والدمار التي يمارسها الصهاينة، لذلك فإن الحب والزواج وتكوين أسرة يمثل صفعة قوية بوجه المحتل الذي أغرق الشعب الفلسطيني بسيول من الحزن والألم، في محاولة لفرض إرادته بقوة السلاح، وتمرير مؤامراته الدنيئة، وبذلك فإن "الحضور الإنساني لقضية فلسطين حرك المشاعر الإنسانية والوجدانية لدى القاصة، وكان الحضور حافزا

---

[٣٣٧] الدكتور مصطفى حجازي، **المرجع السابق**، ص ٥٥.

[٣٣٨] سناء الشعلان، **ناسك الصومعة**، ص ١١٦.

[٣٣٩] سناء الشعلان، **تقاسيم الفلسطيني**، ص ١٣.

ودافعا لديها لرصد ملامح صورة الآخر الصهيوني، التي كانت تتغير بتغير الأحداث، فملامح صورة الآخر غير الإنساني تتكرر"[٣٤٠].

وفي المقابل فإن ردة فعل المرأة الفلسطينية أيضا تتغير، وتكون على قدر الاعتداء، وقد صورت القاصة مشهدا قصصيا يحكي شجاعة المرأة حينما تتعرض للضيم والقمع كما تقول: "في دفاع عن أبيها الذي كان يقصد أرضه عندما هاجمه المستدمرون الصهاينة، تحولت إلى أسيرة في المعتقل الصهيوني، بعد أن شجت رأس أحدهم بحجرها بعد أن لطم والدها العجوز الوقور"[٣٤١]. وفي المعتقل فقدت الكثير من أحلامها، وتبددت آمالها، بعدما تعرضت للاغتصاب على يد الجنود الصهاينة، وهم بذلك سلبوا أعز شيء لديها، شرفها وعذريتها التي كانت تمني النفس بتقديمها هدية لزوجها المنتظر، والهدف من ذلك إذلالها وإخضاعها لإرادتهم الشريرة لتكون عبرة لغيرها من النساء الفلسطينيات، وهو ما أكده الراوي بقوله: "ليست نادمة على ما فعلت، ولكنها حزينة على هديتها لزوج المستقبل التي هدرها الجنود في المعتقل انتقاما منها، لقد اغتصبوها مرارا وتكرارا كي يكسروا كبريائها، ويحرقوا اعتزازها بنفسها، وينتقموا منها أبشع انتقام، لكنهم زادوها نورا فوق نور، إلا أنها أيقنت أن أحلام الزوج والعرس وثوب الزفاف قد تبخرت للأبد على صفيح مستعر اسمه اغتصابها"[٣٤٢].

وقد أثبتت أحداث القصة أن الصهاينة كانوا واهمين في إذلال الشعب الفلسطيني بممارساتهم الدنيئة، فانتهاك حرمة الشرف عبر فعل الاغتصاب، قد أيقظ الهمم، وأشعل جذوة التحدي والرفض لدى الفلسطينيين؛ لأن عملية الاغتصاب تمت في المعتقل وتحت تهديد السلاح "خرجت من المعتقل دون حلمها وعذريتها، لكنها وجدت في انتظارها سبعة شبان فلسطينيين قد قدوا من الريحان والنعناع يتنافسون على الزواج بها، ظفرا بشرفها الذي لم ينتقص باغتصاب لئيم في معتقل صهيوني"[٣٤٣].

وفي قصة "رجال" قدمت القاصة جانبا من جوانب كفاح إحدى النساء الفلسطينيات، فتذكر القاصة أنها "كانت تسب الجندي الصهيوني، وتضربه بنعلها عندما حاول منعها من الدخول إلى قريتها، نهرها الجندي الصهيوني بلغة عربية، ودفعها إلى الخلف بقوة، فكادت تقع أرضا، أدركت من سحنته ولكنته أنه خائن عربي

---

[٣٤٠] سناء جابر العبودي، **المرجع السابق**، ص ٢٣٧.

[٣٤١] سناء الشعلان، **تقاسيم الفلسطيني**، ص ١٣.

[٣٤٢] نفس المصدر، ص ١٣.

[٣٤٣] نفس المصدر، ص ١٤.

مجند في صفوف العدو، أمرها متنمرا أن تقف بعيدا عن الجنود الرجال إلى حين تفتيشها من قبل مجندة صهيونية"[٣٤٤]، فهي لم تقف عاجزة أمام ما يقوم به الصهاينة من أعمال إجرامية، ولم تتراجع وتذعن لممارساتهم التعسفية، بل قامت بدورها البطولي في الدفاع عن كرامتها وشرفها، لذلك لم تكن ترى في المحتلين رجالا، نظرا لما يقومون به من ممارسات عدوانية دنيئة، لا تمت إلى الإنسانية بصلة، فسلكت سبيل السخرية والاستهزاء في جوابها على من وصف الجنود الصهاينة بالرجال، فقد "ابتسمت المرأة الفلسطينية باستهزاء، وحدقت في عينيه متحدية، وسألته بتقزز أين هم الرجال؟"[٣٤٥].

أما قصة "زرع" فقد أثبت مدى قدرة المرأة الفلسطينية على الصمود والثبات على الحق، ورفض الذل والخنوع، فهبت لمواصلة الحياة، والقيام بأعمالها اليومية، إذ لم يتسرب اليأس إلى نفسها، فتناست جراحها ومعاناتها، فينقل الراوي أن الجنود الإسرائيليين "جرفوا أرضها بعد حرق محصولها لهذا العام، وأطلقوا الخنازير البرية على مزارع العنب، وفي آخر المطاف جففوا بئر المياه التي تسقي زرعها منها، لقد استغلوا أنها فلسطينية وحيدة بينهم، وهم من يسيطرون على المزارع المحيطة بمزرعتها بعد أن صادروها من أهلها الفلسطينيين، وهي وحدها بين أولئك الوحوش، قتلوا أبناءها تباعا على تراب هذه المزارع وهم يزرعونها"[٣٤٦].

ورغم كل ذلك قامت المرأة الفلسطينية بدورها البطولي، وعملت على إحياء ما دمره المحتلون في بلادها، رافضة منطق إلغاء الحياة، وتدمير الأمل فيها، وهذا الأمر جاء نابعا من اعتزازها بوطنها، وإيمانها الشديد بضاياه العادلة، لا سيما ما يتعلق بحريته واستقلاله، غير مبالية بقلة الناصر والمعين، وضعف الإمكانات، فتذكر القصة: "الآن غدت وحيدة تماما، ولكنها ظلت قوية، زرعت من جديد السنابل التي خلعوها من أرضها، ونفخت فيها، فتفتقت جميها عن فلسطينيين زراع هبوا جميعهم لنجدتها وعونها وزراعة أرضها من جديد"[٣٤٧].

وبما أن لشجرة الزيتون منزلة كبيرة في نفوس الشعب الفلسطيني، فقد تكرر ذكرها في مواقف النضال والاعتزاز بالمكان والقضية، فهي "رمز للهوية الفلسطينية، وهي بتجذرها وعمرها المديد، وشخوصها، تشكل صفعة قوية للادعاءات الصهيونية الزائفة، وحيث تفند المقولات الصهيونية من نمط "فلسطين أرض بلا

[٣٤٤] المصدر السابق، ص ٣١.

[٣٤٥] المصدر السابق، ص ٣١.

[٣٤٦] المصدر السابق، ص ٣٧.

[٣٤٧] المصدر السابق، ص ٣٧.

شعب"، وهكذا راحت جرافات الحقد الصهيوني تعمل على تجريف الأراضي الزراعية، واجتثات شجرة الزيتون"[٣٤٨]. ولذلك مزجت القاصة الحب الإنساني بحب الأرض وأشجار الزيتون في قصة العشق الفلسطيني، إذ لم ينفصل حب المرأة الفلسطينية لمحبوبها عن حبها لشجرة الزيتون التي تمثل كيانها ووجودها وعمقها الحضاري والتاريخي، وامتدادها في أرضها، وارتباطها بوطنها وأبناء شعبها. ومن تجليات ذلك ما ورد في قصة "حب" التي تذكر القاصة فيها أنه "يحبها وتحبه، وكلاهما يحبان فلسطين من صغرهما علقا الحب المشتعل، فتعاهدا على أن يلازم أحدهما الآخر طوال الحياة، وأن يرحلا عنها سويا، حفرا عهدهما على جذع شجرة الزيتون الذي تملكه عائلته منذ قرون كثيرة ما عاد يحصيها عددا"[٣٤٩].

وهنا عملت القاصة على إقحام أشجار الزيتون في بؤرة العشق الفلسطيني، فكانت شاهدا على الحب الكوني الممتد لآلاف السنني بين المرأة والرجل، في محاولة لإعلاء صوت السلام والحياة، وتغليبه على صوت الموت والدمار الذي يمارسه الصهاينة في أرض فلسطين، فجاءت الكتابة على جذع شجرة الزيتون ضمن حالة تواصلية بين عشيقين آمنا بوطنهما، وتطلعاته المشروعة، لعلمهما بما ترمز له شجرة الزيتون في بث دلالات السلام والمحبة، ووهب الحياة، لذلك شاركت تلك الشجرة الفلسطينيين المعاناة والظلم والعدوان، "فحالة أشجار الزيتون لا تختلف عن حالة أصحابها الفلسطينيين، فهي تعد من مقومات وجود الإنسان الفلسطيني على أرضه، فهذه حرب ضد الوجود والصمود الفلسطيني، والصهاينة يشكلون أداة مخصصة لإبادة كل ما يخص السلام والخضرة والعطاء، التي تمثلها تلك الشجرة"[٣٥٠].

إن الصراع الفلسطيني الإسرائيلي قد تجسد عبر العشق والأشجار في مقابل القتل والتجريف والاعتقال والاغتيال. "كان المخطط أن يتزوجها في الخريف المقبل، ولكن العدو صادر أرضهما قبل أن يأتي الخريف المنتظر، وجرفها بعد أن اقتلع زيتونها، ثم ألقمها أطنانا كثيرة من الإسمنت لتكون أساسات لمستدمرات صهيونية تأوي الغرباء الغاضبين"[٣٥١]، وحينما حوصر حبهما، ووجدا ألا سبيل له للعيش والاستمرار في ظل آلة الدمار والقتل الصهيونية، ولكي يكون مصيرهما معا، تبادر إلى ذهنيهما أن يغادرا الحياة سوية، فاختارا نهايتهما بقناعة تامة، فالعشق يمكن أن يأتي ثماره في الآخر، وعندئذ "قررا في لحظة عشق كاملة أن يمضيا في

---

[٣٤٨] مصطفى قاعود، "**حرب الزيتون في الأراضي الفلسطينية المحتلة**".

[٣٤٩] سناء الشعلان، **تقاسيم الفلسطيني**، ص ٥٢-٥٣.

[٣٥٠] تمارة رياض ذنون محمد، **شعرية الوصف في قصص سناء الشعلان**، (عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠١٩م)، ص ١٦٦.

[٣٥١] سناء الشعلان، **تقاسيم الفلسطيني**، ص ٥٣.

درب عشقهما الأكبر، بحزامين ناسفين فجرا البيوت المستدمرة الوليدة فوق أرضهما بمن فيها من الغرباء، وتناثرا هباء مقدسا فوق أرضهما التي ماتا عشقا لها"[٣٥٢].

ولم يكتف العدو الإسرائيلي بالتهجير والاعتقال وتجريف البساتين والمزارع، ومصادرة الأراضي وتهديم البيوت، بل عمل على إقامة جدار عنصري عازل، في محاولة منه لتمزيق أوصال أرض فلسطين، والتقليل من مقاومة الشعب الفلسطيني، فكان الجدار شاهدا على الرغبة الدموية المتأصلة التي ترمي إلى محو الشعب الفلسطيني وإنهاء مقاومته إلا أن أبناء الشعب الفلسطيني لم يقفوا مكتوفي الأيدي، ولم يرضخوا لمخططات الصهاينة عبر بنائهم الجدار الفاصل، وإنما كانت لهم مواقف كثيرة، عارضوا فيها تشييد الجدار الفاصل، وعملوا على تهديمه على الرغام من القمع الذي تعرضوا له.

وكان للمرأة الفلسطينية موقف حازم تجاه ذاك الجدار الفاصل، وما نتج عنه من تقسيم الأراضي الزراعية والقرى. وقد تجسد ذلك في قصة "المقبرة" التي تحكي معاناة "الحاجة رشدية"، وموقفها من ممارسات المحتل، فهي لا تستطيع "أن تحصي أحزانها الفلسطينية، فأحزان الفلسطيني لا تحصى ما دامت لعنة الاحتلال الصهيوني تنهش ماضيه وحاضره ومستقبله، كذلك لا تستطيع أن تحصي عدد من فقدت من أحبة من أقارب وجيران وأصدقاء بين قتل وسجن ونفي وتعذيب ومرض وتشويه واختطاف"[٣٥٣].

والمحتل هو أساس البلاء، ومصدر الشر الذي جلب الويلات والمصائب والأحزان للشعب الفلسطيني عبر ممارسات قمعية مختلفة، تركت آثارها المأساوية على "الحاجة رشدية" التي لم تستطع إخفاء حزنها وألمها لما حل بوطنها، فقد كانت تشعر بأحزان الآخرين ومآسيهم، لذلك غلب ما يتعرض له الوطن على آلامها، فهانت عليها المصائب من أجل الوطن الجريح، فقد فقدت ثلاثة من أبنائها ذهبوا شهداء في سبيل الوطن، فعملت على تغليب مصلحة الوطن على همها، وبقيت شامخة قوية، لم تنل منها المصائب. تصفها الكاتبة بقولها: "لم يرها أحد في يوم تبكي أحدا من أبنائها، وكانت تصمم على أن يناديها أهل الحي باسم أم الشهداء، وتتبه فخراكلما روت بالماء ويدموع العين زيتونات قبورهم، وداعيتها بانكسار يتعالى على زفراتها اللاهثة المفطورة على ألم عملاق"[٣٥٤].

---

[٣٥٢] المصدر السابق، ص ٥٣.

[٣٥٣] سناء الشعلان، **حدث ذات جدار**، ص ٢١.

[٣٥٤] نفس المصدر، ص ٢١.

استمرت المرأة في تغليب هم الوطن على هم الذات لكن غلب عليها البكاء والحزن، وظهرت عليها علامات الانكسار، حينما داهم العدو الإسرائيلي قريتها، وبدأ باعتلاع أشجار الزيتون، وتجريف أرضها وتهجير أبناء قريتها، فهي لم تلتفت إلى مصيبتها بأبنائها، وإنما هزها مصادرة الأرض، وقلع الأشجار وكأنها وجدت في ذلك ضياعا لقضيتها الوطنية، لذلك كانت تحتضن أشجار الزيتون، وتتثبت بالأرض فهي كالشجرة الراسخة في الأرض، تستمد قوتها من رمزية شجرة الزيتون "ووجود هذه الشجرات في المقبرة مفارقة، فهي رمز الحياة والعطاء في أرض لا تحتوي إلا رفاة الأموات وكأنها إشارة إلى استمرار الحياة والصمود، وإن الفلسطيني يزرع الحياة والأمل حتى بنصف الموت والدمار، فاغتيال هذه الشجرة هو بالحقيقة اغتيال الوجود الفلسطيني والهوية الفلسطينية"[٣٥٥].

وقد أفشل الشعب الفلسطيني كل محاولات النيل من إرادته، فوقف بصلابة لتقرير مصيره، والعيش بكرامة وسلام، وهو ما جسدته "الحاجة رشيدة" بأبهى صوره. تصف الكاتبة ذاك المشهد بقولها: "أما اليوم فلم تخجل من أن تنتحب، وأن تبذل دموعها سخية مدرارة، وهي تعانق زيتونات بستانها، وتتثبت بجذع أكبرها لعلها تقصمها من أيدي الجنود الصهاينة الذين داهموا القرية من طلوع الشمس، وعاثوا تقتيلا في أشجارها قبل أن يجرفوا أرضها، ويلقوا بأهلها جميعا خارجها حفاة مذعورين بحجة تملك أراضيهم، من أجل بناء الجدار العازل"[٣٥٦].

هنا وجدت "الحاجة رشدية" نفسها أمام مأساة كبيرة، فبناء الجدار يعني تمزيق أرضها، وتشتيت أهلها، وضياع أشجارها، وفي ذلك ضرب لوجودها وانتهاك صارخ لمقدساتها المتمثلة بأهلها وأرضها وأشجار الزيتون، إذ "أضفت إلى أشجار الزيتون صفة الإحساس بوصفها الشاهد الوحيد على ما يحدث في الأرض من اغتصاب ودمارمن الآخر"[٣٥٧]. ولاشك أن هذه الأعمال العدوانية تفوق قدرتها على المقاومة، لعدم تكافؤ طرفي النزاع، فهي "على الرغم من جبروت رفضها الأبي للرحيل، وجدت نفسها شعثاء غبراء دون غطاء رأسها الأبيض، ودون بيتها أو بستانها أو زيتوناتها الوفيرة، بل دون قريتها كاملة، ففي ساعات قليلة كانت معظم أراضي القرية مصادرة، وكانت الأراضي الزراعية جرداء مغتصبة مجرفة من أشجارها ومن فرحها،

---

[٣٥٥] تمارة رياض ذنون محمد، **المرجع السابق**، ١٦٦.

[٣٥٦] سناء الشعلان، **حدث ذات جدار**، ص ٢١-٢٢.

[٣٥٧] سناء جابر العبودي، **المرجع السابق**، ص ٢٣٥.

فغدت القرية دون سكانها بعد أن شطر مخطط الجدار الفاصل القرية إلى نصفين: نصف صغير يسجن خلفه حشدا عظيما من أهلها، والآخر يعزل أمامه مقبرة القرية"[٣٥٨].

وهنا كان للجدار الذي أقامه الصهاينة تأثيرات مدمرة على الواقع الحياتي لأبناء الشعب الفلسطيني كما تقول الكاتبة: "فالجدار وما يتوفر عليه من دلالات القسوة والصلابة والارتفاع الشاهق وامتناع التواصل بين الأهل والأصدقاء في شقي المدينة، فإنه يتجسد كشيء مانع وحاجز للألفة والتلاحم في مكان عام ممتد على أرض فسيحة، فهو يمنح شعورا بالسخط والسخرية والتمرد والغضب من قبل الشخصيات المحاصرة بين شقيه اللذين لا يلتقيان بسببه، ومن ثم كل ما فيها من مشاعر حميمية كانت مع أهليهم أم غاضبة صارخة ضد الجدار تذهب أدراج الرياح، حيث يمتصها هذا الجدار المقيت ويمنع سريانها إلى الضفة الأخرى"[٣٥٩].

نظرا لما تركه الجدار العازل من آثار سلبية على حياة "الحاجة رشدية" فقد قاست الأسى والحزن بعد عزل الجدار للمكان المحبب لها إلى قسمين: قسم فيه قبول أبنائها، والقسم الآخر يشتمل على أشجارها، لذلك أعلنت عن رفضها لعملية التهجير، والابتعاد عن أرضها، فوجهت صرخة استنكار واستهجان للجدار العازل. تقول الكاتبة: "وحدها الحاجة رشدية من بقيت في القرية المختزلة في المقبرة بعد هذا التقسيم الجائر السريع الذي نهشها، إذ ظلت متثبتة بأرضها، ورفضت الرحيل لتكون شهيدة جديدة تزف إلى المقبرة وإن كانت لا تزال على قيد الحياة، أمضت أياما قصيرة في مثواها الجديد موزعة بين أبنائها الأرواح الثاوين في القبول، وبين شجراتها الزيتونات المرسلات قتلى على أرض المقبرة بعد أن رحلتهم إلى جانبها، وفي جنباتها ذلك الحقد المرجل على ذلك الجدار الغاشم الذي بات ينمو بتوحش أمام عينيها ليحرمها من قريتها وأرضها وتاريخها المديد"[٣٦٠].

وهنا أصبحت "الحاجة رشدية" الشخصية الفاعلة في تغيير الحدث، بما تملكه من شجاعة وإرادة وصلابة، فآلت على نفسها القيام بواجبها والوطني، وعدم الرضوخ والاستكانة، ولم ينل منها الإحباط واليأس، بعدما بعثر الجدار العازل الأشياء القريبة إلى قلبها، وعبث بالذكريات الجميلة العالقة في ذهنها فـ"المقبرة هي آخر

---

[٣٥٨] سناء الشعلان، **حدث ذات جدار**، ص ٢٢.

[٣٥٩] تمارة رياض ذنون محمد، **المرجع السابق**، ص ١٦٥.

[٣٦٠] سناء الشعلان، **حدث ذات جدار**، ص ٢٢.

من تبقى لها من عالمها المتواري قهرا خلف الجدار وهي هنا وحيدة لا تملك سوى شجاعتها وإصرارها على البقاء، وفأسها آخر من رافقها في دربها نحو زيتوناتها"[٣٦١].

وأمام القوة الغاشمة التي يمتلكها الاحتلال الصهيوني والآليات والمعدات الكبيرة، تقف "الحاجة رشدية" بفأسها لتجعل منه رمزا للمقاومة والثبات، على الرغم من قدمه، وتخلخل أجزائه، لكن رغبتها الكبيرة في تحطيم الجدار، جعلت من الفأس آلة قادرة على تحطيم جبروت الصهاينة، "تتأبطه، وتحكم ربط غطاء رأسها، وتحزمه بأطراف ثوبها، وتخطو أول خطواتها نحو الجدار، خطواتها ثابتة وسريعة تقصد أن تنهال بفأسها على الجدار تحطيما وتهشيما"[٣٦٢].

وازدادت الحاجة رشدية المرأة العجوز غيظا وحرقة وهيجانا على الأفعال الدنيئة التي يمارسها المحتل الصهيوني، لذلك حملت راية الدفاع عن الأرض المقطعة إلى أجزاء، على الرغم من قلة الإمكانات وانعدام النصرة، فلم تستوحش الأمر، إذ كانت تمثل جيشا كاملا أرهب العدو، وزرع في قلبه الرعب، وألقى بداخله الهزيمة والتراجع، فهي "تقترب أكثر من جنود العدو الذين يهرعون هروبا نحو البعيد من وجه امرأة عجوز تحمل فأسها وغضبها وانتقامها المستعر، وخلفها أجساد تجر أكفانها، وتحمل فؤوسا مهددة بها، وهي تكاد تنقض على الجدار، وفي الأفق تلوح المقبرة بقبور مفتوحة قد غادرها الشهداء إكراما لدموع الحاجة رشدية، بغية مساعدتها في تحطيم الجدار العازل"[٣٦٣].

إن استشهاد أبنائها وأقاربها وأصدقائها لم يكن باعثا للحزن المحبط، والاكتئاب والانزواء، والعيش تحت وطأة الاغتراب والوحدة، فهي لم تر في ذلك انهزاما أو ضعفا، ولم تعده انتصارا للعدو الغاشم، بل على العكس من ذلك كانت ترى في الشهادة باعثا للحياة، والأمل بالمستقبل المزدهر الذي ينعم فيه الشعب الفلسطيني بالحرية والحياة الكريمة.

وتقول تمارة رياض ذنون محمد بهذا الصدد: "فكانت تلك الحاجة هي الأرض والوطن الذي يتأجج بنيران الحقد على ذلك الجدار الذي بات ينمو، حيث إن الراوي أسند فعلا حسيا إلى ما هو جماد "ذلك الجدار"، فهذا الانزياح الإسنادي جعل من ذلك الجدار وحشا كاسحا حيا يزيح كل ما يمت بصلة للحياة والسلام

---

[٣٦١] المصدر السابق، ص ٢٣.

[٣٦٢] المصدر السابق، ص ٢٣.

[٣٦٣] المصدر السابق، ص ٢٣.

والعطاء والأمل أمام عيني تلك الحاجة "الوطن والأرض" ليحرمها من تلك القرى، فقرى الزيتون حسب العرف الفلسطيني رمز يدل على الحضارة والتاريخ والهوية فلسطينية، كما أنها تحمل معنى القدسية والأزلية والخلود، فهي الآن باتت ترمز للأرض المغتصبة، فوصف الأشياء وضعت أمام مشهد من مشاهد اغتصاب الأرض، وقتل الحياة، فربط بين الحياة والموت، وكذلك ربط الأشجار بالشخصية والأرض أمام العدو الصهيوني وأفعاله، فتلك الأوصاف ربطت المكان بالشخصية وحالة الصمود أمام العدو حتى لو كانت النهاية الموت، فدماء الشهداء تنبت أشجار الزيتون الصامدة والعيش طويلا في ظروف قاسية، فهي إشارة على الرسوخ والثبات والقدرة على التحمل والتلاؤم"[٣٦٤].

وبهذه الأسباب المذكورة أعلاها توحدت الأرض بالمقاومة، وأصبحت مصدرا من مصادر الإلهام الثوري الذي يهدف إلى استعادة الحقوق المغتصبة.

وفي المجموعة القصصية "الهروب إلى آخر الدنيا" صورة مشرقة للمرأة الفلسطينية وحبها لزوجها، ووفائها لعائلتها؛ المرأة التي تحمل بداخلها الحب والحنان لمن تحب، والتحدي للمحتل الإسرائيلي، وقد تجلى ذلك في قصة "عينا خضر" حيث نجد المرأة الفلسطينية العاشقة التي رأت عيني خضر فبدأ الحب يدخل إلى قلبها، ومن ثم تكلل هذا الحب بالزواج، وتكوين الأسرة، فهي قد اختارت من تحب، وأفصحت عن مشاعرها وأحاسيسها، "عيني خضر، تينك العينين اللتين تنزرعان في أديم وجهه الحنطي، وتشرقان مثل نخيل أخضر ببريق شمسي في بيداء أشواقي، تلك الأشواق التي ولدت منذ أن كنا طفلين، وعندما كبرنا قلت له بحزم يغلفه دلالي الريفي على استحياء الصفصاف (تزوجني يا خضر) وإلا سوف أقتل نفسي، وتكون خطيتي في رقبتك إلى يوم الدين"[٣٦٥]،

وهنا لم تكن علاقة الحب التي اطلعنا عليها في القصة علاقة مشوهة، أو يشوبها الابتذال، أو اللهو وقضاء الوقت، بل كانت علاقة بريئة، تعتمد براءتها من الواقع الاجتماعي الذي كانت تعيش فيه المرأة، فهي تنطلق من قيم وعادات ريفية، لذلك كان هدفها من الحب هو الزواج وإنجاب الأطفال، وقد وصفت لنا القصة، أجواء تلك العلاقة التي كانت منذ الطفولة واستمرت إلى أن وصلت إلى مرحلة الإعلان، والبوح بالمشاعر، التي انطلقت في أجواء الحياة، بما يعطي صورة واضحة أن المرأة الفلسطينية وفقت بين مشاعرها وأهدافها،

---

[٣٦٤] تمارة رياض ذنون محمد، **المرجع السابق**، ص ١٦٦.

[٣٦٥] سناء الشعلان، **الهروب إلى آخر الدنيا**، ص ٥٧.

وهمومها الوطنية، وهي تعلم أن الحياة بحاجة إلى الحب والصلابة في ظل الواقع المتأزم الذي خيم على الفلسطينيين وهم يرزحون تحت وطأة الاحتلال الإسرائيلي، وهي كانت واثقة من حبها، وقد جربت حبيبها، وتعرف ردود أفعاله التي جاءت على وفق أهوائها ورغباتها، كما تروي: "لكزني برفق على غير استحياء وقال لي وآلاف البيرات تشرق في عزم عينيه (الله يلعن إلي خلفوك)، لا أستطيع العيش بدونك، والله سوف أتزوجك بعد موسم الحصاد"[٣٦٦].

وهنا تجلت المودة والهيام بأبهى صورها، وعلا صوت الحب والانسجام والتفاعل، وقد كشف عن ذلك الأداء اللغوي في خطاب "خضر" الذي شكلت اللغة العامية الأساس الذي ارتكز عليه، بما يوحي أن مشاعره وأحاسيسه كانت تغلي بداخله، ولم يعد باستطاعته إخفاء آثارها، لذلك لم يجد أفضل من اللغة الشائعة وسيلة لتجسيد انفعالاته وعواطفه. تقول الكاتبة: "فهي بمثابة لسان حال، تعبر عن العفوية، فتبوح بمكنونات الجسد، وعذابه وتستعمل اللغة الدارجة قصد إشاعة جو الألفة والحميمية، ورفع الكلفة تجاه الشخوص المتحدثين بهذه اللغة"[٣٦٧]. ولذلك كان تضمين الخطاب القصصي كلمات متداولة في الحياة اليومية يشير إلى عمق العلاقة بين المتخاطبين، ويدل على عمق التواصل والمودة بينهما، وما كان يتطلبه الموقف التواصلي من البساطة والوضوح في الحوار التخاطبي.

وقد ازداد الحب بينهما حتى وصل إلى الزواج كما تبينه الكاتبة: "وصدقت عينا خضر، وتزوجنا، وبت في كل ليلة أتعبد في محراب عينيه، لأغفو على رموشهما وزاد عشقي لعيني خضر اللتين تحملان من العزم والحب ما لا يعرفه الكثير من البشر"[٣٦٨]. وبذلك أصبحت عينا خضر مصدرا للحب والجمال، انطلاقا من دلالتيهما السيميائية، ودورهما في التواصل والتقارب، "فالعيون وجوه للقلوب، وتبدو منها أحوال النفس وأسرارها، ولذلك يمكن أن تحقق بجمالها أو بحالها خطابا تواصليا وتسهم في الإبانة"[٣٦٩]، والكشف عن المشاعر والأحاسيس، ربما أكثر إيصالا من الكلام.

---

[٣٦٦] المصدر السابق، ص ٥٧.

[٣٦٧] أمال فلاح، وآية زياد، **الأنساق الثقافية في الرواية السعودية "بنات الرياض" لرجاء عبد الله الصانع أنموذجا** (رسالة ماجستير: جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، ٢٠١٨م)، ص ١٢٤.

[٣٦٨] سناء الشعلان، **الهروب إلى آخر الدنيا**، ص ٥٧-٥٨.

[٣٦٩] الدكتور ناصر ظاهري، **وصف الجسد في الشعر الجاهلي** (عمان: دار الخليج، ٢٠١٨م)، ص ٢٤٠.

وعلى الرغم من الألم الذي سببه الاحتلال الإسرائيلي لأبناء الشعب الفلسطيني، إلا أنها كانت تجد في عيني خضر الأمل بالمستقبل الجميل، فكانت تستمد منهما القوة والصبر والتحدي، وهي تحلم بالإنجاب والعيش بسلام بعيدا عن البؤس والإحباط بفعل ممارسات المحتل البغيضة. تذكر الكاتبة: "وكما أهدى حبه لأرضه التي كان يحدثني كل ليلة عن حبه لها، وعن حلمه في أن يعيش فيها في سلام، في منأى عن كوابيس الصهيونية وجبروت الموت والدمار، أهديته حركة قدسية تسكن في أحشائي، وتمور بعشقي، وتغرسني في دنيا من السعادة، وأنا انتظر شجيرة آدمية زرعها خضر في داخلي تسمى طفلنا، وأحلم بأ، تشق عينا غرستنا على مثال عيني خضر"[٣٧٠].

المرأة هنا في القصة تبحث عن حياة زوجية مليئة بالحب والسعادة والأمن، لذلك كانت تحلم بالحمل وإنجاب طفل، يكون عاملا من عوامل الفرح والسرور، فحبها لزوجها لا بد أن يتكلل برؤية طفل يزيد من أجواء البهجة والحب، وقد ازداد التفاعل والألفة بين الزوجين أثناء فترة الحمل، فتروي ذلك بقولها: "في كل ليلة تحسس خضر بطني، ليطمئن على غرسته، ثم يغفو وهو يحلم بطفل يولد في أرض محررة، يغفو على الحرية، ويستيقظ عن مداعبة النفوس العاشقة لأرضه المعطاءة، وعلى صوت مآذن القدس"[٣٧١].

إن أحلام المرأة الفلسطينية في القصة تشير أنها قد قرنت أحلامها الذاتية والأسرية بأحلام الوطن، فهي مثال للنساء الفلسطينيات الباحثات عن وطنهن، الحالمات بالحرية والاستقلال، فما يهم بطلة القصة أن يكون المستقبل مشرقا، وخاليا من الأزمات والمعاناة والآلام والهموم، وبلا شك فإن ما تمنته لطفها أو ما حلمت به لأسرتها يمثل حالة عامة أرادت لها أن تسود في مختلف أنحاء البلد الفلسطيني، فلا حياة آمنة ولا مستقبل في ظل الوجود الإسرائيلي الجاثم على صدور الفلسطينيين، فهو من يقتل أحلامهم وأمنياتهم، وهو ما حدث مع بطلة القصة، إذ اصطدمت أحلامها بماكنة الموت الإسرائيلي، وفقدت زوجها قبل أن يرى طفله يخرج للوجود. تصف الكاتبة ذاك المشهد: "وأخيرا تفتق جسدي العاشق عن غرسنا الجميل، كانت كل العيون حولي، إلا عينك يا خضر ... آه من القهر والموت، كل العيون تجتلي طفلك، وتقبله إلا عينيك يا خضر، فهما تستحمان في غياهب الموت، وتقدمان محجريهما للدود والعفونة، كما قدمت مكرها نورهما لعدو غاصب"[٣٧٢].

---

[٣٧٠] سناء الشعلان، **الهروب إلى آخر الدنيا**، ص ٥٨.

[٣٧١] نفس المصدر، ص ٥٨.

[٣٧٢] نفس المصدر، ص ٥٨.

ومما لا شك فيه هو أن القاصة سناء شعلان استثمرت قدرتها الإبداعية، ومعرفتها بفنون القص من أجل تعرية المحتل، وفضح ألاعيبه ووسائله وأساليبه العدوانية، فبينت "للقارئ التصرفات الصهيونية بنقل الصورة العامة لنفسه سياسة العنف"[٣٧٣] وتبرير ممارساته العدوانية تجاه الشعب الفلسطيني، لكن ذلك لم يمنعهم من المطالبة بحقوقهم، ورؤية بلدهم حرا كريما معافى، يعيش أبناؤه بسلام وحرية تامة.

وقد شكل حلم التحرير هاجسا يراود جميع الأسرى والمعتقلين رجالا ونساء، ومن بينهم المرأة التي وقفت إلى جانب الرجل في نضاله وأمنياته، وتحملت معه أعباء التحرير ومقاومة المحتل. وتمثل ذلك في قصة "جمهورية فلسطينية لمدة ٩٠ كيلو" التي استعرضت موقفا شجاعا لامرأة فلسطينية كان همها الوحيد هو تحرير بلدها من براثن الاحتلال؛ امرأة اتخذت من الجهاد سبيلا لتحقيق آمالها على الرغم من حداثة سنها، وقلة تجربتها بأحداث الحياة المختلفة إلا أنها عقدت العزم على تحقيق أهدافها، "اسمها دلال المغربي، واسمها الحركي في الفداء (جهاد)، أحلامها كبيرة، لكنها الأكبر منها على الرغم من أن عمرها لا يتجاوز العشرين عاما من سنين العذاب الفلسطيني، التي ذاقت فيها ويلات التهجير والشتات والمذابح وعذابات المخيمات وضنك الحياة والفقر والاضطهاد والظلم"[٣٧٤].

وقد تشكل لهذه الأسباب لدى "دلال" وعي بألا خلاص من الفقر والتشرد والظلم والقمع والدمار إلا بالخلاص من المحتل، وهزيمته وطرده خارج الحدود، مهما كانت التضحيات، لذلك اختارت العمل الفدائي؛ لأنه العمل الوحيد الذي باستطاعته استعادة الأرض، وتحرير الوطن، وقد كانت تستمد من العلم الفلسطيني القوة والقدرة على مواصلة الكفاح والجهاد، فـ"الآن هي بإجلال وتقديس تقبل العلم الفلسطيني الذي كنت تطويه في جيب ملابسها العسكرية التي تشف عن جسدها الهزيل الصغير الذي قد ثوبا مقدسا في أتون الوطن، لقد تدربت طويلا على أيدي أمهر الفدائيين الفلسطينيين في لبنان لتصل أخيرا إلى هنا، وتعلق علم وطنها في مقدمة الحافلة التي تختطفها"[٣٧٥].

لقد كانت "دلال" تبحث عن أي وسيلة لإذلال المحتل وإذاقته طعم الهزيمة جاعلة من العلم الفلسطيني رمزا وعلامة على الاستقلال والحرية، ولذلك عملت جاهدة على أن تجعله يرفرف في عقر دار المحتل وفي عاصمته المزعومة، فأينما علا العلم يعني التحرير والحرية، وهو ما كانت تحلم به "دلال". تقول الكاتبة: "الآن هي

---

[٣٧٣] سناء جابر العبودي، **المرجع السابق**، ص ٢٣٨.

[٣٧٤] سناء الشعلان، **تقاسيم الفلسطيني**، ص ٧٢.

[٣٧٥] نفس المصدر، ص ٧٢.

تحقق حلمها، وتحرر تل الربيع لا تل أبيب من قبضة العدو الصهيوني لمدة ست عشرة ساعة، وتلن الجمهورية الفلسطينية الحرة المنتصرة على امتداد ٩٥ كيلو في العمق المحتل من تل الربيع من حافلة صهيونية اختطفتها هي ومجموعتها الفدائية، ليرفرف العلم الفلسطيني بكبرياء في مقدمة الحافلة العسكرية التي تخطفها أمام دهشة العيون الصهيونية التي ترتعد بخوف وجبن"[٣٧٦]. وهي بهذا العمل البطولي لا تقل شأنا عن الرجل في ملحمة التحرير، وصولا إلى النصر، فتثبت في نفوس الفدائيين القوة والشجاعة، وتعزز بداخلهم الصبر والتحدي والإصرار على المقاومة، "تصرخ فيهم، وتقول بنبل وفروسية نادرة: نحن لا نريد قتلكم، نحن نحتجزكم فقط رهائن لنخلص رفاقنا المعتقلين من براثن أسركم، نحن شعب يطالب بحقه بوطنه الذي سرقتموه، ما الذي جاء بكم إلى أرضنا؟"[٣٧٧].

وهنا وجهت المرأة "دلال" للرهائن الصهاينة خطابا بليغا جاء نابعا من عمق المعاناة والألم والحزن، وقد شحنته بدلالات الإنسانية، بعيدا عن منطق الانتقام والقمع، وهذا يدل على أن المرأة الفلسطينية كانت صاحبة قضية إنسانية ووطنية كبيرة، همها الوحيد هو تحرير أرضها، واستعادة وطنها المختطف، واسترجاع الحقوق المسلوبة، لذلك كان خطابها خطابا عقلانيا يرتكز على مجموعة من الحجج والبراهين الدامغة التي لا تقبل الشك، جسدتها عبر عرض مطالبها أمام الرهائن الصهاينة "نحن لا نريد قتلكم"، و"نحن نحتجزكم فقط رهائن لنخلص رفاقنا المعتقلين من براثن أسركم"، و"نحن شعب يطالب بحقه بوطنه الذي سرقتموه"، وختم خطابها بسؤال عميق الدلالة والمغزى، يختصر معاناة الشعب الفلسطيني في ظل الاحتلال الإسرائيلي البغيض بقولها: "ما الذي جاء بكم إلى أرضنا؟"، وبذلك فهي "حققت حلمها أخيرا بإعلان تحرير وطنها، فهي تعيش أجمل لحظات عمرها في عمق الأراضي المحتلة من وطنها بعد أن حررتها ولو لزمن قصير، هو زمن عملية الاختطاف وعبور ٩٥ كيلو في داخل تل الربيع"[٣٧٨].

أما في قصة "نطفة" فإن محاولات الاحتلال الإسرائيلي القمعية، وأساليبه الإرهابية لم تمنع الفلسطينيين من ممارسة حقهم في الحياة، وتكوين أسرة سعيدة عبر إنجاب الأطفال بوسائل طبية بعد أن عجز الزوجان عن اللقاء الطبيعي بينهما في محاولة للقضاء على اليأس والقنوط، والوقوف بوجه الصعاب والتحديات. تذكر القاصة هذه القضية قائلة: "نطفة واحدة هي من انتصرت لها على الحرمان والقطيعة والسعادة والسجون

[٣٧٦] المصدر السابق، ص ٧٢-٧٣.

[٣٧٧] المصدر السابق، ص ٧٣.

[٣٧٨] المصدر السابق، ص ٧٤.

والأسوار، بفضل خطة بوليسية مبتكرة دبرها طبيبها المعالج في مستشفى التلقيح، وأخيرا استطاعت أن تهرب نطفة من زوجها الأسير الفلسطيني في المعتقل الصهيوني"[٣٧٩].

إذن كل أفعال الاحتلال الإجرامية لم تقض على إرادة الفلسطينيين، ولم تعقهم عن بناء المستقبل، وبث الحياة في أرجائه، ففصل الزوجين عن بعضهما لا يعني فقدان الأمل بإنجاب الأطفال لأن التحدي كفيل بإيجاد السبيل الموصل إلى مرادهما، لذلك ابتكرت الزوجة – بعد غياب زوجها بفعل الاعتقال والسجن – طريقة شرعية وسليمة للإنجاب، عبر تهريب النطف من زوجها المعتقل، على الرغم من صعوبة الأمر، وضعف الأدوات والوسائل، وقدمها، وعدم قدرتها على أداء المهمة بالصورة المثلى، لكن حب الحياة أسمى من كل شيء، وباستطاعته فسح المجال أمام العقل، ليأخذ دوره في التفكير، وابتداع وسائل جديدة تكون قادرة على الإيفاء بالغاية المنشودة. تصف الكاتبة هذا المشهد قائلة: "كانت طريقة تهريب النطفة بدائية تماما، وذلك بوجود شهود من أهلها وأهله كي لا يقدح أحد في شرفها، وهي من حملت وزوجها غائب عنها منذ سنين في أسر المعتقل الصحراوي البعيد"[٣٨٠].

لقد أجريت عملية نقل النطف في ظل طقوس خاصة تبعد الشك والريبة، وتجعل الأمر سليما لا يمكن لأحد أن يطعن به في المستقبل، وتحافظ المرأة على شرفها وسمعتها، فتمنع أحاديث القدح والشتم والطعن التي قد تطالعها. وفي ختام أحداث القصة انتصرت إرادة الحياة، وتحقق الحلم بالإنجاب كما تقول الكاتبة: "وأخيرا انتصر على الموت حيوان منوي واحد شجاع همام، وصافح الحياة في رحمها، وأصبح جنينها (عمار) الذي جاء إلى الحياة مهربا من المعتقل الصهيوني ليحمل اسم والده الأسير، ويعده بغد لا يموت، ويهبه إصرارا على الحياة، وينذر نفسه لحمل راية والده حيث العلم الفلسطيني يرفرف عاليا"[٣٨١].

وهنا اتضحت الغاية، وانكشفت الأهداف من الإصرار على الحمل والإنجاب، فالوطن بحاجة إلى دماء جديدة، وأبناء أوفياء ينهضون بمهمة الدفاع عن الوطن، ومقاومة المحتل، وصولا إلى تحرير الأرض المغتصبة، فمشروع "سعاد" من الإنجاب لم يكن مبعثه عامل الأمومة وتربية الأبناء فحسب، بل كانت تنظر إلى الوطن بوصفه القضية الكبرى التي لا يمكن التنازل عنها أو سكوت على المأساة أو المؤامرات التي تحاك ضده، وتريد النيل من أبنائه، لذلك فهي لم تكن مستسلمة ومذعنة لممارسات الاحتلال الإسرائيلي، بل كانت على قدر

[٣٧٩] المصدر السابق، ص ٨٧.

[٣٨٠] المصدر السابق، ص ٨٧.

[٣٨١] المصدر السابق، ص ٨٧.

كبير من المسؤولية والتضحية وحب الوطن، فعملت على مقاومة المحتل بطريقتها الخاصة، وقد انتصرت إرادتها، وتحققت مقاصدها في أن تجعل من الإنجاب سلاحا فتاكا لا يمكن الوقوف بوجهه أو التقليل من قوته وفاعليته، فالأطفال هم من يحملون راية الجهاد والمقاومة، وهم من يرفعون علم الدولة الفلسطينية عاليا: "الآن أمه (سعاد) هي الأسعد في هذه الحياة، تحمله وتختال به أمام الجنود الصهاينة السجانين الذين أوصدوا الأبواب دون زوجها، ولكنهم ما استطاعوا أن يحرمونه من حلم الأبوة"[٣٨٢].

وهنا لم يستطع الصهاينة بأعمالهم الشنيعة أن يوقفوا الحياة، يجهضوا آمال الفلسطينيين وأحلامهم في العيش الآمن مثلما يعيش الآخرون، لذلك عملت "سعاد" على الثأر لاعتقال زوجها، وإرسال رسائل شديدة المعاني والدلالات، مفادها أن لا شيء يقف أمام رغبة المرأة الفلسطينية في رؤية بلدها آمنا وسالما معافي، وأن كل عمليات وأساليب القمع والاعتقال لا يمكن لها أن تثني أبناء الشعب الفلسطيني عن ممارسة أنشطتهم اليومية، غير مبالين بحجم العدوان الإسرائيلي، ووسائله المدمرة.

وقد قابلت "سعاد" العنف الذي مارسه الصهاينة ضدها وضد زوجها، بالأمل والتشبث بالحياة، وإنجاب الأطفال الذين سيحملون راية التحرير في المستقبل: "تبتسم لزوجها ابتسامة نصر، وتمد له ابنهما "عمار" ليطبع قبلة هوائية على جبينه مخترقة الفاصل الذي يبعدهما، وتؤمله بأن يكون هذا الطفل الرضيع رجلا شهما مناضلا قويا ينتظره على باب المعتقل عندما تقضي مدة محكوميته، ويخرج منه بعد نحو ربع قرن، فيربت بحنان على شيخوخته ويعود به إلى البيت حيث الجميع في انتظاره"[٣٨٣].

وكل أسلحة الدمار والخراب وأساليب الترويع، لم يكن بمقدورها القضاء على طغيانه وظلمه، كذلك لم تقم كل حواجز المحتل من صد أو منع القبلة التي أرسلها الطفل "عمار" والتي لم تكن مجرد قبلة طبيعية، بل كانت تحمل في طياتها دلالات واسعة، فهي إعلان عن ألا خوف على مستقبل فلسطين، فهناك من سيقوم بالأمر لاحقا، وسيذيق العدو طعم الهزيمة والخيبة، فالطفل الذي تشكل وولد وترعرع في تلك الظروف القاسية، سيكون له شأن كبير، فقد أرضعته أمه القيم السامية، والشجاعة والبطولة والصبر والإقدام وعدم الاستكانة، ورفض الذل والخنوع، وعلمته ألا شيء أكبر من الوطن، فلأجله تهون الصعاب والشدائد، ويرخص الغالي والثمين.

---

[٣٨٢] المصدر السابق، ص ٨٨.

[٣٨٣] المصدر السابق، ص ٨٨.

ومن صور المرأة الفلسطينية المحبة لوطنها المنطلقة لتحريره ما جاء في قصة "جندي" التي تحكي لنا الدور الكبير والمؤثر في مسيرة النضال الفلسطيني، فهي الأم الصابرة المناضلة التي تحث ولدها على الجهاد، فتشعل بداخلها جذوة الحماس والثورة من أجل تحرير وطنها من الصهاينة. وقد قامت بسلسلة من الممارسات التحشيدية، ابتدأت بتقبيل ولدها أمام الآخرين من أبناء الوطن، وحملته وصيتها الداعية إلى بذل ما بوسعه في سبيل التحرير، فقد "قبلته أمه، وقالت على رؤوس الأشهاد من أسرته وأقاربه: إياك أن تعود إلى البيت قبل أن تحرروا فلسطين، لن أرض عنك إن لم تفعل ذلك"[٣٨٤]. وانطلاقا من وصية أمه بادر إلى الانخراط في المؤسسة العسكرية من أجل التدريب والاستعداد لساعة التحرير، والقضاء على الوجود الصهيوني في أرض فلسطين، وإخراجه بعيدا عن الوطن، فكان يستمد القوة والعزيمة والقدرة على المقاومة مما قالته أمه، والذي أسهم في تعميق إيمانه بوطنه، وحبه لقضيته العادلة. تقول الكاتبة: "لقد تجند في هذا الجيش منذ سنتين، لكن هذا التحرير هو مهمته المقدسة، يشعر بفخر عظيم لأنه ضمن جيش عربي جاء ليشارك في تحرير فلسطين من عصابات صهيونية استولت على جزء كبير منها"[٣٨٥].

يكشف المقطع القصصي أن البعد عن الوطن لم يقف حائلا أمام التحاق أبناء الشعب الفلسطيني المهجرين خارج الوطن، ضمن صفوف جيوش البلدان العربية الأخرى ما دامت الغاية واحدة، وهي طرد المحتل الصهيوني. ولذلك أصر الفتى الفلسطيني على مواصلة درب الجهاد كما تذكر أحداث القصة بعزيمة كبيرة وإصرار عظيم. وقد كانت وصية أمه الغذاء الروحي الذي فجر بداخله صوت الثورة، وأشعل فيه أوار التحدي والصمود. يذكر الراوي: "بدأت الحرب مع شرذمة من الصهاينة، يستطيعون أن يبيدوهم جميعا مع غروب شمس هذا اليوم إن اجتهدوا بإخلاص لذلك إلا أن أمرا بالانسحاب يأتيهم من قيادتهم هناك في العاصمة العربية، يتعجب من هذا الأمر الذي جاء في قمة انتصارهم، ينسحب الجيش الذي يأويه كاملا، ولكنه يرفض أن ينسحب، ينطلق وحده عكس جيش الجباه المحنية والعيون المكسورة والبنادق الخاذلة، ويقرر أن يقاتل العصابات الصهيونية وحده"[٣٨٦].

هذا الإصرار الكبير، والإرادة الصلبة لم يأتيا اعتباطا لأنه كان يستمد القوة والشجاعة والتحدي مما أوصت به والدته، فأبى أن يعود مهزوما رغم حالة الانكسار التي ظهرت ملامحها على الجيش العربي الذي كان يقاتل

[٣٨٤] المصدر السابق، ص ١٣١.

[٣٨٥] المصدر السابق، ص ١٣٢.

[٣٨٦] المصدر السابق، ص ١٣٢.

في صفوفه، ولم يفت في عضده ما رآه من خذلان واضح، وتراجع وانهزام مقصود بفعل العامل السياسي الذي كان بمثابة الخنجر الذي ذبحت به القضية الفلسطينية في أغلب أوقات الصراع مع الاحتلال الإسرائيلي البغيض. وما قام به الجندي المجاهد انطلاقا من وصية والدته – رغم قلة السالكين معه في طريق الجهاد والنضال – يعطي صورة واضحة عن الدور الكبير والفاعل للمرأة في تغيير مجرى الأحداث، إن هي أعطيت الفرصة المناسبة والكافية، ورفعت عنها نظرة الاحتقار والتهميش والإقصاء، وفسح المجال أمامها لتمارس أدوارا كثيرة سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية ونضالية.

وفي قصة "الأم" نجد "الأم خضرة" المرأة التي لم تنجب أطفالا قط بيد أنها كانت تعد نفسها أماً لجميع الأسرى في المعتقلات الصهيونية سواء أكانوا فلسطينيين أو غيرهم. وعلى الرغم من أنهم لم يعرفوا عنها شيئا إلا أنها كانت هي تعرف أشياء كثيرة عن حياة كل واحد منهم، فما أن يدخل أحدهم المعتقل حتى "يغدو ابنها خبط عشواء فور دخوله المعتقل، تقطع أيامها تدور من معتقل إلى آخر، وتزور أبناءها الأسرى، وتظهر اهتماما خاصا بأبنائها الأسرى المقطوعين عن بلادهم وأهليهم، بعد أن جاءوا إلى فلسطين لأجل الدفاع عنها"[٣٨٧]، فكانت تشعر بالمسؤولية تجاه وطنها الجريح، وتحاول أن تضمد شيئا من جراحه، وتخفف من مأساته وأحزانه، فتمارس دورها الوطني بمنتهى الطيبة والحنان متخطية آلامها المتعلقة بعدم قدرتها على الإنجاب، لتنصهر في أجواء الوطن، لعلها تسهم في إنقاذه من محنته، وبذلك أعطت صورة ناصعة البياض والجمال للمرأة الفلسطينية المحبة لوطنها وتطلعاته وآماله، فقدمت نفسها على أنها الوفية للمضحين من أجل وطنها، فقابلت كرمهم بأنفسهم برعايتهم وزيارتهم في المعتقلات الصهيونية، فكانت أما رائعة وكبيرة بوفائها وكرمها وطيبتها وحنانها وشجاعتها كما تذكرها الكاتبة: "هي أم الأردني الذي ترك مدرسته، وجاء ليدافع عن فلسطين، وهي أم الأسير العراقي الذي أقسم على أن يصلي في المسجد الأقصى بعد أن يتحرر بمشاركته، وهي أم الأسير اليمني الذي جاء يشارك في تحرير فلسطين إكراما لأخوانه، وهي أم الأسيرة الجزائري الذي أقسم على أن يجاهد حتى تحرير فلسطين كما جاهد والده وجده لتحرير بلادهم من المستعمر الجزائري، وهي أم الأسير المصري الذي ترك عروسه وجاء إلى فلسطين ليدافع عنها؛ لأنها عروسه الأجمل"[٣٨٨].

---

[٣٨٧] المصدر السابق، ص ١٥.

[٣٨٨] المصدر السابق، ص ١٥-١٦.

وبذلك امتزج الهم العربي بالوجع الفلسطيني، وذابت الحدود الفاصلة بين البلدان العربية، واختلط الدم العربي، فكانت لوحة جميلة مليئة بصور التضحية والفداء والنضال. ولذلك كانت "الأم خضرة" تبذل جهودا كبيرة في سبيل رعاية الأبطال القادمين من أوطانهم لتحرير بلدها من براثن الاحتلال الصيوني، عبر سلسلة من الأعمال الإنسانية. تقول الكاتبة: "هي تعد الأيم إلى حين خروجهم من معتقلاتهم، وتتابع مع المحامين ومؤسسات متابعة قضايا الأسرى كل مستجد يخصهم، وترسل الرسائل إلى عائلاتهم، وتكتب الرسائل المزورة لهم إن لم يصلهم رد لسبب ما من أهاليهم خارج فلسطين"[٣٨٩]. ومن أجل تحقق أهدافها النبيلة، فقد كانت لا تساوم على قضيتها، وتعمل جاهدة على كسب المال الكافي لأداء مهمتها في رعاية الأسرى، والإيفاء بمتطلباتهم واحتياجاتهم. "إنها أم جميع الأسرى، إنها (الأم خضرة) التي تقارع التجار والمتسوقين في السوق، وترفض أن تساوم في أسعار بضائعها من الخضراوات والفواكه، فأي نقص في مربحها يعني أن يقل مخصص أحد أبنائها الأسرى من عونها، على الجميع أن يدفعوا الأسعار التي تطلبها (الأم خضرة) دون فصال، كي تطير بالمال إلى أبنائها الأسرى"[٣٩٠].

وهنا أثبتت المرأة الفلسطينية مدى سلطتها في ميادين الحياة المختلفة، وقدرتها على إدارة حياتها، ولم تقتصر المرأة الفلسطينية مدى قدرتها في مجالات الحياة المتنوعة، وإدارة حياتها، ولم ينته الأمر على ذلك، بل كانت قضايا وطنها الجريح تشغل بالها ليلا ونهارا، وقد عدت همومه كهمومه الشخصية.

[٣٨٩] المصدر السابق، ص ١٦.

[٣٩٠] المصدر السابق، ص ١٦.

خاتمة البحث

خاتمة البحث ونتائجه

سناء الشعلان كاتبة أردنية من أصول فلسطينية، ولدت في الأردن عام ١٩٧٧م بمدينة صويلح في أسرة مثقفة محبة للعلم والأدب. وهي الأولى من بين اثني عشر شقيقا وشقيقة. درست وعاشت في الأردن، وشهدت مرارة النساء عيانا وعبر التلفاز فنهضت لتنهض النساء من المآزق التي تعيش فيها بعناء وآلام. حصلت سناء الشعلان على جوائز وأوسمة تطول قائمتها وتفوق المائة فضلا عن التكريمات الخاصة في المعاهد والجامعات المختلفة من أقطار العالم العربي والقارة الآسيوية.

اهتمت سناء الشعلان بقضايا المرأة في كتاباتها الإبداعية والعلمية، وتأثرت بالأنثوية كثيرا فعرفت بها واشتهرت من بين الرائدات الأنثويات في العالم العربي. تتنوع كتاباتها إلى المقالات العلمية والنقدية والكتابات الأدبية بمجالات شتى مثل القصة القصيرة والمسرحية والرواية ومسرحيات الأطفال وغيرها.

وقد بذل الباحث كل ما في وسعه لكشف الجوانب العلمية المهمة من حياة الكاتبة الأردنية سناء الشعلان وأهم أعمالها الإبداعية وكتاباتها الأدبية في مجال الأدب العربي عامة وفي مجال أدب المرأة وأدب الأطفال على وجه الخصوص، وكذلك لإبراز صور المرأة العربية في الإنتاجات القصصية. أما نتائج البحث فهي كالتالي:

- سناء الشعلان كاتبة أردنية من أصول فلسطينية، عاشت في الأردن وعاشرت الفلسطينيين اللاجئين في المخيمات، والمهاجرين من فلسطين إلى الأردن وإلى مختلف الأقطار والأمصار. سناء الشعلان كاتبة غزيرة الإنتاج في كل من الكتابات الإبداعية والعلمية، تفوق مؤلفاتها عدد السبعين ما بين القصة القصيرة والمسرحية والمقالات.
- اكتسبت القاصة سناء الشعلان شهرة في أقطار العالم أكثر من شهرتها في العالم العربي. وهي ليست كاتبة أو قاصة ذات صيت في مجال الأدب والإبداع فحسب بل هي تتمتع بمكانة رفيعة بين الأكاديميين لكثرة ترحالها في بلدان العالم محاضِرة ومقدِمة الأوراق العلمية أو أستاذة زائرة في الجامعات.
- تتمتع سناء الشعلان بشعبية واسعة في مختلف الأوساط العلمية والأدبية والأكاديمية. ولنشاطاتها العلمية في مجال الأدب النسوي وعنايتها المكثفة بموضوع المرأة إنها انضمت إلى كثير من اللجان والمنظمات التي أنشئت لنهضة المرأة في مختلف أقطار العالم شرقا وغربا.

- إن الجهود التي بذلتها الكاتبة الأردنية سناء الشعلان في مجال أدب المرأة هي جهود ملحوظة قيِّمة يجب الاحترام لها والتقدير لأنها من ثلة الكاتبات العربيات التي خضن في مجال الأدب فتناولن قضايا المرأة المتخلفة بإكثار في الكتابات من نواح مختلفة.
- أدت الكاتبة دورا كبيرا في ترويج اللغة العربية وآدابها وتطويرها في مجال القصة خاصة، وخدماتها في هذا الصدد تنال التقدير والإعجاب من قبل الباحثين في الجامعات المختلفة من بلدان العالم الشرقي جنبا بجنب النقاد العرب والمعنيين بكتاباتها في العالم الغربي.
- أنتجت سناء الشعلان قصصا قصيرة للأطفال، وساهمت في حثهم على التعليم لرفع مستواه في الأردن خاصة وفي العالم العربي بوجه عام.
- الأنثوية أو النسوية حركة أنشئت لأول مرة في فرنسا في أواخر القرن التاسع عشر لإعلاء شأن المرأة وإخراجها من مأزق الواقع المرير حيث لا حرية لها ولا مكانة أو كرامة، لا في المجتمع ولا في البيت. وانتقلت الأنثوية من العالم الغربي إلى العالم العربي فاختطفتها بعض النسوة بعدما أثار رفاعة رافع الطهطاوي قضية ثقافة المرأة وحرضها على التعلم والقراءة.
- نشأت مدارس مختلفة وتيارات عديدة في الأنثوية منها الاشتراكية والليبرالية والراديكالية وغيرها.
- معظم الحركات الأنثوية نشأت على أساس تخطئة الحركات الأنثوية السابقة أنها لا تمنح المرأة مكانة تساوي مكانة الرجال أو أنها لا تقوم بصيانة المرأة من عنف الرجال.
- تسببت أقوال الفلاسفة الغربيين والكتب الدينية لليهود والنصارى لنشأة الأنثوية في العالم الغربي لأن المرأة ليست لها كرامة ولا مكانة عند الفلاسفة ولا في كتب اليهود والنصارى. أما الإسلام فقد أعطى للمرأة حقوقا متساوية للرجال في كثير من أمور العبادة وشؤون الحياة. وكذلك مُنحت المرأة في الأدب العربي قبل الإسلام وبعده مكانة مرموقة في الأوساط الأدبية من بين الشعراء والأدباء الرجال.
- المرأة في اليهودية والمسيحية وكذلك عند اليونان والرومان لا تليق بالإنسانية فهي ليست إنسانا. أما الإسلام فأعطى المرأة حقوقا كثيرة، وأوصى الرسول الرجال بالنساء خيرا فكانت المرأة دوما منذ العصر النبوي تشارك الرجال في المهام مثل الحرب، والحراسة، وتربية الأولاد، وتعليم الرجال وما إلى ذلك حتى أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كان كبار الصحابة يستفتونها في كثير من مسائل الشريعة لكونها أعلم بوصاياالرسول في أمور النساء.

- الأردن منطقة أرضها خصبة من حيث العلم والأدب فقد أنجبت كثيرا من العلماء والأدباء بعد أن كانت قد تخلفت عن مجال العلم والأدب لفترةٍ ما جراء الحروب الأهلية والفوضى السياسية. وللملك عبد الله الأول ابن الحسين دور مهم في توجيه أهالي الأردن إلى الثقافة باستقطاب العلماء والأدباء من الأقاليم المجاورة ما أدى إلى عودة البيئة الثقافية في المنطقة.
- تأخرت القصة القصيرة في الأردن لفترة قصيرة بسبب الحروب الأهلية بينما كانت القصة الطويلة مهبط عناية الأدباء والكتاب. وقد أدت القضية الفلسطينة دورا حاسما في تحفيز الإنتاجات القصصية في أدباء الأردن وفلسطين، فلولاها لما شهد مجال القصة القصيرة في الأردن صعودا في الأعداد وبراعة في الأقلام بفترة قصيرة.
- الأدب العربي الأردني غني بالإنتاجات القصصية كما هو ثري بموضوعات القضية الفلسطينية شعرا كان أو نثرا.
- الأدب العربي الأردني يمثل اتجاها جديدا زمن وحدة الضفتين لأنه أردني وفلسطيني في وقت واحد إذاً توجد فيه القضايا الفلسطينية بكثرة كاثرة. ونصب المخيمات للاجئين الفلسطينيين في الأردن سبب آخر لتكاثر الموضوعات الفلسطينية.
- اضطلعت الكاتبة بدور كبير في تثقيف المرأة العربية التي تخلفت في البيت قاعدة في ظلمات الجهل مكابدة أنواعا من الظلم من قبل الإخوان والأزواج والآباء فأنارت الكاتبة دروبها بنور العلم وضياء العدل والسماحة.
- سعت الكاتبة كثيرا في رفع مستوى التعليم بحث المرأة عليه، وذلك من خلال كتاباتها القصصية وإثارة الموضوعات النسوية فيها بطريقة تقدم المرأة مظلومة منكوبة لتتقدم إلى مختلف مجالات الحياة وتشارك في أعمال الرجال سويا بالتكاتف.
- قارنت الكاتبة بطريقة غير مباشرة بين المرأة المتعلمة والمرأة الجاهلة، وقدمت أوضاعهما لتدل على أهمية العلم والمعرفة في حياة كل امرأة بل في كل إنسان لئلا يقف مذعورا منكوبا لأجل جهله وغبائه، وأن العلم جنة يقي المرء من التعرض لأي نوع من الظلم والضيم فلا يتخلفن أحد من العلم أو يغمضن النظر عن أهميته القصوى.
- تتنوع علاقة المرأة بالآخر إلى ثلاثة أنواع؛ علاقتها بالأب والإخوة، وعلاقتها بالزوج، وعلاقتها بعامة الناس مثل الجيران أو الرفاق العاملين في شركة واحدة أو في مكتب واحد. وهي في كل علاقاتها

مضطهدة سواء كان الآخر قريبا من الأهل والزوج، أو بعيدا من الرفاق وغيرهم ممن جرت بينه وبين المرأة علاقة الحب والمودة. ولا تكون المرأة خائنة إلا إذا كانت مضطهدة من قبل الزوج أو الأب والإخوة باسم الكرامة – سواء كانت كرامة الأسرة أو كرامة الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها أسرتها –، أو من قبل الحبيب والعاشق إذا خانها إياها أو خان امرأتها.

- وكذلك إذا كانت المرأة مضطهدة اجتماعيا خارج علاقاتها بالرجل الآخر، قريبا كان أو بعيدا، ففي تلك الحالة أيضا تضطر المرأة للخيانة حينما تناشد أن تسمع شكواها وتعامل بالعدالة لكن الخيبة تمسها، وهي تعيش صابرة على الشدائد.
- الرجل دائما في قصص سناء الشعلان جائر مسيطر على المرأة غير مؤدٍ حقوقها سواء كان أبا أو أخا أو زوجا أو حبيبا أو رفيقا أو غير هؤلاء إلا ما شذ وندر في بعض القصص فبدا فيها الرجل مقهورا أمام زوجته لكن لأجل أخطائه وعدم أداء حقوقه لها. ومن هذه الناحية إنها قد تكون غير مصيبة لكن هدفها الوحيد هو النهوض بالمرأة وتحريرها من سيطرة الرجل لئلا تكون معولة عليه فتصبر على شدائد لا يليق بها أن تصبر عليها.
- المرأة في قصص سناء الشعلان مظلومة، منكوبة، لكنها في معظم القصص صابرة، محتسبة، وفية بالحبيب والزوج والأب والإخوة، واثقة بهم إلى آخر أنفاسها ما لم يمسها الضرر أو الخدعة من قبل هؤلاء. وفي بعض القصص ثائرة، مناضلة لحقوقها ولحقوق زوجها وأسرتها ووطنها. ومن هنا يلاحظ التدرج في الشخصيات.
- قدمت الكاتبة صورا عديدة من المرأة فهي في بعض القصص متعلمة أو معلمة بطلة ذات كرامة ومكانة في المجتمع كما في قصتي "الهاربة من الموت" و"عائشة ألوان"، وفي بعضها مهاجرة بعيدة عن الأهل والوطن كما في قصة "نوارس البحر"، وفي بعضها أديبة كاتبة كما في قصة "الخرافة الخامسة"، وفي بعضها جاهلة متخلفة أو مضطهدة منكوبة تعاني من أنواع من الظلم كما في قصة "مهرجان البصل" و"الغرفة الخلفية" وغيرها من القصص، وفي بعضها مناضلة للحرية والاحتلال باذلة كل غال ورخيص في سبيل الاستقلال كما في قصص "حتى النصر"، و"رجال" و"زرع" وغيرها من القصص الأخرى.
- قدمت الكاتبة المرأة الفلسطينية المحبة في صورة المرأة المناضلة بعلاقة عفيفة غير مشوهة بحيث أن المرأة العاشقة تحول حبها إلى الزواج، ولا تتدنس بعلاقة مشوهة، ولا تفعل هذا إلا لأجل حب

الوطن وقمع الاحتلال الصهيوني الجائر لأن زواجها يتسبب لإنجاب الأطفال الذين سوف يشاركون في قمع الاحتلال، ولذلك لا تريد المرأة الفلسطينية المحبة أن تكون علاقتها برجل آخر علاقة دنسة فتكون عائقا في سبيل التضحية للوطن والوفاء به.

- إن الكاتبة سناء الشعلان قدمت صورا كثيرة للمرأة العربية في قصصها القصيرة كشفت من خلالها عن أوضاع المرأة المؤلمة التي تعيش أسيرة الجهل والحرمان فلو تثقفت هي بثقافة عالية أكثر من اللازم لكفت بها في تحسين أوضاعها حتى وإن حرمت من ظل الرجال فلا هي تخاف ولا تحزن على مآسيها بل تعمل وتكسب وتعيش آمنة مطمئنة في كل مكان، فالعلم مفتاح سعادتها والجهل مصدر تعاستها.
- القضايا الأساسية للمرأة في قصص سناء الشعلان تندرج تحت محورين؛ عمل المرأة وزواجها. أما عملها فهو يمنحها الحرية من سيطرة الرجل على المرأة على الرغم من الصعوبات والمشاكل في عملها وكسبها المال من مصادر مختلفة. وقد تعرضت بعض النسوة في قصص سناء الشعلان لمخاطر الكسب حتى اضطرت في بعض الأحيان إلى أعمال الدناءة.
- وأما زواج المرأة فهي تريد منح الحرية في اختيار الزوج اللائق بها، كما تود الحرية من معتقد الرجال أن المرأة فقط لإسعاد الرجل في الفراش، وإمتاعه حين الموائد بأنواع من الطعام، وأنها يجب عليها تربية الأولاد وطهي الطعام، والعيش في البيت محبوسة بلا عمل ولا ثقافة في مستوى أعلى لئلا تكون سابقة على زوجها أو على الرجال عامة.
- والتعليم قضية أساسية أخرى للمرأة لا في العالم العربي فحسب بل في العالم الشرقي كله، وهي تعاني من الصعوبات في هذه القضية منذ الطفولة، وتزداد المعاناة عبر السنين حتى أنها تمنع من التعليم العالي فلا تقدر أن تروح إلى الكليات والجامعات وتزورها لأهداف تعليمية بيد أن الشريعة الإسلامية فرض التعلم على كل مسلم ومسلمة.
- فضلا عن هذه القضايا الأساسية هناك قضايا أخرى لكن المرأة لو فازت بحرية كملة في هذه الأساسيات لفازت هي يقينا بغيرها من القضايا الدونية.
- وللكاتبة سناء الشعلان أعمال قصصية أخرى أضافتها إلى إنتاجاتها بعد الفترة التي اخترناها للدراسة والبحث. وبما أنها حية ترزق إنها تعمل بجد واجتهاد في إنتاج مستمر لأعمال إبداعية

متنوعة. وبناء على ذلك إنها تحصل جوائز أدبية مختلفة كل عام تقريبا. كما حصل في هذا العام نفسه جائزة فلسطين العالمية للآداب، وقد ذكرناها في بيان الجوائز.

وأخيرا أقول بأن الكاتبة الأردنية سناء الشعلان كاتبة مجيدة وقاصة بارعة في مجال الكتابة الإبداعية وفي القصص القصيرة خاصة. وهي دوما تعتني بقضايا المرأة وتكثف عنايتها بتثقيف المرأة المتخلفة القاعدة في البيت في ظلمات الجهل والعدوان الغاشم. وقد قدمت هي عديدا من الصور للمرأة لتقارن بين المتعلمة والجاهلة وبين العاملة بحرية والمضطهدة الأسيرة الرجال وبين القاعدة في البيت متخلفة منكوبة والمناضلة الجريئة لأجل الاستقلال. وبتقديم صور عديدة من المرأة إنها عرضت على القراء أهمية العلم والثقافة، وحثت النساء على التعلم من ناحية، وسعت من ناحية أخرى لتغيير مجرى الحياة ومعتقد الرجال في عامة النساء لئلا يبقى في المجتمع أي ضيم وظلم على جنس النساء فإن رقي الرجال بثقافة النساء، والأم هي المهد الأول للأولاد فلا بد أن يكونوا في مهد مثقف.

وفي النهاية اعترافا بقصوري أرجو أن أكون موافقا في دراستي هذه وما توصلت إليه من النتائج، وأدعو الله سبحانه أن يجعل هذا العلم نافعا لكل من أراد الاستفادة به من الدراسين والباحثين. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والله ولي التوفيق، وصلى الله على نبيه محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع

المصادر

- القرآن الكريم.
- الحديث الشريف.
  - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. **جامع المسانيد والسنن.**
  - أحمد، ابن محمد بن حنبل. **مسند الإمام أحمد بن حنبل.**
  - البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري.**
  - الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. **سنن الترمذي.**
  - الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي. **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع.**
  - القزويني، أبو عبد الله محمد ابن ماجه. **السنن.**
  - النسائي، أحمد بن علي بن شعيب. **كتاب السنن المعروف بالسنن الكبرى.**
  - النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم.**

المصادر:

- الشعلان، سناء، **أرض الحكايا**، الطبعة الأولى، قطر: نادي الجسرة الثقافي والاجتماعي، ٢٠٠٧م.
- الشعلان، سناء، **أكاذيب النساء**، الطبعة الأولى، عمان: أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٩م.
- الشعلان، سناء، **الجدار الزجاجي**، الطبعة الأولى، عمان: مطبعة الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م.
- الشعلان، سناء، **الذي سرق نجمة**، الطبعة الأولى، عمان: أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٦م.
- الشعلان، سناء، **الضياع في عيني رجل الجبل**، الطبعة الأولى، العراق: فضولي للطباعة والنشر، ٢٠١٢م.
- الشعلان، سناء، **الكابوس**، الطبعة الأولى، الشارقة: دائرة الثقافة والإعلام، ٢٠٠٦م.

- الشعلان، سناء، **الهروب إلى آخر الدنيا**، الطبعة الأولى، الدوحة: الشركة الحديثة للطباعة، ٢٠٠٦م.
- الشعلان، سناء، **تراتيل الماء**، الطبعة الأولى، عمان: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.
- الشعلان، سناء، **تقاسيم الفلسطيني**، الطبعة الأولى، عمان: أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٥م.
- الشعلان، سناء، **حدث ذات جدار**، الطبعة الأولى، عمان: أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٦م.
- الشعلان، سناء، **عام النمل**، مطبعة تطوان، ٢٠١٤م.
- الشعلان، سناء، **قافلة العطش**، الطبعة الأولى، عمان: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م.
- الشعلان، سناء، **مذكرات رضيعة**، الطبعة الأولى، الدوحة: الشركة الحديثة للطباعة، ٢٠٠٦م.
- الشعلان، سناء، **مقامات الاحتراق**، الطبعة الأولى، الدوحة: الشركة الحديثة للطباعة، ٢٠٠٦م.
- الشعلان، سناء، **ناسك الصومعة**، الطبعة الأولى، الدوحة: نادي الجسرة الثقافي والاجتماعي، ٢٠٠٧م.

المراجع:

- إبراهيم، حافظ. **ديوان حافظ إبراهيم**، الجمع والتحقيق: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، الطبعة الأولى، القاهرة: دار اليقين للنشر والتوزيع، ٢٠١١م.
- ابن السائح، الدكتور الأخضر. **سرد المرأة وفعل الكتابة دراسة نقدية في السرد وآليات البناء**، الطبعة الأولى، الجزائر: دار التنوير، ٢٠١٢م.
- ابن بطوطة. **رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، الطبعة الأولى، بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٨٧م.
- ابن سلامة، الدكتور رجاء. **بنيان الفحولة: أبحاث في المذكر والمؤنث**، الطبعة الأولى، دمشق: دار بترا للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

- أبو زيد، نصر حامد. **دوائر الخوف – قراءة في خطاب المرأة**، الطبعة الثالثة، المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٤م.
- أبو نضال، نزيه. "**الشرط الاجتماعي وقصور الوعي في الرواية النسوية العربية**"، في: "**تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية وببلوغرافيا الرواية النسوية العربية (٢٠٠٤-١٨٨٥)**"، عمان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤م.
- أحمد، فاتن. **عرض تحليلي للاتجاهات الحديثة في دراسة المرأة**، القاهرة: مكتب زهراء الشرق.
- أملوده، محمود محمد. **تمثلات المثقف في السرد العربي الحديث: الرواية الليبية أنموذجا دراسة في النقد الثقافي**، الطبعة الأولى، أربد: عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م.
- إيجلتون، ماري. **النظرية الأدبية النسوية**، ترجمة عدنان حسن – رنا بشور، سوريا: دار الحوار للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.
- باسيم، بوليس. **الكتاب المقدس – العهد القديم**، الطبعة الثانية، بيروت: دار المشرق، ١٩٨٨م.
- بنمسعود، رشيدة. **المرأة والكتابة: سؤال الخصوصية: بلاغة الاختلاف**، الطبعة الثانية، المغرب: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٢م.
- جامبل، سارة. **النسوية وما بعد النسوية دراسة ومعجم نقدي**، ترجمة أحمد الشامي، الطبعة الأولى، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٢م.
- الجزائري، أبو بكر جابر. "**المرأة المسلمة**"، ترجمة: سعيد قمر الزمان، الرياض: المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد بالبديعة، ١٤١٩هـ.
- حجازي، الدكتور مصطفى. **التخلف الاجتماعي مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور**، الطبعة التاسعة، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥م.
- الحمادي، وائل علي فالح. **صور المرأة في روايات سحر خليفة**، عمان: دروب للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.
- حمزة، عبد اللطيف محمود. **المدخل في فن التحرير الصحفي**، الطبعة الرابعة، مصر: دار الفكر العربي، ١٩٥٦م.

- الحيدري، إبراهيم. **النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٣م.
- خضر، غنام محمد. **فضاءات التخييل مقاربات في التشكيل والرؤى والدلالة في إبداع سناء شعلان القصصي**، الطبعة الأولى، عمان: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠١١م.
- الخولي، يمنى طريف. **النسوية وفلسفة العلم**، المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي، ٢٠٠٥م.
- داغر، حمدون. **مكانة المرأة في الإسلام**، آستريا: ولاشي، ١٩٩٤م.
- رضوان، سوسن ناجي. **الوعي بالكتابة في الخطاب النسائي العربي المعاصر**، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٠م.
- السباعي، مصطفى. **المرأة بين الفقه والقانون**، الطبعة السابعة، بيروت: دار الوراق للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.
- السعداوي، نوال. **الأنثى هي الأصل**، القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧م.
- سعداوي، نوال. **الوجه العارية للمرأة العربية**، الطبعة الثالثة، القاهرة: دار ومطابع المستقبل، ١٩٩٤م.
- سعدون، د. نادية هناوي. **السرد النسائي القصير في العراق**، الطبعة الأولى، بغداد: دار الفراهيدي للنشر والتوزيع، ٢٠١٢م.
- السكوت، حمدي. **قاموس الأدب العربي الحديث**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٥م.
- شعبان، بثينة. **مئة عام من الرواية النسائية العربية**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الآداب للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.
- شكري، علياء، وآخرون. **علم اجتماع المرأة**، القاهرة: مكتب زهراء الشرق، ٢٠٠١م.
- الشكعة، مصطفى. **إسلام بلا مذاهب**، الطبعة الحادية عشر، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٦م.
- شلبي، أحمد. **سلسلة مقارنة الأديان**.

- صالح، هويدا. **الهامش الاجتماعي في الأدب قراءة سوسيو ثقافية**، الطبعة الأولى، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م.
- طه، جمانة. **المرأة العربية في منظور الدين والواقع: دراسة مقارنة**، الطبعة الأولى، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٤م.
- ظاهري، الدكتور ناصر. **وصف الجسد في الشعر الجاهلي**، الطبعة الأولى، عمان: دار الخليج، ٢٠١٨م.
- عالم، الدكتور أختر. **شخصية المرأة في الرواية العربية خلال النصف الأول من القرن العشرين**، الطبعة الأولى، نيو دلهي: روز ورد بوكس، ٢٠١٥م.
- العبودي، سناء جابر. **صورة الآخر في قصص سناء الشعلان دراسة تحليلية**، الطبعة الأولى، سوريا: دار أمل الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٨م.
- العقاد، عباس محمود. **المرأة في القرآن**، القاهرة: دار السلام، ١٩٧٤م.
- عوض، السيد حنفي. **الحركات النسائية العمالية وتحديات سوق العمل**، مصر: المكتب الجامعي الحديث، ٢٠١٠م.
- عون، كمال أحمد. **المرأة في الإسلام**، الطبعة الثانية، المملكة العربية السعودية: دار العلوم للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.
- العيد، د. يمنى. **الرواية العربية المتخيل وبنيته الفنية**، الطبعة الأولى، بيروت: دار الفارابي، ٢٠١١م.
- الغانم، كلثوم. **الأطر الفكرية والحدود النظرية للفكر النسوي العربي**، بيروت: المستقبل العربي، ٢٠١٢م.
- الغزالي، الشيخ محمد، د. محمد سيد الطنطاوي، د. أحمد عمر هاشم. **المرأة في الإسلام**، القاهرة: مؤسسة أخبار اليوم، ١٩٩١م.
- قرامي، آمال. **الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية دراسة جندرية**، الطبعة الأولى، بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٧م.
- كولمار، ويندي كيه، فرانسيس بارتكوفيسكي. **النظرية النسوية**، ترجمة: عماد إبراهيم، الطبعة الأولى، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.

- محمد، تمارة رياض ذنون. **شعرية الوصف في قصص سناء الشعلان**، الطبعة الأولى، عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، ٢٠١٩م.
- محمود، ماجدة. **الخطاب القصصي النسوي: نماذج من سوريا**، الطبعة الأولى، سوريا: دار الفكر، ٢٠٠٠م.
- المعتصم، محمد. **الرؤية الفجائعية في الرواية العربية في نهاية القرن العشرين**، الطبعة الأولى، عمان: دار أزمنة، ٢٠٠٤م.
- المعتصم، محمد. **المرأة والسرد**، الطبعة الأولى، الدار البيضاء: دار الثقافة، ٢٠٠٤م.
- مفقودة، صالح. **المرأة في الرواية الجزائرية**، الطبعة الثانية، بيروت: دار الشروق للطباعة والنشر التوزيع، ٢٠٠٩م.
- منصور، أحمد صبحي. **مقدمة ابن خلدون: دراسة أصولية تاريخية**، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الأمين، ١٩٩٨م.
- الندوي، أبو الحسن. **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**، الطبعة الثالثة عشر، المنصورة: مكتبة الإيمان، ١٩٨٥م.
- نصر الله، إملي. **نساء رائدات من الغرب**، الطبعة الأولى، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١م.
- هميسه، الدكتور بدر حميد. **المرأة في ظل الإسلام**، ٢٠١٠م.
- الرحبي، مية. **الموجات النسوية في الفكر النسوي الغربي**، حركة مصر المدينة.
- الخالد، كورنيليا. "**المرأة العربية للإبداع النسائي**"، في: **خصوصية الإبداع النسوي**، عمان: وزارة الثقافة، ١٩٩٧م.
- رضا، رشيد. **نداء للجنس اللطيف**، مصر: مطبعة المنار، ١٣٥١هـ.
- شيفرد، ليندا جين. **أنثوية العلم**، ترجمة يمنى طريف الخولي، الكويت: مطابع السياسة عالم المعرفة، ٢٠٠٤م.

- مباركية، عبد الناصر. **رواية مثلث الرافدين للروائية السورية سها جلال جودت –دراسة سيميائية سردية–**، في: "**الملتقى الدولي الخامس للسيمياء والنص الأدبي**"، بسكرة: منشورات قسم الأدب العربي، نوفمبر ٢٠٠٨م.

الرسائل الجامعية:

- الخفاجي، محمد مهدي ياسين. "**تمثلات المرأة في الرواية العراقية والإيرانية: دراسة مقارنة**"، رسالة الدكتوراه، جامعة ذي قار العراق، ٢٠١٦م.
- عبد الحليم، رنا أحمد عبد الفتاح. "**صورة المرأة في روايات حنان الشيخ**"، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية ٢٠١٠م.
- عزوي، مريم. "**النسق المضمر في ديوان (النبية تتجلى في وضح النهار) لربيعة بلطجي: دراسة في ضوء النقد الثقافي**"، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، ٢٠١٦م.
- فطيمة الزهرة، بايزيد. "**الكتابة الروائية النسوية العربية بين سلطة المرجع وحرية المتخيل**"، رسالة الدكتوراه، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة، ٢٠١٢م.
- فلاح، أمال، وآية زياد. **الأنساق الثقافية في الرواية السعودية "بنات الرياض" لرجاء عبد الله الصانع أنموذجا**، رسالة ماجستير: جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، ٢٠١٨م.
- مباركية، نادية – عفاف هوام. "**الكتابة النسوية من السلطة الذكورية إلى المخيل الأنثوي رواية (قيد الفراشة) لشرين سامي أنموذجا**"، رسالة ماجستير، جامعة العربي التبسي، ٢٠١٧م.
- المزين، مريم محمود. "**المضمون الاجتماعي والسياسي للخطاب النسوي الفلسطيني ١٩٩٤م–٢٠١٠م**"، رسالة الدكتوراه: جامعة الأزهر–غزة، ٢٠١١م.
- الموسوي، زينب علي حسين. "**الأنساق الثقافية في شعر الفقهاء (٢٤٧–٦٥٦هـ)**"، رسالة الدكتوراه، جامعة القادسية، ٢٠١٧م.

المجلات والدوريات:

المصادر:

- الشعلان، سناء. "ملامح البطل الهامشي في قصص زياد أبو لبن في مجموعتي "هذيان ميت" و"أبي والشيخ""، **مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية**، المجلد ١٧، العدد ١ (يناير ٢٠١٠م)، ص ١٥٢-١٨٢. متاح على الرابط:

https://www.iasj.net/iasj/article/23315

- الشعلان، سناء. "التعالق النصيبين كوميديا دانتي وغفران أبي العلاء المعري"، **مجلة آداب الفراهيدي**، المجلد ٢، العدد ٥، (مايو ٢٠١٠م)، ص ١٠٧-١٤١. متاح على الرابط:

https://www.iasj.net/iasj/article/21825

المراجع:

- طويل، أ. سعاد. "الرواية النسائية العربية وخطاب الذات"، **مجلة المخبر**، العدد ٦، (٢٠١٠م)، ص ٢٦٣-٢٨٢.
- أحمد داود، أحمد صالح. "الرجل والمرأة في العقل العراقي الريفي: إشكالية الهيمنة المزمنة"، **مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية**، العدد ٢٦، (٢٠١٩م)، ص ٣١٥-٣٢٨.
- أ. م. د. حسنين غازي لطيف، "سردية (البطولة والمقاومة) في مجموعة (تقاسيم الفلسطيني) للروائية سناء شعلان"، **مجلة المصدر**، العدد ٣، (ديسمبر ٢٠١٦م)، ص ٨٨-١٠٦، متاح على الرابط:

https://portal.arid.my/Publications/2b2946ae-4bfc-4248-8c73-f13bbed6d909.pdf

- شموري، وليد. "الأدب الذي تنتجه المرأة في المشهد العربي يشبه حالها وفكرها وتكوينها وظرفها: حوار مع الأديبة الأردنية سناء الشعلان"، **مجلة الشاهد**، العدد ٧٠٧، (٢٠١٤م).

- منعم، د. مشتاق طالب. ود. ياسين طاهر عايز. "الأنثى بين التمرد والاحتجاج – دراسة تحليلية بلاغية في الشعر الجاهلي"، **مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية**، العدد ٢٨، المجلد ٢، ٢٠١٨م، ص ١١٤-١٣٥.
- العيد، د. يمنى. "مساهمة المرأة في الإنتاج الأدبي"، **مجلة الطريق**، العدد ٤، نيسان ١٩٧٥م.
- شيما برس، "سناء شعلان: الزمن هو البطل الحقيقي في قصصي والمحرض على التوتر"، **الرياض**، العدد: ١٣٨٣٥، (٢٠٠٦/٥/١١م)، متاح على الرابط:

https://www.alriyadh.com/153502

- الأخضر، ابن السايح. "نص المرأة وعنفوان الكتابة"، **مجلة الراوي**، العدد ١٨، (مارس ٢٠١٨م)، ص ٣٧-٤٨، متاح على الرابط:

https://archive.alsharekh.org/MagazinePages/MagazineBook/Alrawi/Alrawi_2008/Issue_18/index.html

- أبو نضال، نزيه. "المرأة في كتابات غالب هلسا"، **مجلة الكاتب العربي**، العدد ٤٥.
- المساعد، نورة فرج. "النسوية: فكرها واتجاهاتها"، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، العدد ٧١، المجلد ١٨، (٢٠٠٠م)، ص ٨-٥١، متاح على الرابط.

http://search.mandumah.com/Record/11859

- محمود، حاتم يونس. "الخلافات الزوجية وانعكاساتها على الأسرة دراسة ميدانية في مدينة الموصل"، **مجلة دراسات موصلية**، العدد ٣٠، (آب ٢٠١٠م): ص ١١٥-١٥٥.

المراجع الأجنبية

- Eagleton, Mary. Working With Feminist Criticism. Oxford: Blackwell Publishers, 1995.
- Eaglton Mary, Feminist Literary Theory: A Reader. UK: Wiley Blackwell, 2010.

- Ghorfati Amina, and Rabhaa Medini. "Feminism and Its Impact on Woman in the Modern Society." Dissertation: University of Tlemcen, 2015.
- Gillis, Stacy. Third Wave Feminism: A Critical Expoloration. UK: Palgrave Macmillan, 2007.
- Millet, Kate. Sexual Politics. London: Virago Press, 1977.
- Moers, Ellen. Literary Women. UK: Oxford University Press, 1977.
- Morgan, Robin. The Word of a Woman: Feminist Dispatches. New York: W W Norton & Co., 1994.
- Mukherjee, Debashree. Feminism: Theories and Impact. Hyderabad: The ICfai University press, 2008.
- Oxford Advanced Learners Dictionary. New York: Oxford University Press, 1999.
- Ramazanoglu, Caroline. Feminism And The Contradictions Of Oppression. London: Routledge, 1989.
- Woolf, Virginia, Women and Writing. New York: Michelle Berrett, Florida Harcourt, 1979.

المواقع الإلكترونية

المحتويات العربية:

- شعلان، الدكتورة سناء كامل أحمد. **موقع الجامعة الأردنية**، الرابط:

http://academic.ju.edu.jo/s.shaalan/default.aspx

- أبو الشعر، هند. "تجليات سناء الشعلان في مجموعتها "تراتيل الماء""، **مؤسسة النور للثقافة والإعلام**، (٢٠١١/٠١/٣٠م)، الرابط:

http://alnoor.se/article.asp?id=104268

- إدريس، عبد النور. "الجسد وفتنة الكتابة"، **موقع الحوار المتمدن**،

https://m.ahewar.orgs.asp?aid=52850r=0

- إمام، فاطمة. "توطين النسوية الإسلامية"، **موقع "نظرة"** (١٣ مايو ٢٠١٢م)، رابط:

https://nazra.org/2012/05/%D8%AA%D9%88%D8%B7%D9%8A%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B3%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9

- الأنصاري، محمد. "الحركة النسوية في أمريكا: من الحقوق إلى "التمركز حول الأنثى""، **إضاءات**، (٠٤-١١-٢٠١٦م)، متاح على الرابط:

https://www.ida2at.com/the-feminist-movement-in-america-rights-to-female-centered/

- حسن، عباس داخل. " **قراءة مضادّة في رواية أَعْشَقُنِي (١) للأديبة د. سناء الشّعلان**"، مؤسسة النور للثقافة والإعلام، (٢٠١٨/٠٦/٠٢م) الرابط:

http://www.alnoor.se/article.asp?id=338988

- الحيدري، إبراهيم. "استلاب الأنوثة"، **الحوار المتمدن**، العدد: ٣٢٨٩ (٢٦ فبراير ٢٠١١م)، متاح على:

https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=248083

- الخليل، الدكتور إبراهيم. "قالوا عن كتاب"، **الرياض**، العدد ١٣٧٨٥ (٢٢ مارس ٢٠٠٦م)، متاح على الرابط:

https://www.alriyadh.com/140065

- الخليل، سمير كاظم. "**قصص سناء الشعلان وتقنية الاستشراق: إضاءات سردية وتمظهرات تجريبية**"، مجلة الأطروحة للعلوم الإنسانية، العدد: ١، السنة: ١، (أغسطس ٢٠١٦م)، الرابط:

https://search.mandumah.com/Record/891272

- راشد، نزار حسين. "**الذي سرق نجمة مجموعة قصصية لسناء الشعلان**"، الحوادث، (٢٠١٦/٢١/٠٦م)، الرابط:

https://alhawadeth.net/ReadNews.aspx?Lang=en&Style=blue&ArtID=EZO3KoCvfwE=&CatID=1AF+UGx8zf8=&CatNewsID=h360TZGAUOs=

- الزريقي، عمار. "**د. سناء الشعلان تستلم جائزة فلسطين العالمية للآداب للعام ٢٠٢٢**"، آفاق حرة، (٢٠٢٢/١١/٠٦م)، الرابط:

https://www.afaqhorra.com/%d8%a3%d8%ae%d8%a8%d8%a7%d8%b1-%d8%ab%d9%82%d8%a7%d9%81%d9%8a%d8%a9/%d8%af-%d8%b3%d9%86%d8%a7%d8%a1-%d8%a7%d9%84%d8%b4%d8%b9%d9%84%d8%a7%d9%86-%d8%aa%d8%b3%d8%aa%d9%84%d9%85-%d8%ac%d8%a7%d8%a6%d8%b2%d8%a9-%d9%81%d9%84%d8%b3%d8%b7%d9%8a%d9%86-%d8%a7%d9%84%d8%b9%d8%a7/

- سقيرق، طلعت. "**الأديبة سناء الشعلان تنشد تراتيل الماء**"، ديوان العرب، (٢٠١١/٠٨/١٠م)، الرابط:

https://www.diwanalarab.com/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AF%D9%8A%D8%A8%D8%A9-%D8%B3%D9%86%D8%A7%D8%A1

- الظاهر، عدنان. "**مع قصص كتاب (أرض الحكايا) ... للدكتورة سناء كامل شعلان / القسم الأول**"، الحوار المتمدن، العدد: ٢٢٦٨ (٢٠٠٨/٠٥/٠١م)، الرابط:

https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=133168

- عمرو، أحمد. **النسوية من الراديكالية حتى الإسلامية.. قراءة في المنطلقات الفكرية**، (المملكة العربية السعودية: مجلة البيان بالسعودية، ٢٠١١)، ص ١٣٩-١٥٩، متاح على الرابط: http://search.mandumah.com/Databasebrowse/Tree?searchfor=&db=&cat=&o=6665&page=1&from=
- كرام، زهور. "الكتابة النسائية أفق مفتوح على التنوع"، **بيان اليوم** (٠٦ مارس ٢٠٢٠م)، متاح على الرابط: http://bayanealyaoume.press.ma/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B3%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%BA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D8%A3%D9%81%D9%82-%D9%85%D9%81%D8%AA%D9%88%D8%AD-%D8%B9/.html#:~:text=%D8%AA%D8%B4%D9%83%D9%84%20%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%A3%D8%A9%20%D9%85%D9%88%D8%B6%D9%88%D8%B9%D8%A7%20%D8%B3%D8%AC%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A7%20%D9%81%D9%8A,%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%81%D9%83%D9%8A%D8%B1%20%D9%84%D8%AA%D9%82%D8%A8%D9%84%20%D8%B5%D9%88%D8%B1%20%D8%BA%D9%8A%D8%B1%20%D9%85%D8%A3%D9%84%D9%88%D9%81%D8%A9.
- لطيف، د. حسنين غازي. "**سردية (البطولة والمقاومة) في مجموعة (تقاسيم الفلسطيني) للروائية سناء شعلان**"، مجلة المصدر، العدد: ٣ (ديسمبر ٢٠١٦م)، ص ٩٨، الرابط:

https://portal.arid.my/Publications/2b2946ae-4bfc-4248-8c73-f13bbed6d909.pdf

- المالكي، عباس باني. "**دراسة نقدية للمجموعة القصصية (تراتيل الماء) للقاصة الأردنية سناء شعلان**"، (٢٠١٢/٠٩/٠٧م)، الرابط:

https://www.fonxe.net/vb/showthread.php?t=38902

- معتصم، محمد. **العوالم القصصية عند سناء الشعلان: الانفصال والاتصال**، قاب قوسين، (٢٠١١/٠٦/٠٨م)، الرابط:

http://www.qabaqaosayn.com/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%81%D8%B5%D8%A7%D9%84-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA%D8%B5%D8%A7%D9%84/%D8%A2%D8%B1%D8%A7%D8%A1-%D9%88%D8%A3%D9%81%D9%83%D8%A7%D8%B1/%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA

- المقالح، عبد العزيز. "**تكتب الأبجدية في «تراتيل الماء»**"، ديوان العرب، (٢٠١١/٠١/٢٧م) الرابط:

https://www.diwanalarab.com/%D8%AA%D9%83%D8%AA%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%A8%D8%AC%D8%AF%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A

- الناصر، إبراهيم. "الحركة النسوية الغربية ومحاولات العولمة"، **صيد الفوائد**، متاح على الرابط:

http://www.saaid.net/female/064.htm

- ويكيبيديا الموسوعة الحرة، **بوابة: نسوية**، متاح على الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D9%88%D8%A7%D8%A8%D8%A9:%D9%86%D8%B3%D9%88%D9%8A%D8%A9

- ويكيبيديا الموسوعة الحرة، **جيرمين غرير**، متاح على الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D9%8A%D8%B1%D9%85%D9%8A%D9%86_%D8%BA%D8%B1%D9%8A%D8%B1

- ويكيبيديا الموسوعة الحرة، **فيرا بريتن**، متاح على الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81%D9%8A%D8%B1%D8%A7_%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D8%AA%D9%86

المحتويات الأجنبية:

- http://content.time.com/time/magazine/article/0,9171,876786,00.html
- http://nymag.com/news/politics/46802/
- http://www.newworldencyclopedia.org/entry/Feminism
- http://www.theheroinecollective.com/shulamith-firestone/
- https://www.advocate.com/women/2017/9/06/feminist-icon-and-author-kate-millett-dies
- https://www.britannica.com/biography/Shulamith-Firestone
- https://www.tabletmag.com/sections/news/articles/shulamith-firestone-1945-2012
- https://www.wata.cc.shwthread.eh?18649-4d8,foums,
- Wikipedia, *Vandana Shiva*, accessed on: https://en.wikipedia.org/wiki/Vandana_Shiva

---

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

مقدمة البحث ١

الباب الأول: سناء الشعلان حياتها وأعمالها الأدبية

مدخل ٩

الفصل الأول: تاريخ الأردن وأدبه ١٠

المبحث الأول: الخلفية التاريخية للأردن ١١

الأردن عبر السنين والأعوام ١١

استقلال الأردن ١٤

ما بعد الاستقلال ١٤

المبحث الثاني: الأدب العربي الأردني ١٧

الأدب العربي الأردني في زمن الإمارة الأردنية ١٧

الأدب العربي الأردني بعد وحدة الضفتين ١٩٥٠-١٩٦٧ ..... ١٩

مرحلة ما بعد نكسة حزيران ١٩٦٧ حتى اليوم ٢٠

الفصل الثاني: نشأة سناء الشعلان وحياتها ٢٢

المبحث الأول: مولد سناء الشعلان ونشأتها ٢٣

مولدها ونشأتها ٢٣

مسيرتها التعليمية ٢٣

مسيرتها الإبداعية والأكاديمية ٢٣

نشاطاتها العلمية في منظمات أدبية مختلفة ٢٤

المناصب الأخرى ٢٧

الأسبوعيات ٢٨

عملها في الإعلام الثقافي ٢٨

جوائزها الأدبية والإبداعية ٢٩

الجوائز الأدبية التي رفضتها ٣١

الأوسمة والدروع والتكريمات ٣٢

المبحث الثاني: العوامل الرئيسية لتكوين شخصيتها الأدبية ٣٤

حبها للسفر ٣٤

حبها للرسم ٣٥

أثر قضية القدس على شخصيتها ٣٦

الفصل الثالث: حياتها العلمية والأدبية ٣٧

المبحث الأول: أعمالها الإبداعية ٣٨

إبداعها القصصي ٣٨

إنتاجاتها الإبداعية للأطفال ٣٩

إبداعها المسرحي ٣٩

المسرحيات ٤٠

بعض مسرحياتها للأطفال ٤٠

المبحث الثاني: أعمالها العلمية ٤١

إنتاجاتها النقدية ٤١

الدراسات بالعربية ٤٢

الدراسات بالأجنبية ٤٦

الفصل الرابع: عناية النقاد والباحثين بأعمالها ٤٧

المبحث الأول: آراء النقاد حول أعمالها الأدبية ٤٨

قال النقاد عن إبداعها ٤٨

المبحث الثاني: عناية الباحثين بأعمالها الأدبية ٥٤

الرسائل الجامعية حول أعمالها الأدبية ٥٤

الأوراق المقدمة في الندوات ٥٦

خلاصة القول ٥٧

الباب الثاني: مفهوم الأنثوية وصورة المرأة في الأدب العربي

مدخل ٥٨

الفصل الأول: مفهوم الأنثوية ٥٩

المبحث الأول: التعريف بالأنثوية ٦٠

المبحث الثاني: العوامل والدوافع للحركة الأنثوية ٦٦

السبب الأول: الكتب الدينية لليهود والنصارى ٦٦

السبب الثاني: أقوال الفلاسفة والمفكرين الغربيين ٦٦
المبحث الثالث: مدارس وتيارات الحركة الأنثوية ٦٩
مدرسة الأنثوية الماركسية ٦٩
مدرسة الأنثوية الليبرالية ٧٠
مدرسة الأنثوية الاشتراكية ٧١
مدرسة الأنثوية الراديكالية ٧٢
الأنثوية البيئية ٧٣
الأنثوية السوداء ٧٤
الأنثوية الثقافية ٧٤
الأنثوية الوجودية ٧٥
الفصل الثاني: الموجات الأنثوية المختلفة ٧٦
الموجات الأنثوية المختلفة ٧٧
الموجة الأنثوية الأولى ٧٧
أعلام الموجة الأولى ٧٨
أوليو سرينر ٧٨
فرجينيا وولف ٧٨
شتراشي ٧٩
فيرا بريتين ٧٩

الموجة الأنثوية الثانية ٨٠

أعلام الموجة الأنثوية الثانية ٨١

بيتي فريدان ٨٢

كيت ميليت ٨٢

شولاميث فايرستون ٨٣

جيرمين غرير ٨٤

سوزان براون ميلر ٨٥

غلوريا ستاينم ٨٦

الموجة الأنثوية الثالثة ٨٦

الفصل الثالث: صورة المرأة في الأدب العربي ٨٩

صورة المرأة في الأدب العربي ٩٠

المبحث الأول: المرأة في اليهودية والنصرانية ٩١

المبحث الثاني: المرأة في الإسلام ٩٥

المبحث الثالث: المرأة العربية والأدب العربي ١٠٣

خلاصة القول ١٠٥

الباب الثالث: صورة المرأة في أعمال سناء الشعلان

مدخل ١٠٦

الفصل الأول: المرأة بين التعلم والجهل ١١١

المرأة بين التعلم والجهل ١١٢

المبحث الأول: المرأة المتعلمة ١١٣

المبحث الثاني: المرأة الجاهلة ١٢٢

الفصل الثاني: علاقة المرأة بالآخر ١٢٦

المبحث الأول: علاقة المرأة بالآخر القريب ١٢٧

علاقة المرأة بزوجها ١٢٨

المرأة في سلك الزواج ١٢٨

المبحث الثاني: علاقة المرأة بأبيها ١٣٦

المبحث الثالث: علاقة المرأة بإخوتها ١٣٩

الفصل الثالث: علاقة المرأة بالآخر البعيد ١٤٤

علاقة المرأة بالآخر البعيد ١٤٥

المبحث الأول: العلاقة البريئة ١٤٦

المبحث الثاني: العلاقة المشوهة الدنسة ١٥٢

الباب الرابع: القضايا الرئيسية للمرأة العربية

مدخل ١٥٨

الفصل الأول: القضايا الاجتماعية ١٥٩

المبحث الأول: عمل المرأة ١٦٠

المبحث الثاني: زواج المرأة ١٦٧

الفصل الثاني: القضايا النضالية ١٧٢

القضايا النضالية ١٧٣

خاتمة البحث ١٩٣

خاتمة البحث ونتائجه..... ١٩٤

المصادر والمراجع

المصادر ١٩٩

المراجع ٢٠٠

الرسائل الجامعية ٢٠٥

المجلات والدوريات ٢٠٦

المراجع الأجنبية ٢٠٧

المواقع الإلكترونية ٢٠٨

المحتويات العربية ٢٠٨

المحتويات الأجنبية ٢١٣

قائمة المحتويات ٢١٤

WOMEN AS DEPICTED IN THE STORIES OF SANA SHAALAN

A Thesis Submitted to the University of Delhi
In the Fulfillment of the Requirement for the Award of the Degree of
DOCTOR OF PHILOSOPHY

By

ABDUR RAHMAN

Under The Supervision Of

DR. MOHAMMAD AKRAM

Department of Arabic
University of Delhi
DELHI-110007

2022